



Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

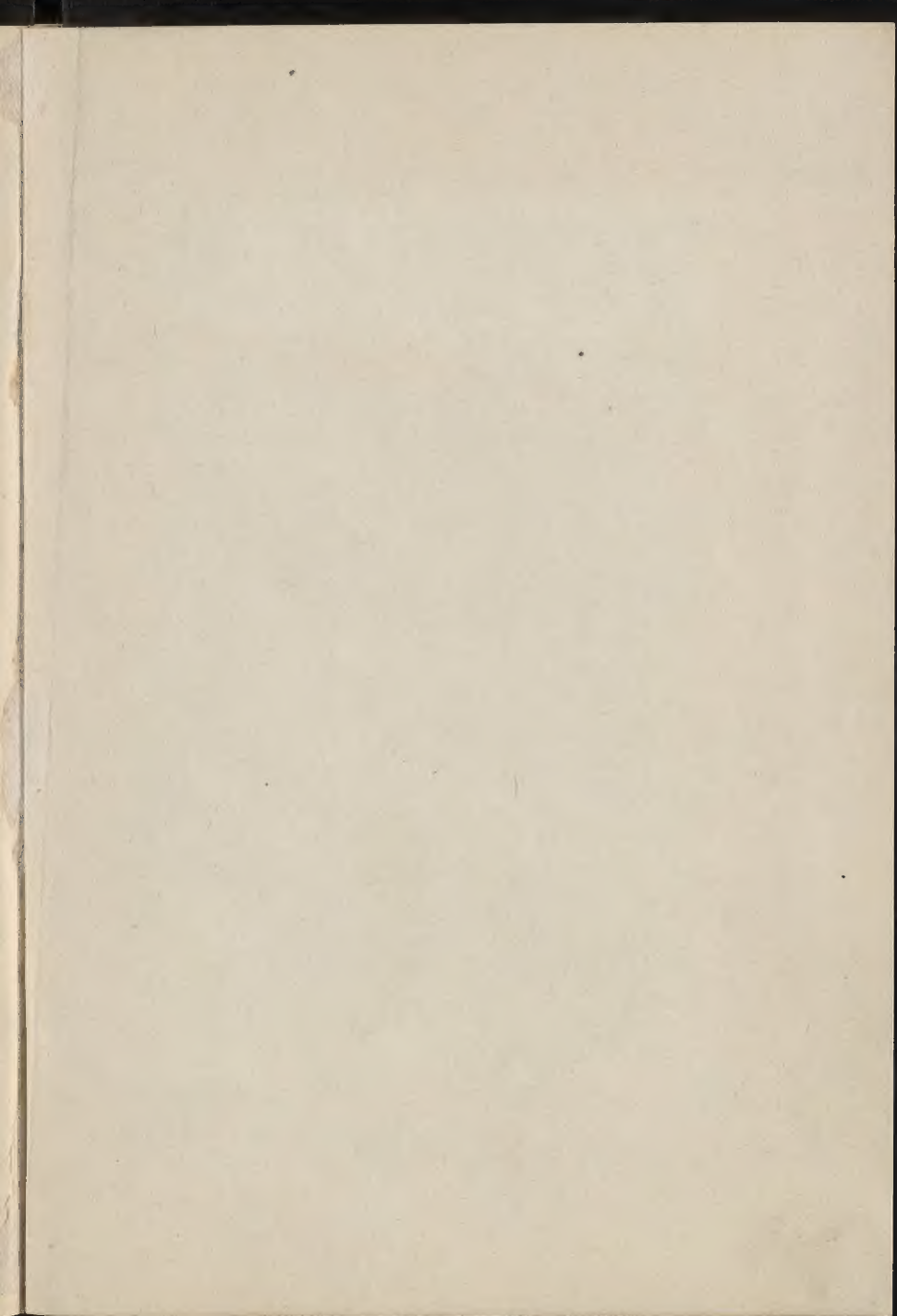


W. Arthur Jeffery

BOUND

MAR 29 1961

Arthur Jeffery
New York, 1956.



نفس سورة الاخلاص

تأليف

شيخ الامة واستاذ الائمة ، حافظ الانام ، وعلم الاعلام
مفتى مصر والشام وسائر اقطار الاسلام ابي العباس
تقى الدين احمد بن عبد الحلیم الشهير بابن تيمية
الحرايى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ



صححه وراجع اصوله للمرة الاولى سنة ١٣٥٢ هـ

إدارة الطباعة المنيرية
لعمامة دارها محمد بنير الدمشقي

درب الاتراك رقم ١

بسم الله
١٤١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له . ومن يضل فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم تسليماً *

(فصل) في تفسير (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) والاسم الصمد فيه للسلف أقوال متعددة قديظن أنها مختلفة وليست كذلك بل كلها صواب * والمشهور منها قولان: أحدهما أن الصمد هو الذي لا جوف له . والثاني أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة * والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدھا في كتب التفسير المسندة وفي كتب السنة وغير ذلك، وقد كتبنا من الآثار في ذلك شيئاً كثيراً باسناده فيما تقدم وتفسير الصمد بأنه الذي لا جوف له معروف عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً وعن ابن عباس والحسن البصري، ومجاهد، وسعيد بن جبیر . وعكرمة والضحاك والسدي وقتادة وبمعنى ذلك قال سعيد بن المسيب قال: هو الذي لا حشوله وكذلك قال ابن مسعود: هو الذي ليست له أحشاء وكذلك قال الشعبي: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، وعن محمد بن كعب القرظي وعكرمة هو الذي لا يخرج

منه شيء وعن ميسرة قال هو المصمت قال ابن قتيبة كأن الدال في هذا التفسير مبدلة من تاء والصمت من هذا ه قلت لا لإبدال في هذا ولكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر وسنين إن شاء الله وجه هذا القول من جهة الاشتقاق واللغة ه والحديث المأثور في سبب نزول هذه الآية رواه الامام أحمد في المسند وغيره من حديث أبي سعد الصغاني حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ إن نسب لنا ربك فأنزل الله (قل هو الله أحد الله الصمد) الى آخر السورة ه قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ه وأما تفسيره بأنه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج فهذا أيضا مروى عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا فهو من تفسير الوالي عن ابن عباس قال: الصمد السيد الذي كمل في سؤدده وهذا مشهور عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: هو السيد الذي انتهى سؤدده، وعن أبي اسحق الكوفي عن عكرمة الصمد الذي ليس فوقه أحد ويروى هذا عن علي وعن كعب الاحبار الذي لا يكافئه من خلقه أحد وعن السدي أيضا هو المقصود اليه في الرغائب المستغاث به عند البصائب، وعن أبي هريرة رضى الله عنه هو المستغنى عن كل أحد المحتاج اليه كل أحد، وعن سعيد بن جبير الكامل في جميع صفاته وأفعاله وعن الربيع الذي لا تعتربه الآفات وعن مقاتل بن حيان الذي لا عيب فيه وعن ابن كيسان هو الذي لا يوصف بصفته أحد قال أبو بكر الانباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد اليه الناس في حوائجهم وأمورهم ه وقال الزجاج هو الذي ينتهي اليه السؤدد فقد صمد له كل شيء أى قصد قصده وتأويل صمود كل شيء له ان في كل

شيء أثر صنعته ه قلت وقد أنشدوا في هذا بيتين مشهورين أحدهما *
 الأبيكر الناعي بخيري بنى أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

(وقال الآخر)

علاوته بحسامي ثم قلت له خذها حذيف فانت السيد الصمد
 قال بعض أهل اللغة الصمد هو السيد المقصود في الحوائج تقول العرب
 صمدت فلانا أصمده - بكسر الميم - وأصمده - بضم الميم - صمدا - بسكون
 الميم - إذا قصده ، والمصمود صمد فالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى
 المنقوض ويقال بيت مصمود ومصمد إذا قصده الناس في حوائجهم قال طرفة:
 وإن يلتق الحى الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
 وقال الجوهري: صمده يصمده صمداً إذا قصده والصمد بالتحرريك السيد
 لأنه يصمد إليه في الحوائج ويقال بيت مصمد بالتشديد أى مقصود، وقال الخطابي
 أصبح الوجوه أنه السيد الذى يصمد إليه في الحوائج لأن الاشتقاق يشهد له فإن
 أصل الصمد القصد يقال أصمد صمداً فلان أى أقصد قصده فالصمد السيد الذى
 يصمد إليه في الأمور ويقصد في الحوائج، وقال قتادة: الصمد الباقي بعد خلقه وقال
 مجاهد . ومعر: هو الدائم وقد جعل الخطابي وأبو الفرج ابن الجوزى الأقوال
 فيه أربعة هذين والذين تقدما وسنين أن شاء الله أن بقاءه ودوامه من تمام
 الصمدية، وعن مرة الهمداني هو الذى لا يبلى ولا يفنى وعنه أيضا قال هو
 الذى يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ه وقال
 ابن عطاء: هو المتعالى عن الكون والفساد وعنه أيضا قال: الصمد الذى لم يتبين
 عليه أثر فيما أظهر يريد قوله: (وما من سامن لغوب) وقال الحسين بن الفضل:
 هو الأزلى بلا ابتداء وقال محمد بن على الحكيم الترمذى: هو الأول بلا عدد
 والباقي بلا أمد والقائم بلا عمد، وقال أيضا الصمد الذى لا تدركه الأبصار

ولا تحويه الافكار ولا تبلغه الاقطار وكل شئ عنده بمقدار وقيل هو الذي
جل عن شبه المصورين وقيل هو بمعنى نفي التجزى والتأليف عن ذاته
وهذا قول كثير من أهل الكلام وقيل هو الذي أيسر العقول من الاطلاع
على كيفيته وكذلك قيل هو الذي لا تدرك حقيقة نوعه وصفاته فلا يتسع
له اللسان ولا يشير اليه البنان، وقيل الذي لم يعط خلقه من معرفته الا الاسم
والصفة، وعن الجنيد قال الذي لم يجعل لاعدائه سبيلا الى معرفته ونحن نذكر
ما حضرنا من ألفاظ السلف بأسانيد ما فروى ابن أبي حاتم في تفسيره قال :
ثنا أبي ثنا محمد بن موسى بن قبيع الجرشي ثنا عبد الله بن عيسى يعني
أبا خلف الخزاز ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله
الصمد قال الصمد الذي يصمد اليه الناس الاشياء اذا نزل بهم كربة أو بلاء *
حدثنا أبو زرعة ثنا محمد بن ثعلبة بن سواء السدوسي ثنا محمد بن سواء
ثنا سعيد بن أبي عروبة عن أبي معشر عن ابراهيم قال الصمد الذي يصمد
العباد اليه في حوائجهم * حدثنا أبي ثنا عبد الرحمن بن الضحاك ثنا شريك
ابن عبد العزيز ثنا سفيان بن حسين عن الحسن قال الصمد الحى القيوم الذي
لا زوال له * حدثنا أبي ثنا نصر بن علي ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة
عن الحسن قال الصمد الباقي بعد خلقه وهو قول قتادة * حدثنا أبو سعيد الأشج
ثنا ابن نمير عن الأعمش عن شقيق في قوله الصمد قال السيد الذي قد انتهى سودده *
حدثنا أبي ثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس في قوله الصمد قال: السيد الذي قد كل في سودده والشريف
الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد
كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في
حكيمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسودده والله سبحانه هذه صفته

لا تنبغي لأحد إلا له ليس له كفو وليس كمثل شئ سبحانه الله الواحد القهار
 حدثنا كثير بن شهاب المذحجي القزويني ثنا محمد بن سعيد بن سابق
 ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله الصمد قال الذي لم يلد
 ولم يولد ه حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن عكرمة
 في قوله الصمد قال الذي لم يخرج منه شئ ه حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو أحمد
 ثنا مندل بن علي عن أبي روق عطية بن الحارث عن أبي عبد الرحمن السلمي
 عن عبد الله بن مسعود قال الصمد الذي ليس له أحشاء وروى عن سعيد
 ابن المسيب مثله ه

حدثنا أبي ثنا محمد بن عمر بن عبد الله الرومي ثنا عبيد الله بن سعيد
 قائد الأعمش عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلمه
 إلا قد رفعه قال: الصمد الذي لا جوف له وروى عن عبد الله بن عباس وعبد الله
 ابن مسعود في إحدى الروايات والحسن وعكرمة وعطية وسعيد بن جبير
 ومجاهد في إحدى الروايات والضحاك مثل ذلك حدثنا أبي ثنا قبيصة ثنا
 مفيان عن منصور عن مجاهد قال الصمد المصمت الذي لا جوف له ه

حدثنا أبو عبد الله الطبراني ثنا حفص بن عمر العدني ثنا الحكم بن أبان عن
 عكرمة في قوله الصمد قال الصمد الذي لا يطعم ه حدثنا أبي ثنا علي بن هاشم بن
 مرزوق ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي أنه قال الصمد الذي لا يأكل
 ولا يشرب الشراب ه حدثنا أبي وأبو زرعة قال ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد
 ابن ميسر - يعني أبا سعد الصغاني - ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس
 عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله الصمد قال الصمد الذي لم يلد ولم
 يولد لأنه ليس شئ يلد إلا يموت وليس شئ يموت إلا يورث وإن الله

لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفواً أحد قال لم يكن له شبه ولا عدل وليس
 كمثل شيء * حدثنا علي بن الحسين ثنا محمود بن خدّاش ثنا أبو سعد الصغاني
 ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب
 أن المشركين قالوا إن نسب لنا ربك فأنزل الله هذه السورة * حدثنا أبو زرعة
 ثنا العباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة ولم يكن له
 كفواً أحد قال إن الله لا يكافئه من خلقه أحد * حدثنا علي بن الحصين ثنا
 أبو عبد الله الجرجاني ثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى ثنا داود بن أبي هند
 عن عكرمة عن ابن عباس قال إن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ منهم كعب
 بن الأشرف وحيي بن أخطب وجرير الطائفي فقالوا: يا محمد صف لنا
 ربك الذي بعثك فأنزل الله (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
 ولم يكن له كفواً أحد) * حدثنا ابن جرير الطبري في تفسيره: حدثنا
 أحمد بن منيع المروزي . ومحمود بن خدّاش الطالقاني فذكر مثل أسناد ابن
 أبي حاتم عن أبي بن كعب سؤال المشركين للنبي ﷺ إن نسب لنا ربك
 فأنزل الله (قل هو الله أحد) * حدثنا ابن حميد ثنا يحيى بن واضح ثنا الحسين
 عن يزيد عن عكرمة أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أخبرنا عن
 صفة ربك ما هو ومن أي شيء هو؟ فأنزل الله هذه السورة ورواه أيضاً
 عن أبي العالية وعن جابر بن عبد الله حدثنا شريح ثنا اسمعيل بن مجاهد
 عن الشعبي عن جابر فذكره قال وقيل هو من سؤال اليهود * حدثنا ابن حميد
 ثنا سلمة ثنا ابن إسحاق عن محمد بن سعيد قال أتى رهط من اليهود إلى النبي
 ﷺ فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه؟ فغضب النبي ﷺ
 حتى انتفخ لونه ثم ساورهم غضبا لربه فجاءه جبريل فسكنه وقال اخفض
 عليك جناحك يا محمد وجاءه من الله جواب ما سأله عنه قال يقول الله

(قل هو الله أحد) الى آخرها فلما تلاها عليهم النبي ﷺ قالوا له صف لنا ربك كيف خلقه كيف عضده كيف ساعده وكيف ذراعه فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول وساورهم فأتاه جبريل فقال له مثل مقاتله الأولى وأتاه بجواب ما سأله فانزل الله (وما قدروا الله حق قدره) *

وروى الحكم بن معبد في كتاب الرد على الجهمية قال ثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ثنا سلمة بن شبيب ثني يحيى بن عبد الله ثني ضرار عن أبان عن أنس قال أنت يهود خير الى النبي ﷺ فقالوا يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وإبليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فاخبرنا عن ربك قال فلم يجبهم النبي ﷺ فأتاه جبريل فقال يا محمد: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ليس له عروق شعب اليها - الصمد - ليس بأجوف لا يأكل لا يشرب ليس شيء يعتدل مكانه يمسك السموات والارض أن تزولا الحديث، وقال ابن جرير ثنا عبد الرحمن بن الأسود ثنا محمد بن ربيعة عن سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عباس قال الصمد الذي ليس بأجوف * حدثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الصمد المصمت الذي لا جوف له * حدثنا أبو كريب ثنا وكيع عن منصور سواء * حدثنا الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * حدثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا الربيع بن مسلمة عن الحسن قال الصمد الذي لا جوف له وهذا الاسناد عن إبراهيم بن ميسرة قال أرسلني مجاهد الى سعيد بن جبير أسأله عن الصمد فقال الذي لا جوف له * حدثنا ابن بشار ثنا يحيى ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال الصمد الذي لا يطعم الطعام ورواه يعقوب عن هشيم عن اسمعيل عنه قال لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب *

حدثنا بشار . وزيد بن أوزم قال ثنا ابن داود عن المستقيم بن عبد الملك عن سعيد بن المسيب قال الصمد الذي لا حشوله * حدثنا الحسين ثنا أبو معاذ ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الصمد الذي لا جوف له * وروى عن ابن بريدة فيه حديثا مرفوعا لكنه ضعيف قال وقال آخرون هو الذي لا يخرج منه شيء * حدثنا يعقوب بن أبي علي عن أبي رجاء سمعت عكرمة قال في قوله الصمد لم يخرج منه شيء لم يلد ولم يولد * حدثنا ابن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي رجاء محمد بن يوسف عن عكرمة قال الصمد الذي لا يخرج منه شيء *

وقال آخرون لم يلد ولم يولد وذكر حديث أبي بن كعب الذي رواه ابن أبي حاتم والذي فيه أنه سبحانه لا يموت ولا يورث قال وقال آخرون هو السيد الذي انتهى في سؤده * وقال وثنا أبو السائب ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق قال الصمد هو السيد الذي انتهى في سؤده * حدثنا أبو كريب . وابن بشار . وابن عبد الأعلى قالوا ثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل قال الصمد السيد الذي انتهى في سؤده * حدثنا ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن الأعمش عن أبي وائل مثله * حدثنا أبو صالح ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الصمد قال السيد الذي كل في سؤده وذكر مثل الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم في تقدم (قلت) الاشتقاق يشهد للقولين جميعا قول من قال ان الصمد الذي لا جوف له وقول من قال انه السيد وهو على الأول أدل فان الأول أصل للثاني ولفظ الصمد يقال على ما لا جوف له في اللغة * قال يحيى بن أبي كثير الملائكة صمد والآدميون جوف، وفي حديث آدم ان إبليس قال عنه انه أجوف ليس بصمد * وقال الجوهري المصمد لغة في المصمت وهو الذي لا جوف له * قال والصماء

عفاص القارورة * وقال الصمد المكان المرتفع الغليظ قال أبو النجم:

* يغادر الصمد كظهر الاجزل *

وأصل هذه المادة الجمع والقوة ومنه يقال يصمد المال أى يجمعه وكذلك السيد أصله سيود اجتمعت ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت كما قيل ميت وأصله ميوت والمادة في السواد والسود تدل على الجمع واللون الاسود هو الجامع للبصر وقد قال تعالى: (وسيدا وحصورا) قال أكثر السلف سيدا حليما وكذلك يروى عن الحسن . وسعيد بن جبير . وعكرمة . وعطاء . وأبي الشعثاء بن أنس . ومقاتل، وقال أبو روق عن الضحاك انه الحسن الخلق * وروى سالم عن سعيد بن جبيرانه النقي ولايسود الرجل الناس حتى يكون في نفسه مجتمع الخلق ثابته وقال عبد الله بن عمر ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية فقيل له ولا أبو بكر ولا عمر قال كان أبو بكر وعمر خيرا منه وما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية * قال أحمد بن حنبل: يعنى به الحلم أو قال الكرم ولهذا قيل :

إذا شئت يوما أن تسود قبيلة فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم

ولهذا فسر طائفة من السلف السيد بانه سيد قومه في الدين وقال ابن زيد هو الشريف وقال الزجاج الذى يفوق قومه في الخير، وقال ابن الأنباري السيد هنا الرئيس والامام في الخير، وعن ابن عباس ومجاهد هو الكريم على ربه وعن سعيد بن المسيب هو الفقيه العالم وقد تقدم انهم يقولون لعفاص القارورة صماد قال الجوهرى العفاص جلد يلبسه رأس القارورة وأما الذى يدخل في فمه فهو الصمام وقد عفاصت القارورة شددت عليها العفاص (قلت) وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في اللقطة * ثم اعرف

عفاصها ووكاهها والمراد بالعفاص ما يكون فيه الدراهم كالخرقة التي تربط فيها الدراهم والوكاه مثل الخيط الذي يربط به وهذا من جنس عفاص القارورة ولفظ العفص والسد والصمد والجمع والسودد معانيها متشابهة فيها الجمع القوة ويقال طعام عفص وفيه عفوصة أى تقبض ومنه العفص الذى يتخذ منه الخبز * وقد قال الجوهري : هو مولد ليس من كلام أهل البادية وهذا لا يضر لانه لم يكن عندهم عفص يسمونه بهذا الاسم لكن التسمية به جارية على أصول كلام العرب وكذلك تسميتهم لما يدخل في فيها صام فان هذه المادة فيم معنى الجمع والسد * قال الجوهري صام القارورة سدادهما والحجر الاصم الصلب المصمت والرجل الاصم هو الذى لا يسمع لا تسداد سمعه والرجل الصمة الشجاع والصمة الذكر من الحيات وصم الشئ عخالصه حيث لم يدخل اليه ما يفوقه ويضعفه يقال صميم الحر وصميم البرد وفلان من صميم قومه ، والصمصام الصارم القاطع الذى لا يثنى وصمم فى السير وغيره أى مضى ورجل صمصم أى غليظ ومنه فى الاشتقاق الأكبر الصوم فان الصوم هو الامساك ، قال أبو عبيدة : كل مسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم لان الامساك فيه اجتماع والصائم لا يدخل جوفه شئ ، ويقال صام الفرس اذا قام فى غير اعتلاف ، قال النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى أعلك اللجما

وكذلك السد والسداد والسودد والسواد وكذلك لفظ الصمد فيه الجمع والجمع فيه القوة فان الشئ كلما اجتمع بعضه الى بعض ولم يكن فيه خلل كان أقوى مما إذا كان فيه خلل * ولهذا يقال للمكان الغليظ المرتفع صمد لقوته وتماسكه واجتماع أجزائه والرجل الصمد هو السيد المصمود أى المقصود يقال قصده وقصدت له وقصدت اليه وكذلك هو مصمود

ومقصود له واليه والناس إنما يقصدون في حوائجهم من يقوم بها وإنما يقوم بها من يكون في نفسه مجتمعا قويا ثابتا وهو السيد الكريم بخلاف من يكون هلوعا جزوعا يتفرق ويعلق ويتمزق من كثرة حوائجهم وثقلها فان هذا ليس بسيد صمد يصمدون اليه في حوائجهم فهم إنما سمو السيد من الناس صمدا لما فيه من المعنى الذى لأجله يقصده الناس في حوائجهم فليس معنى السيد في لغتهم معنى اضافى فقط كلفظ القرب والبعد بل هو معنى قائم بالسيد لأجله يقصده الناس والسيد من السؤدد والسواد وهذا من جنس السداد في الاشتقاق الأكبر فان العرب تعاقب بين حرف العلة والحرف المضاعف كما يقولون تقضى البازى وتقضض الساد هو الذى يسد غيره فلا يبقى فيه خلوا ومنه سداد القارورة وسداد الثغر بالكسر فيهما وهو ما يسد ذلك ومنه السداد بالفتح وهو الصواب ومنه القول السديد قال الله تعالى: (اتقوا الله وقلوا قولا سديدا) قالوا قصدا حقا، وعن ابن عباس صوابا وعن قتادة ومقاتل عدلا وعن السدى مستقيما وكل هذه الاقوال صحيحة فان القول السديد هو المطابق الموافق فان كان خبرا كان صدقا مطابقا لخبره لا يزيد ولا ينقص وان كان أمرا كان أمرا بالعدل الذى لا يزيد ولا ينقص ولهذا يفسرون السداد بالقصد والقصد بالعدل قال الجوهري: التسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد في القول والعمل ورجل مسدد اذا كان يعمل بالسداد والقصد والمسدد المقوم وسدد رجه وأمر سديد وأسد أى قاصد وقد استد الشيء استقام قال الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رمانى

وقال الاصمعى اشتد بالشين المعجمة ليس بشئ وتعبرهم عن السداد بالقصد يدلك على ان لفظ القصد فيه معنى الجمع والقوة والقصد العدل كما

أنه السداد والصواب وهو المطابق الموافق الذي لا يزيد ولا ينقص وهذا هو الجامع المطابق، ومنه قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) أى السبيل القصد وهو السبيل العدل أى إليه تنتهى السبيل العادلة كما قال تعالى : (إن علينا الهدى) أى الهدى اليان هذا أصح الاقوال فى الآيتين وكذلك قوله تعالى : (قال هذا صراط على مستقيم) ومنه فى الاشتقاق الاوسط الصدق فان حروفه حروف القصد فنه الصدق فى الحديث لمطابقته مخبره كما قيل فى السديد والصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال المستوى فهو معتدل صلب ليس فيه خلل ولا عوج والصندوق واحد الصناديق فانه يجمع ما يوضع فيه وما ينبغى أن يعرف فى باب الاشتقاق أنه اذا قيل هذا مشتق من هذا فله معنيان أحدهما ان بين القولين تناسبا فى اللفظ والمعنى سواء كان اهل اللغة تكلموا بهذا بعد هذا أو بهذا بعد هذا وعلى هذا فكل من القولين مشتق من الآخر فان المقصود أنه مناسب له لفظا ومعنى كما يقال هذا الماء من هذا الماء وهذا الكلام من هذا الكلام وعلى هذا فاذا قيل ان الفعل مشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل كان كلا القولين صحيحا وهذا هو الاشتقاق الذى يقوم عليه دليل التصريف وأما المعنى الثانى فى الاشتقاق وهو أن يكون أحدهما أصلا للآخر فهذا اذا عنى به ان أحدهما تكلم به قبل الآخر لم يقم على هذا دليل فى الاكثر من المواضع وان عنى به ان أحدهما متقدم على الآخر فى العقل لكون هذا مفردا وهذا مركبا فالفعل مشتق من المصدر والاشتقاق الاصغر اتفاق القولين فى الحروف وترتيبها والاوسط اتفاقهما فى الحروف لافى الترتيب والاكبر اتفاقهما فى أعيان بعض الحروف وفى الجنس فى الباقي كاتفاقهما فى كونهما من حروف الحلق اذا قيل حزر وعزر وازر فان الجميع فيه معنى القوة والشدة قد اشتركت

الراء والزاي والحاء في ان الثلاثة حروف حلقية وعلى هذا فاذا قيل الصمد
بمعنى المصمت وانه مشق منه بهذا الاعتبار فهو صحيح فان الدال أخت
التاء في ان الصمت السكوت وهو امساك واطباق للقم عن الكلام *
قال أبو عبيد المصمت الذي لا جوف له وقد أصمته أنا وباب مصمت قد أبهم
اغلاقه والمصمت من الخيل البهم أى لون كان لا يخالط لونه لون آخر، ومنه قول
ابن عباس اما حرم من الحرير المصمت فالمصمد والمصمت متفقان في
الاشتقاق الاكبر وليست الدال منقلبة عن التاء بل الدال أقوى والمصمد
أكل في معناه من المصمت وكما قوى الحرف كان معناه أقوى فان لغة العرب
في غاية الاحكام والتاسب ولهذا كان الصمت امساك عن الكلام مع امكانه
والانسان أجوف يخرج الكلام من فيه ولكنه قد يصمت بخلاف الصمد فانه انما
استعمل فيما لا تفرق فيه كالصمد واليد والصمد من الارض وصاد القارورة *
ونحو ذلك فليس في هذه الالفاظ المتناسبة أكل من ألفاظ الصمد
فان فيه الصاد والميم والدال وكل من هذه الحروف الثلاثة لها مزية على
ما يناسبها من الحروف والمعاني المدلول عليها بمثل هذه الحروف أكل *
وما يناسب هذه المعاني معنى الصبر فان الصبر فيه جمع وامساك ولهذا قيل :
الصبر حبس النفس عن الجزع يقال صبر وصبرته أنا ومنه قوله تعالى (واصبر
نفسك) وكذلك معنى السيد الصمد خلاف معنى الجزوع المنوع ومنه
الصبرة من الطعام فانها مجتمعة مكمومة والصبارة الحجارة وصبر الشئ غلظه
وضده الجزع وفيه معنى التقطع والتفرق يقال جزع له جرعة من المال أى
قطع له قطعة والجزوعة القطعة من الغنم واجتزعت من الشجر عودا أى
أقطعته واكسرتة وجزعت الوادى اذا قطعت عرضا والجزع منعطف
الوادى ومنه الجزع وهو الخرز اليماني الذي فيه يياض وسواد وكذلك

جزع البسر تجزيعا اذا أرطب نصفه ثلثاه وهو خلاف قولهم مصمت للون الواحد لما في ذلك من الاجتماع وفي هذا من التفرق ه وقد قال تعالى (ان الانسان خلاق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) قال الجوهرى: الهلع أخش الجزع وقال غيره هو في اللغة أشد الحرص واسوأ الجزع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم شر ما في المرء شح هالع وجبن خالع ه وناقة هلواع اذا كانت سريعة السير خفيفة وذئب هلع بلع والهلع من الحرص والبلع من الابتلاع ولهذا كان كلام السلف في تفسيره يتضمن هذه المعاني فروى عن ابن عباس قال هو الذى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ، وروى عنه انه قال هو الحريص على ما لا يحل له وعن سعيد ابن جبير شحيحا وعن عكرمة ضجورا وعن جعفر حريصا وعن الحسن والضحاك بخيلا وعن مجاهد شرها وعن الضحاك أيضا الهلوع الذى لا يشبع وعن مقاتل ضيق القلب وعن عطاء عجولا وهذه المعاني كلها تنافى الثبات والقوة والاجتماع والامساك والصبر، وقد قال تعالى (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم) وهذا وان كان قد قيل ان المراد به أنها تنصدع فيموتون فانه كما قيل فى مثل ذلك قد انصدع قلبه وقد تفرق قلبى وقد تشقت قلبى وقد تقسم قلبى، ومنه يقال للخوف قد فرق قلبه ويقال بازاء ذلك هو ثابت القلب مجتمع القلب مجزوع القلب ه

(فصل) قال الله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد) فادخل اللام فى الصمد ولم يدخلها فى أحد لانه ليس فى الموجودات ما يسمى أحدا فى الاثبات مفردا غير مضاف بخلاف النفى وما فى معناه كالشرط والاستفهام فانه يقال هل عندك أحدا وما جاءنى أحد إلا أكرمه وانما استعمل فى العدد المطلق يقال أحد اثنان ويقال احدى عشرة وفى أول الأيام يقال يوم الأحد فان فيه على أصح القولين ابتداء الله خالق السموات والأرض وما بينهما

كما دل عليه القرآن والاحاديث الصحيحة فان القرآن اخبر في غير موضع
 أنه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام، وقد ثبت في الحديث
 الصحيح المتفق على صحته ان آخر المخلوقات كان آدم خلق يوم الجمعة وإذا
 كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على أن أوله كان يوم الاحد لانها ستة هـ
 وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله خلق التربة يوم السبت فهو حديث
 معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخارى وغيره قال البخارى : الصحيح انه
 موقوف على كعب وقد ذكر تعديله البيهقي أيضا وبينوا أنه غلط ليس بما
 رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وهو مما أنكر الخذاق على مسلم لإخراجه
 لمياه لما أنكروا عليه لإخراج أشياء يسيرة وقد بسط هذا في موضع آخر
 وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في قوله (خلق الارض في يومين) قال ابن
 عباس خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وبه قال عبد الله بن سلام
 والضحاك ومجاهد وابن جريج والسدى والاكثرون وقال مقاتل في يوم
 الثلاثاء والاربعاء قال وقد أخرج مسلم حديث أبي هريرة خلق التربة يوم
 السبت قال وهذا الحديث مخالف لما تقدم وهو أصح فصحيح هذا لظنه صحة
 الحديث إذ رواه مسلم ولكن هذا له نظائر روى مسلم أحاديث قد عرف
 أنها غلط مثل قول أبي سفيان لما أسلم أريد أن أزوجه أم حبيبة ولا خلاف
 بين الناس أنه تزوجها قبل اسلام أبي سفيان ولكن هذا قليل جدا، ومثل
 ما روى في بعض طرق حديث صلاة الكسوف انه صلاها بثلاث ركوعات
 وأربع والصواب انه لم يصلها الا مرة واحدة بر كوعين ولهذا لم يخرج
 البخارى إلا هذا وكذلك الشافعى . وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه
 وغيرهما والبخارى سلم من مثل هذا فانه اذا وقع في بعض الروايات غلط
 ذكر الروايات المحفوظة التي تبين غلط الغالط فانه كان أعرف بالحديث

وعلله وأفقّه في معانيه من مسلم ونحوه ، وذكر ابن الجوزي في مواضع آخر
 إن هذا قول ابن إسحق وقال ابن الأنباري وهذا إجماع أهل العلم وذكر
 قولاً ثالثاً في ابتداء الخلق أنه يوم الاثنين وقال قال ابن إسحق وهذا تناقض
 وذكر أن هذا قول أهل الإنجيل والابتداء بيوم الأحد قول أهل التوراة
 وهذا النقل غلط على أهل الإنجيل كما غلط من جعل الأول إجماع أهل
 العلم من المسلمين ، وكان هؤلاء ظنوا أن كل أمة تجعل اجتماعها في اليوم
 السابع من الأيام السبعة التي خلق الله فيها العالم وهذا غلط فإن المسلمين إنما
 اجتمعهم في آخر يوم خلق الله فيه العالم وهو يوم الجمعة لما ثبت ذلك في
 الأحاديث الصحيحة ، والمقصود هنا أن لفظ الأحد لم يوصف به شيء من
 الأعيان إلا الله وحده وإنما يستعمل في غير الله في النفي قال أهل اللغة يقول
 لأحد في الدار ولا تقل فيها أحد ولهذا لم يجرى في القرآن إلا في غير الموجب
 كقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) وكقوله (لستن كأحد
 من النساء) وقوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) وفي الإضافة
 كقوله (فابعثوا أحدكم وجعلنا لأحدهما جنتين) وأما اسم الصمد فقد استعمله
 أهل اللغة في حق المخلوقين كما تقدم فلم يقل الله صمد بل قال الله الصمد
 فيبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ما سواه فإنه المستوجب لغايته
 على الكمال والمخلوق وإن كان صمداً من بعض الوجوه فإن حقيقة الصمدية
 منتفية عنه فإنه يقبل التفرق والتجزئة وهو أيضاً محتاج إلى غيره فإن كل ما سوى
 الله محتاج إليه من كل وجه فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد هو
 إلى شيء إلا الله وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق ويتقسم
 وينفصل بعضه من بعض والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء
 من ذلك بل حقيقة الصمدية وكما لها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم

صمدية بوجه من الوجوه كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه فهو
أحد لا يمانه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه كما قال في آخر السورة
ولم يكن له كفوا أحد استعملها هنا في النفي أى ليس شيء من الأشياء كفوا
له في شيء من الأشياء لأنه أحد ، وقال رجل للنبي ﷺ أنت سيدنا فقال
السيد الله ودل قوله الأحاد الصمد على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد فان الصمد هو الذى لا جوف له ولا أحشاء فلا يدخل فيه شيء فلا
يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى كما قال (أفغير الله أتخذوليا فاطر السموات
والارض وهو يطعم ولا يطعم) وفي قراءة الأعمش وغيره ولا يطعم بالفتح
وقال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق
وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق) ومن مخلوقاته الملائكة وهم صمد
لا يأكلون ولا يشربون فالخالق لهم جل جلاله أحق بكل غنى وكمال جعله
لبعض مخلوقاته فلماذا فسر بعض السلف الصمد بأنه الذى لا يأكل ولا يشرب
والصمد المصمد الذى لا جوف له فلا يخرج منه عين من الاعيان فلا يلد
ولذلك قال من قال من السلف هو الذى لا يخرج منه شيء ليس مرادهم انه
لا يتكلم وان كان يقال في الكلام أنه خرج منه بما قال في الحديث «ما تقرب
العباد الى الله بشيء أفضل مما خرج منه» يعنى القرآن وقال أبو بكر الصديق
لما سمع قرآن مسيلة ان هذا لم يخرج من لآ فخرج الكلام من المتكلم هو
بمعنى أنه يتكلم به فيسمع منه ويبلغ الى غيره ليس بمخلوق في غيره كما يقول
الجهمية ليس بمعنى ان شيئا من الأشياء القائمة به يفارقه وينقل عنه الى
غيره فان هذا يتمتع بصفات المخلوقين ان تفارق الصفة محلها وتنقل الى
غير محلها فكيف بصفات الخالق جل جلاله ، وقد قال تعالى في كلام المخلوقين
(كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) وتلك الكلمة

هي قائمة بالمتكلم وسمعت منه ليس خروجها من فيه ان ما قام بذاته من الكلام
 فارق ذاته وانتقل الى غيره فخرج كل شيء بحسبه ومن شأن العلم والكلام اذا
 استفيد من العالم والمتكلم أن لا ينقص من محله ولهذا شبه بالنور الذي يقتبس
 منه كل أحد الضوء وهو باق على حاله لم ينقص فقول من قال من السلف
 الصمد هو الذي لم يخرج منه شيء كلام صحيح بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه *
 ولهذا امتنع عليه أن يلد وان يولد وذلك أن الولادة والمتولد وكل

ما يكون من هذه الالفاظ لا يكون إلا من أصلين وما كان من المتولد
 عيناً قائمة بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها وما كان عرضاً قائماً بغيره
 فلا بد له من محل يقوم به فالأول نفاه بقوله أحد فان الواحد هو الذي لا كفؤ
 له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة والتولد انما يكون بين شيئين قال
 تعالى (أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم)
 فنفي سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه فان انتفاء اللازم يدل على انتفاء المازوم
 وبانه خالق كل شيء وكل ما سواه مخلوق له ليس فيه شيء مولود له والثاني
 نفاه بكونه سبحانه الصمد وهذا المتولد من أصلين يكون بحزتين ينفصلان
 من الأصاين كتولد الحيوان من أبيه وأمه بالمبنى الذي ينفصل من أبيه وأمه
 فهذا التولد يفتقر الى أصل آخر وإلى أن يخرج منهما شيء وكل ذلك ممتنع
 في حق الله تعالى فانه أحد فليس له كفؤ يكون صاحبة ونظيره او هو صمد
 لا يخرج منه شيء فكل واحد من كونه أحد ومن كونه صمداً يمنع أن
 يكون والداً ويمنع أن يكون مولوداً بطريق الاولى والاخرى *

وكان أن التوالد من الحيوان لا يكون الا من أصلين سواء كان الاصلان
 من جنس الولد وهو الحيوان المتولد أو من غير جنسه وهو المتولد فكذلك
 في غير الحيوان كالنار المتولدة من الزئدين سواء كانا خشبتين أو كانا حجرا

وحديدا أو غير ذلك قال الله تعالى (فالموريات قدحا) وقال تعالى (أفرايتم
النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة
ومتاعا للمقوين) وقال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي
العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي
يجعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) قال غير واحد
من المفسرين هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ والاخرى العفار فن أراد
منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضرا وان يقطر منهما
الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتخرج منهما النار باذن
الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار . وقال
بعض الناس في كل شجرة نار الا العناب فاذا أنتم منه توقدون فذلك زنادهم
وقد قال أهل اللغة الجوهري وغيره الزند الذي يقدح به النار وهو أعلى
والزنده السفلى فيها ثقب وهي الاثني فاذا اجتمعا قيل زندان ، وقال أهل الخبرة
بهذا أنهم يسحقون الثقب الذي في الاثني بالا على كما يفعل ذكر الحيوان في
أنثاه فبذلك السحق والحك يخرج منهما أجزاء ناعمة تنقدح منها النار فتولد
النار من مادة الذكر والاثني كما يتولد الولد من مادة الرجل والمرأة وسحق
الاثني بالذكر وقدحها به يقتضى حرارة كل منهما ويتحلل من كل منهما
مادة تنقدح منها النار كما ان ايلاج ذكر الحيوان في أنثاه بقدح وحك فرجها
بفرجه فتقوى حرارة كل منهما ويتحلل من كل منهما مادة تمتزج بالآخرى
ويتولد منهما الولد ، ويقال علقت النار في المحل الذي يقدح عليه الذي هو
كالرحم للولد وهو الحراق والصوفان ونحو ذلك مما يكون أسرع قبولا للنار
من غيره كما علقت المرأة من الرجل وقد لا تعلق النار كما قد لا تعلق المرأة
وقد لا تنقدح نار كما لا ينزل منى والنار ليست من جنس الزنادين بل تولد

النار منهما كتولد حيوان من الماء والطين فان الحيوان نوعان متوالد كالانسان
وبهيمة الانعام وغير ذلك مما يخلق من ابرين ومتولد كالذي يتولد من الفاكهة
والخل وكالفعل الذي يتولد من وسخ جلد الانسان وكالفار والبراغيث
وغير ذلك مما يخلق من الماء والتراب وقد تنازع الناس فيما يخلق الله من
الحيوان والنبات والمعدن والمطر والنار التي توري بالزناد وغير ذلك هل
تحدث اعيان هذه الاجسام فتقلب هذا الجنس الى جنس آخر كما يقلب
المنى علقة ثم مضغة أو لا تحدث الاعراض وأما الاعيان التي هي الجواهر
فهى باقية بغير صفاتها بما يحدثه فيها من الاكوان الاربعة الاجتماع
والافتراق والحركة والسكون على قولين فالقائلون بان الاجسام مركبة من
الجواهر الفردة التي لا تقبل التجزى كما يقوله كثير من أهل الكلام وأما
من جواهر لانهاية لها كما يحكى عن النظام فالقائلون بان الاجسام مركبة
من الجواهر يقولون ان الله لا يحدث شيئا قائما بنفسه وانما يحدث الاعراض
التي هي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون وغير ذلك من الاعراض
ثم من قال منهم بان الجواهر محدثة قال ان الله أحدثها ابتداء ثم جميع ما يحدثه
انما هو احداث اعراض فيها لا يحدث الله بعد ذلك جواهر وهذا قول أكثر
المعتزلة والجمعية والاشعرية ونحوهم ، ومن أكابر هؤلاء من يظن ان هذا
دين المسلمين ويذكر اجماع المسلمين عليه وهو قول لم يقل به أحد من
سلف الامة ولا جمهور الامة بل جمهور الامة حتى من طوائف أهل الكلام
ينكرون الجوهر الفرد وتركب الاجسام من الجواهر ، وابن كلاب امام
اتباعه هو ممن ينكر الجوهر الفرد وقد ذكر ذلك أبو بكر بن فورك في مصنفه
الذي صنفه في مقالات ابن كلاب وما بينه وبين الاشعري من الخلاف
وهكذا نفى الجوهر الفرد قول الهشامية والضرارية وكثير من الكرامية

والنجارية أيضا ، وهؤلاء القائلون بان الاجسام مركبة من الجواهر الفردة المشهور عنهم بان الجواهر متماثلة بل ويقولون أو أكثرهم ان الاجسام متماثلة لأنها مركبة من الجواهر المتماثلة وانما اختلفت باختلاف الاعراض وتلك صفات عارضة لها ليست لازمة فلا تنفي التماثل فان حد المثاليين أن يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه وكذلك الاجسام المؤلفة من الجواهر ولهذا اذا أثبتوا حكما لجسم قالوا هذا ثابت لجميع الاجسام بناء على التماثل وأكثر العقلاء ينكرون هذا وحدائقهم قد أبطلوا الحجج التي احتجوا بها على التماثل كما ذكر ذلك الرازي والآمدى وغيرهما وقد بسط الكلام على هذا في مواضع والاشعرى في كتاب الابانة جعل القول بتماثل الاجسام من أقوال المعتزلة التي أنكرها وهؤلاء يقولون ان الرب يخص أحد الجسمين المتماثلين باعراض دون الآخر بمجرد المشيئة على أصل الجهمية أو لمعنى آخر بما يقوله القدرية ويقولون يمتنع انقلاب الاجناس فلا ينقلب الجسم عرضا ولا جنسا من الاعراض الى جنس آخر فلو قالوا أن الاجسام مخلوقة وان المخلوق ينقلب من جنس آخر لزم انقلاب الاجناس ف هؤلاء يقولون ان التولد الحاصل في الرحم والتمر الحاصل في الشجر والنار الحاصلة في الزنادي جواهر كانت في المادة التي خالق منها وهي بعينها باقية لكن غيرت صفتها بالاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، ولهذا لما ذكر أبو عبد الله الرازي أدلة اثبات الصانع ذكر أربعة طرق امكان الذوات وحدوثها وامكان الصفات وحدوثها والطرق الثلاثة الاول ضعيفة بل باطلة فان الذوات التي ادعوا حدوثها أو امكانها وامكان صفاتها ذكروها بالفاظ مجملة لا يتميز فيها الخالق عن المخلوق ولم يقيموا على ما ادعوه دليلا صحيحا ، وأما الطريق الرابع وهو الحدوث لما يعلم حدوثه

فهو طريق صحيح وهو طريق القرآن لكن قصروا فيه غاية التقصير فانهم على أصلهم لم يشهدوا حدوث شيء من الذوات بل حدوث الصفات وطريقة القرآن تبين ان كل ماسوى الله مخلوق وانه آية الله وقد بسط الكلام على ما في القرآن من البراهين والآيات التي لم يصل اليها هؤلاء المتكلمة والمتفلسفة وان كل ما عندهم من حق فهو جزء مما دل عليه القرآن في غير موضع والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق وهو القول باثبات الجوهر الفرد كان أصلهم في المعاد مبنيًا عليه فصاروا على قوانين منهم من يقول بعدم الجواهر ثم تعاد ومنهم من قال تتفرق الاجزاء ثم تجتمع فأورد عليهم الانسان الذي يأكله حيوان وذلك الحيوان أكله انسان آخر فان أعيدت تلك الاجزاء من هذا لم تعد من هذا وأورد عليهم ان الانسان يتحلل دائما فإذا الذي يعاد أهو الذي كان وقت الموت ؟ فان قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة وهو خلاف ما جاءت به النصوص وان كان غير ذلك فليس بعض الابدان بأولى من بعض فدعى بعضهم أن في الانسان أجزاء أصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني والعلاء يعلمون ان بدن الانسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق فصار ما ذكره في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الابدان وأوجب ان صار طائفة من النظر الى أن الله يخلق بدنا آخر تعود الروح اليه والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها سواء كان في هذا البدن أو في غيره وهذا أيضا مخالف للنصوص الصريحة بإعادة هذا البدن وهذا المذكور في كتب الرازي فليس في كتبه وكتب أمثاله في مسائل أصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول الذي بعث الله به الرسول وكان عليه سلف الامة وأتمتها بل يذكر بحوث المتفلسفة الملاحدة وبحوث المتكلمين المبتدعة الذين بنوا على أصول

الجهمية والقدرية في مسائل الخلق والبعث والمبدأ والمعاد وظلا الطريقين
 فاسد لذنبه على مقدمات فاسدة والقول الذى عليه السلف وجمهور العقلاء
 من ان الاجسام تنقلب من حال الى حال انما يذكره عن الفلاسفة والاطباء
 وهذا القول وهو القول فى خلق الله للاجسام التى يشاهد حدوثها انه يقبلها
 ويحيلها من جسم الى جسم هو الذى عليه السلف والفقهاء قاطبة والجمهور
 ولهذا يقول الفقهاء فى النجاسة هل تطهر بالاستحالة أم لا كما تستحيل العذرة
 رمادا والخنزير وغيره ملحا ونحو ذلك والمنى الذى فى الرحم يقبله الله علقه
 ثم مضغة وكذلك الثرى يخاق بقلب المادة التى يخرجها من الشجرة من الرطوبة
 مع الهواء والماء الذى نزل عليها وغير ذلك من المواد التى يقبلها ثمرة بمشيئته
 وقدرته وكذلك الحبة يقبلها وتنقلب المواد التى يخلقها منها سنبلة وشجرة
 وغير ذلك وهكذا خلقه لما يخلقه سبحانه وتعالى كما خلق آدم من الطين
 فقلب حقيقة الطين فجعلها عظما ولحما وغير ذلك من أجزاء البدن وكذلك
 المضغة يقبلها عظاما وغير عظام قال الله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من
 سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا
 العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر
 فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة
 تبعثون) وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا كما قال (الذى
 جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) فنفس تلك الاجزاء التى خرجت من
 الشجر الاخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون ثان فى الشجر الاخضر
 نار أصلا كما لم يكن فى الشجرة ثمرة أصلا ولا ثان فى بطن المرأة جنين
 أصلا بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة الى هذا وبما
 ضمه الى هذا من مواد أخرى ، وكذلك الاعادة يعيده بعد أن يبلى كله

الاعجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « كل ابن آدم يبلى الاعجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب » وهو اذا أعاد الانسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة لهذه فان هذه كائنة فاسدة وتلك كائنة لافاسدة بل باقية دائمة وليس لاهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يصقون ولا يتمخطون وانما هو رشح كرشح المسك ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه « قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ (كادب أنا أول خاق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعين) فهم يعودون غلفا لامختونين »

وقال الحسن البصري ومجاهد كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء ، وقال قتادة بدأهم من التراب والى التراب يعودون كما قال تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقال (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) *

وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الثانية باحياء الارض بعد موتها في غير موضع كقوله (وهو الذي يرسل الرياح بشرايين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك الموتي لعلمكم تذكرون) وقال (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي) الى قوله (وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) وقال تعالى (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى

الارض هامة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير) وقال تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فاوحينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) وهو سبحانه مع إخباره أنه يعيد الخلق وأنه يحيي العظام وهي رميم وأنه يخرج الناس من الارض تارة أخرى ويخبر أن المعاد هو المبدأ كقوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) ويخبر أن الثاني مثل الاول كقوله تعالى (وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وقال تعالى (وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسيقضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبئس الاقبيلا) وقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وقال تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) وقال (أفرأيتم ماتموتون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون) والمراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على اعادةهم كما أخبر بذلك في قوله (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى) فان القوم ما كانوا ينازعون في أن الله يخلق في هذه الدار ثانيا أمثالهم فان هذا هو الواقع

المشاهد يخلق قرنا بعد قرن يخلق الولد من الوالدين وهذه هي النشأة الاولى
وقد علموها ، وبها احتج عليهم على قدرته على النشأة الآخرة كما قال (ولقد
علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) وقال (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل
خلق عليم) وقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين
لكم) ولهذا قال (على أن نبذل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) قال الحسن
ابن الفضل البجلي الذي عندي في هذه الآية وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد
علمتم النشأة الاولى بخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف شئت
وذلك أنكم علمتم النشأة الاولى كيف كانت في بطون الامهات وليست
الآخرة كذلك ، ومعلوم أن النشأة الاولى كان الانسان نطفة ثم علقة ثم
مضغة مخلقة ثم ينفخ فيه الروح وتلك النطفة من منى الرجل والمرأة وهو
يغذيه بدم الطمث الذي يريه الله في ظلمات ثلاث . ظلمة المشيمة وظلمة الرحم
وظلمة البطن ، والنشأة الثانية لا يكونون في بطن امرأة ولا يغذون بدم
ولا يكون أحدهم نطفة رجل وامرأة ثم يصير علقة بل ينشؤون نشأة أخرى
وتكون المادة من التراب كما قال (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة أخرى) وقال تعالى (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وقال
(والله أنبئكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخركم لإخراجا) وفي الحديث
«ان الارض تكثر مطرا ثماني الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات» كما
قال تعالى كذلك الخروج كذلك النشور وكذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون
فعلم أن النشأتين نوعان تحت جنس يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه
ويختلفان ويتنوعان من وجه آخر ، ولهذا جعل المعاد هو المبدأ وجعل مثله

أيضا فباعتبار اتفاق المبدأ أو المعاد فهو هو وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله وهكذا كل ما أعيد فلفظ الاعادة يقتضى المبدأ أو المعاد سواء فى ذلك اعادة الاجسام والاعراض كاعادة الصلاة وغيرها فان النبى صلى الله عليه وسلم مر برجل يصلى خلف الصف وحده فامرهُ أن يعيد الصلاة ويقال للرجل : أعد كلامك وفلان قد أعاد كلام فلان بعينه ويعيد الدرس فالكلام هو الكلام وان كان صوت الثانى غير صوت الأول وحركته ولا يطاق القول عليه انه مثله بل قد قال تعالى (قل انن اجتمعتم الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا وان كان يسمى مثلا مقيدا حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال فلان أى مثل هذا قال ويقال فعل هذا عودا على بدء اذا فعله مرة ثانية بعد أولى ومنه البئر البدى والبئر العادى فالبدى التى ابتدأت والعادى التى أعيدت وليست بنسبة الى عاد كما قيل ، ويقال استعدت الشئ فأعاده اذا سألته أن يفعله مرة ثانية ومنه سميت العادة يقال عاده واعتاده وتعوده أى صار عادة له : وعود ظبه الصيد فتعوده وهو من المعاودة والمعاودة الرجوع الى الأمر الأول ويقال الشجاع معاود لانه لا يمل المراس وععودته الحى وععوده بالمسئلة أى سألته مرة بعد مرة وتعاود القوم فى الحرب وغيرها اذا عاد كل فريق الى صاحبه والعواد بالضم ما أعيد من الطعام بعد ما أكل منه مرة أخرى ، وعواد بمعنى عد مثل نزال بمعنى أنزل فى جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الاعادة باعتبار الحقيقة فان الحقيقة الموجودة فى المرة الثانية هى الأولى وان تعدد الشخص ، ولهذا يقال هو مثله ويقال هذا هو هذا وكلاهما صحيح واعنى بالحقيقة الأمر الذى يختص بذلك الشخص ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين فان من فعل مثل فعل غيره لا يقال أعاده

وانما يقال حاله وشابه بخلاف ما اذا فعل ثانيا مثل ما فعل أولا فانه يقال
أعاد فعله وكذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده ولا يقال لمن أنشا
مثله قد أعاده ويقال قرىء على هذا وأعاد على هذا وهذا يقرأ أى يدرس
وهذا يعيد ولو كان كلاما آخر مما يماثله لم يقل فيه يعيد وكذلك من كسر
خاتما أو غيره من المصوغ يقال أعده كما كان ويقال لمن هدم دارا أعدها
كما كانت بخلاف من أنشا أخرى مثلها فان هذا لا يسمى معيدا والمعاد يقال
فيه هذا هو الأول بعينه ويقال هذا مثل الأول من كل وجه ونحو ذلك
من العبارات الدالة على أنه هو من وجه وهو مثله من وجه ، وبهذا نزول
الشبهات الواردة على هذا الموضع كقول من قال الاعادة لا تكون الامع
اعادة ذلك الزمان ونحو ذلك مما يمنع اعادته في صريح العقل وانما يعاد
بالايتان بمثله وان قال بعض المتكلمين انه لا مغايرة أصلا بوجه من الوجوه
والاعادة التى أخبر الله بها هى الاعادة المعقولة في هذا الخطاب وهى الاعاة
التي فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله ﷺ وهى التى يدل عليها
لفظ الاعادة والمعاد هو الأول بعينه وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم
البداة فرق فذلك الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الأول لان الجسد الثانى
مباين للأول من كل وجه كما زعم بعضهم ولان النشأة الثانية كالاولى من
كل وجه كما ظن بعضهم ولما انه سبحانه خلق الانسان ولم يكن شيئا كذلك
يعيده بعد أن لم يكن شيئا ، وعلى هذا فالانسان الذى صار ترابا ونبت من
ذلك التراب نبات أكله انسان آخر وهلم جرا والانسان الذى أكله انسان
أوحىوان وأكل ذلك الحيوان انسانا آخر ففى هذا كله قد عدم هذا الانسان
وهذا الانسان فصار كل منهما ترابا كما كان قبل أن يخلق ثم يعاد هذا
ويعاد هذا من التراب انما يبقى عجب الذنب منه خلق ومنه يركب *

وأما سائرہ فعدم فبعاد من المادة التي استحال إليها فإذا استحال في القبر الواحد ألف ميت وصاروا كلهم ترابا فانهم يعادون ويقومون من ذلك القبر وينشئهم الله تعالى بعد أن كانوا عدا محضاً كما أنشأهم أولاً بعد أن كانوا عدا محضاً وإذا صار ألف إنسان تراباً في قبر أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن يحتاج أن يخلقهم كما خلقهم في النشأة الأولى التي خلقهم منها من نقطة ثم من علقه ثم من مضغة وجعل نشأتهم بما يستحيل إلى أبدانهم من الطعام والشراب كما يستحيل إلى بدن أحدهم ما يأكله من نبات وحيوان وكذلك لو أكل إنسانا أو أكل حيوانا قد أكل إنسانا فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الاستحالة بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نقطة إلى علقه إلى مضغة ومن غير أن يغذوها بدم الطمث ومن غير أن يغذوها بلبن الأم وبسائر ما يأكله من الطعام والشراب فمن ظن أن الاعادة تحتاج إلى اعادة الاغذية التي استحالت إلى أبدانهم فقد غلط وحسبنا فإذا أكل إنسان إنسانا فانما صار غذاء له كسائر الاغذية وهو لا يحتاج إلى اعادة الاغذية ومعلوم ان الغذاء ينزل إلى المعدة طعاما وشرابا ثم يصير كلوسا كالتردة ثم كيموسا كالحريره ثم ينطبخ دما فيقسمه الله تعالى في البدن كله ويأخذ كل جزء من البدن نصيبه فيستحيل الدم إلى شبيه ذلك الجزء العظم عظاما واللحم لحما والعرق عرقا وهذا في الرزق كاستحالتهم في مبدأ الخلق نقطة ثم علقه ثم مضغة وكما أنه سبحانه لا يحتاج في الاعادة إلى أن يحيل أحدهم نقطة ثم علقه ثم مضغة فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها فاكهة ولحما ثم يجعلها كلوسا وكيموسا ثم دما ثم عظاما ولحما وعروقا بل يعيد هذا البدن على صفة أخرى لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة كما قال (وننشئكم فيما لا تعلمون) ولا يحتاج مع ذلك إلى شيء من هذه الاستحالات التي كانت في النشأة الأولى وبهذا يظهر الجواب عن

قوله البدن دائما في التحلل فان تحلل البدن ليس باعجب من انقلاب النطفة
علقة والعلقة مضغة وحقيقة كل منهما خلاف حقيقة الأخرى *

وأما البدن المتحلل فالاجزاء الثانية تشابه الأولى وتمائلها وإذا كان في
الاعادة لا يحتاج الى انقلابه من حقيقة الى حقيقة فكيف بانقلابه بسبب
التحلل ومعلوم أن من رأى شخصا وهو شاب ثم رآه وهو شيخ علم أن
هذا هو ذلك مع هذه الاستحالة وكذلك سائر الحيوان والنبات كمن غاب
عن شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي الأولى مع أن التحلل
والاستحالة ثابت في سائر الحيوان والنبات كما هو في بدن الانسان ولا يحتاج
عاقل في اعتقاده أن هذه الشجرة هي الأولى وأن هذه الفرس هي التي
كانت عنده من سنين ولا أن هذا الانسان هو الذي رآه من عشرين سنة الى
أن يقدر بقاء أجزاء اصلية لم تتحلل ولا يخطر هذا ببال أحد ولا يقتصر
العقلاء في قولهم هذا هو ذلك على تلك الاجزاء التي لا تعرف ولا تتميز عن
غيرها بل انما يشيرون الى جملة الشجرة والفرس والانسان مع أنه قد يكون
كان صغيرا فكبر ولا يقال انما كان هو ذلك باعتبار ان النفس الناطقة واحدة
كما زعمه من ادعى ان البدن الثاني ليس هو الاول ولكن المقصود جزاء
النفس بنعيم أو عذاب ففى أى بدن كانت حصل المقصود فان هذا أيضا
باطل مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف مخالف للمعقول من الاعادة
فانا قد ذكرنا أن العقلاء ظلم يقولون هذا الفرس هو ذلك وهذه الشجرة
هي تلك التي كانت من سنين مع علم العقلاء ان النبات ليس له نفس ناطقة
تفارقه وتقوم بذاتها وكذلك يقولون مثل هذا في الحيوان وفي الانسان
مع أنه لم يخطر بقلوبهم ان المشار اليه بهذا وذاك نفس مفارقة بل قد لا يخطر
هذا بقلوبهم فدل على أن العقلاء كانوا يعلمون أن هذا البدن هو ذلك مع

وجود الاستحالة وعلم بذلك أن ما ذكر من الاستحالة لا ينافي أن يكون البدن الذي يعاد في النشأة الثانية هو هذا البدن ولهذا يشهد البدن المعاد بما عمل في الدنيا كما قال تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) وقال تعالى (حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) ومعلوم أن الإنسان لو قال أوفعل فعلا أو رأى غيره يفعل أو سمعه يقول ثم بعد ثلاثين سنة شهد على نفسه بما قال أوفعل وهو الإقرار الذي يؤخذ بموجبه أو شهد على غيره من الأموال وأقر به من الحقوق لكانت الشهادة على عين ذلك المشهود عليه مقبولة مع استحالة بدنه في هذه المدة الطويلة ولا يقول عاقل من العقلاء أن هذه الشهادة على مثله أو على غيره ولو قدر أن المعين حيوان أو نبات وشهد أن هذا الحيوان قبضه هذا من هذا وإن هذا الشجر سلبه هذا إلى هذا كان كلاما معقولا مع الاستحالة وإذا كانت الاستحالة غير مؤثرة فقول القائل يعيده على صفة ما كان وقت موته أو سمته أو هزاله وغير ذلك جهل منه فإن صفة تلك النشأة الثانية ليست ماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال أن الصفات هي المغيرة إذ ليس هناك استحالة ولا استفراغ ولا امتلاء ولا سمن ولا هزال لاسيما أهل الجنة إذا دخلوها فانهم يدخلونها على صورة أبيهم آدم طول أحدهم ستون ذراعا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما وروى ابن عرسه سبعة أذرع وهم لا يولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخضون وليست تلك النشأة من اخلاط متضادة حتى يستلزم مفارقة بعضها بعضا كما هي هذه النشأة ولا طعامهم مستحيلا ولا شرابهم مستحيلا من التراب والماء والهواء كما هي أطعماتهم في هذه النشأة ولهذا بقي الله طعام الذي مر على قرية

وشرابه مائة عام لم يتغير ودلنا سبحانه بهذا على قدرته فاذا كان في دار الكون
والفساد يبقى الطعام الذي هو رطب وعنب أو نحو ذلك والشراب الذي
هو ماء أو ما فيه ماء مائة عام لم يتغير فقدرته سبحانه وتعالى على أن يجعل
الطعام والشراب في النشأة الاخرى لا يتغير بطريق الاولى والاخرى ،
وهذه الامور لبسطها موضع آخر *

فصل في المقصود هنا ان التولد لا بد له من اصلين وان
ظن ظان ان نفس الهواء الذي بين الزنادين يستحيل نارا بسخوته من
غير مادة تخرج منهما تنقلب نارا فقد غلط وذلك لانه لا تخرج نار ان
لم يخرج منهما مادة بالحك ولا تخرج النار بمجرد الحك ، وأيضا فانهم
يقدرحون على شيء أسفل من الزنادين كالصوفان والحراق فتزول النار عليه
وانما ينزل الثقل فلولا أن هناك جزءا ثقيلًا من الزناد الحديد والحجر
لما نزلت النار ولو كان الهواء وحده انقلب نارا لم ينزل لان الهواء طبعه
الصعود لا الهبوط لكن بعد أن تنقلب المادة الخارجة نارا قد ينقلب الهواء
القريب منها نارا اما دخانا واما لهيبا ، والمقصود أن المتولدات خلقت
من اصلين كما خلق آدم من التراب والماء والافالتراب المحض الذي لم
يختلط به ماء لا يخاق منه شيء لاحيوان ولا نبات والنبات جميعه انما يتولد
من اصلين أيضا ، والمسيح خاق من مريم ونفخة جبريل كما قال تعالى :
(ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال
(والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) وقال (فأرسلنا اليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما
أنا رسول ربك لأهبطك غلاما زكيا) وقد ذكر المفسرون ان جبريل
نفخ في جيب درعها والجيب هو الطوق الذي في العنق ليس هو ما يسميه

بعض العامة جيبا وهو ما يكون في مقدم الثوب لوضع الدراهم ونحوها ،
وموسى لما أمره الله أن يدخل يده في جيبه هو ذلك الجيب المعروف في
اللغة ، وذكر أبو الفرج وغيره قولين هل كانت النفخة في جيب الدرع أو في
الفرج ؟ فان من قال بالأول قال في فرج درعها وان من قال هو مخرج الولد
قال انها كناية عن غير مذكور لانه انما نفخ في درعها لاني فرجها
وهذا ليس بشيء بل هو عدول عن صريح القرآن وهذا النقل ان كان
ثابتا لم يناقض القرآن وان لم يكن ثابتا لم يلتفت اليه فان من نقل ان جبريل
نفخ في جيب الدرع فراحه انه عليه السلام لم ينكشف بدنها وكذلك جبريل كان
اذا أتى النبي عليه السلام وعائشة متجردة لم ينظر اليها متجردة فنفخ في جيب
الدرع فوصلت النفخة الى فرجها ، والمقصود انما هو النفخ في الفرج كما أخبر
الله به في آيتين والا فالنفخ في الثوب فقط من غير وصول النفخ الى الفرج
مخالف للقرآن مع انه لا تأثير له في حصول الولد ولم يقل ذلك أحد
من أئمة المسلمين ولا نقله أحد عن عالم معروف من السلف *

والمقصود هنا ان المسيح خلق من أصلين من نفخ جبريل ومن أمه مريم
وهذا النفخ ليس هو النفخ الذي يكون بعد مضي أربعة أشهر والجنين مضغعة فان
ذلك نفخ في بدن قد خلق وجبريل حين نفخ لم يكن المسيح خلق بعد ولا كانت
مريم حملت وانما حملت به بعد النفخ بدليل قوله : (قال انما أنا رسول ربك
لاهب لك غلاما زكيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) فلما نفخ فيها جبريل
حملت به ولهذا قيل في المسيح روح منه باعتبار هذا النفخ وقد بين الله سبحانه
أن الرسول الذي هو روحه وهو جبريل هو الروح الذي خاطبها وقال انما أنا
رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فقوله ونفخنا فيها أوفيه من روحنا أي من
هذا الروح الذي هو جبريل وعيسى روح من هذا الروح فهو روح من الله بهذا

الاعتبار ومن لا ابتداء الغاية ، والمقصود هنا أنه قد يكون الشيء من أصلين
 بانقلاب المادة التي بينهما اذا التقيا وبينهما مادة فتقلب وذلك لقوة حك
 أحدهما بالآخر فلا بد من نقص أجزائها وهما مثل تولد الناريين الزنديين اذا
 قدح الحجر بالحديد أو الشجر بالشجر كالمرخ والغفار فانه بقوة الحرارة
 الحاصلة من قدح أحدهما بالآخر يستحيل بعض أجزائهما ويستخرج الهواء الذي
 بينهما فيصير نارا والزندان كلها قدح أحدهما بالآخر نقصت احدهما بقوة
 الحك فهذه النار استحال عن الهواء وتلك الاجزاء بسبب قدح أحد
 الزنديين بالآخر وكذلك النور الذي يحصل بسبب انعكاس الشعاع على
 ما يقابل المضيء كالشمس والنار ، فان لفظ النور والضوء يقال تارة على
 الجسم القائم بنفسه كالنار التي في رأس المصباح وهذه لا تحصل الابادة
 تنقلب نارا كالخطب والدهن ويستحيل الهواء أيضا نارا ولا ينقلب الهواء
 نارا الابتنى المادة التي اشتعلت أو نقص الزنديين ، وتارة يراد باللفظ
 النور والضوء والشعاع الشعاع الذي يكون على الارض والمحيطان من
 الشمس أو من النار فهذا عرض ليس بجسم قائم بنفسه لا بدله من محل يقوم
 به يكون قابلا له فلا بد في الشعاع من جسم مضيء ولا بد من شيء يقابله
 حتى ينعكس عليه الشعاع وكذلك النار الحاصلة في ذبالة المصباح فاذا وضعت
 في النار أو وضع فيها خطب فان النار تحل أولا المادة التي هي الدهن
 أو الخطب فيسخن الهواء المحيط بها فينقلب نارا وانما ينقلب بعد نقص المادة
 وكذلك الريح التي تحرك النار مثل مانهب الريح فيشتعل في الخطب ومثل
 ما ينفخ في الكبر وغيره تبقى الريح المنفوخة تضرم النار لما في محل النار
 كالخشب والفحم من الاستعداد لانقلابه نارا وما في حركة الريح القوية
 من تحريك النار الى المحل القابل له ، وقد ينقلب أيضا الهواء القريب من

النار فان اللهب هو الهواء انقلب نارا مثل ما في زباله المصباح ، ولهذا اذا
 حطفت صار دخانا وهو هواء مختلط بنار كالبخار وهو هواء مختلط بماء
 والبخار هواء مختلط بتراب ، وقد يسمى البخار دخانا ومنه قوله تعالى : (ثم
 استوى الى السماء وهي دخان) قال المفسرون : بخار الماء كما جاءت الآثار
 ان الله خالق السموات من بخار الماء وهو الدخان فالدخان الهواء المختلط
 بمشي . حار ثم قد لا يكون فيه ماء وهو الدخان الصرف وقد يكون فيه ماء
 فهو دخان وهو بخار كبخار القدر وقد يسمى الدخان بخارا فيقال لمن
 استجمر بالطيب تبخر وان كان لارطوبة هنا بل دخان الطيب سمي بخارا
 قال الجوهرى بخار الماء ما يرتفع منه كالدخان والبخور بالفتح ما يتبخر
 به لكن انما يصير الهواء نارا بعد أن تذهب المادة التي انقلبت نارا
 كالخطب والذهن فلم تتولد النار الا من مادة كالم يتولد الحيوان الا
 من مادة .

فصل في المقصود أن كل ما يستعمل فيه لفظ التولد من
 الأعيان القائمة فلا بد أن يكون من أصلين ومن انفصال جزء من الأصل
 وإذا قيل في الشيع والرى انه متولد أوفى زهوق الروح ونحو ذلك من
 الأعراض أنه متولد فلا بد في جميع ما يستعمل فيه هذا اللفظ من أصلين
 لكن العرض يحتاج الى محل لا يحتاج الى مادة تنقلب عرضا بخلاف الأجسام
 فانها انما تخلق من مواد تنقلب أجساما كما تنقلب الى نوع آخر كالتحولات
 الماء علقه ثم مضغة وغير ذلك من خلق الحيوان والنبات ، وأما ما كان
 من أصل واحد كخلق حواء من ضلع القصرى وهو وان كان مخلوقا
 من مادة أخذت من آدم فلا يسمى هذا تولدا ولهذا لا يقال ان آدم ولد
 حواء ولا يقال انه أبو حواء بل خلق الله حواء من آدم كما خلق آدم من الطين *

وأما المسيح فيقال انه ولدته مريم ويقال المسيح ابن مريم فكان المسيح جزءا من مريم وخلق بعد نفخ الروح في فرج مريم لما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وفي الأخرى (فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) •

وأما حواء خلقتها الله من مادة أخذت من آدم كما خلق آدم من المادة الأرضية وهي الماء والتراب والريح الذي أبسه حتى صار صلصا لافلهذا لا يقال آدم ولد حواء ولا آدم ولده التراب ، ويقال في المسيح ولدته مريم فانه كان من أصلين من مريم ومن النفخ الذي نفخ فيها جبريل قال الله تعالى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لا هب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) الى آخر القصة فهى انما حملت به بعد النفخ لم تحمل به مدة بلا نفخ ثم نفخت فيه روح الحياة كسائر الأدميين ففرق بين النفخ للحمل وبين النفخ لروح الحياة ، فتبين أن ما يقال انه متولد من غيره من الاعيان القائمة بنفسها فلا يكون الامن مادة تخرج من ذلك الوالد ولا يكون الامن أصلين والرب تعالى صمد فيمتنع أن يخرج منه شىء وهو سبحانه لم يكن له صاحبة فيمتنع أن يكون له ولد * وأما ما يستعمل من تولد الاعراض كما يقال تولد الشعاع وتولد العلم عن الفكر وتولد الشبع عن الاكل وتولدت الحرارة عن الحركة ونحو ذلك فهذا ليس من تولد الاعيان مع ان هذا لا بد له من محل ولا بد له من أصلين ولهذا كان قول النصارى ان المسيح ابن الله مستلزما لان يقولوا

ان مريم صاحبة الله فيجعلون له زوجة وصاحبة كما جعلوا له ولدا باى معنى
فسروا كونه ابنه فانه يفسر الزوجة بذلك المعنى والادلة بتزيهه عن الصاحبة
توجب تزيهه عن الولد فاذا كانوا يصفونه بما هو أبعد عن اتصافه به كان
اتصافه بما هو أقل بعداً لازماً لهم وقد بسط هذا في الرد على النصارى

(فصل في قول اليهود والنصارى في الرب جل وعز)

وهذا مما يبين ان مانزه الله نفسه ونفاه عنه بقوله (لم يلد ولم يولد)
هو بقوله (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لسكاذبون) وقوله
(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه
وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم
تكُنْ له صاحبة وخاق كل شيء وهو بكل شيء عليم) يعم جميع
الانواع التى تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما ان منافاه من اتخاذ
الولد يعم أيضاً جميع أنواع الاتخاذات لاصطفاؤه كما قال تعالى (وقالت
اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر
من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والارض
وهو ايئنها واليه المصير) قال السدى: قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل ان
ولدك بكرى من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم
وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد أخرجوا كل محتون من بنى اسرائيل وقد
قال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) وقال (وقل الحمد لله
الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل)
وقال (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذى له
ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك
وخلق كل شيء فقدره تقديراً وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون
 إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم أني إله من دونه
 فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (وقال (وقال الله لا تتخذوا الهين
 اثنين إنما هو اله واحد فإياي فارهبون وله ما في السموات والأرض وله الدين
 واصبا (إلى قوله (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) إلى قوله (ويجعلون لله
 البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) وقال (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى
 في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أناثا
 أنكم لتقولون قولاً عظيماً لقد صرفنا في هذا القرآن لذكركم وما يزيدهم
 إلا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سيلا)
 وقال (فاستفتهم أولئك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة أناثا وهم
 شاهدون إلا أنهم من أنكم ليقولون ولد الله وأنهم لكاذبون أصطفي البنات
 على البنين ما لكم كيف تحكون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم
 أن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة أنهم لم يحضروا
 سبحانه الله عما يصفون الأعباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه
 بفاتين إلا من هو صال الجحيم) وقال (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
 الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى أن هي إلا أسماء
 سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان أن يتبعون إلا الظن
 وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) إلى قوله (أن الذين
 لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) وقال تعالى (وجعلوا
 لله من عباده جزءا) *

قال بعض المفسرين جزءا أي نصيبا وبعضاً ، وقال بعضهم جعلوا لله نصيباً
 من الولد ، وعن قتادة ومقاتل عدلاً وكلاً القولين صحيح فانهم يجعلون له ولداً

والولد يشبه أباه ولهذا قال (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا) أى البنات كما قال فى الآية الأخرى (واذا بشر أحدهم بالأنثى) فقد جعلوها للرحمن مثلا وجعلوا له من عباده جزءا فإن الولد جزء من الوالد كما تقدم قال عليه السلام (إنما فاطمة بضعة منى ، وقوله) وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال الكلبي نزلت فى الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان فانه خالق النور والناس والدواب والأنعام وابلis خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ، وأما قوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) فقبل هو قولهم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنالا اجتماعهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقادة ، وقيل قالوا لحي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس وهم بنات الله ، وقال الكلبي قالوا لعنهم الله ، بل بذور تخرج منها الملائكة وقوله (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قال بعض المفسرين كالثعلبي وهم كفار العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله واليهود قالوا عزيز ابن الله (فصل فى عقائد العرب فى الرب وتحقيق عقائد النصارى فيه جل وعز)

والذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما نقل عنهم من انه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نقاه عنه بامتناع صاحبة وبامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد ، وقوله (ولم تكن له صاحبة) وهذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء فى ذلك تولد الأعيان التى تسمى الجواهر وتولد الاعراض والصفات بل ولا يكون تولد الأعيان الا بانفصال جزء من الوالد فاذا امتنع أن يكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد وقد علموا كلهم أن لا صاحبة له لامن الملائكة ولا من الجن ولا من الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة فلهذا احتج بذلك عليهم ، وما حكي عن بعض كفار العرب انه صاهر الجن فهذا فيه نظر وذلك ان كان قد قيل فهو بما يعلم

انتفاؤه من وجوه كثيرة وكذلك ما قالته النصارى من أن المسيح ابن الله
وما قاله طائفة من اليهود أن العزيز ابن الله فإنه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا *
فان قيل : اما عوام النصارى فلا تنضبط أقوالهم وأما الموجود في كلام
علمائهم وكتبهم فانهم يقولون ان أقدم الكلمة ويسمونها الابن تدرع المسيح
أى اتخذته درعا كما يتدرع الانسان قيصه فاللاهوت تدرع الناسوت ويقولون
باسم الآب والابن وروح القدس اله واحد ، قيل قصدتم ان الرب موجود
حتى علم فالموجود هو الآب والعلم هو الابن والحياة هو روح القدس هذا
قول كثير منهم ، ومنهم من يقول بل موجود عالم قادر ويقول العلم هو
الكلمة وهو المتدرع والقدرة هي روح القدس فهم مشتركون في ان المتدرع
هو أقدم الكلمة وهي الابن *

ثم اختلفوا في التدرع واختلفوا هل هما جوهر أو جوهران ؟ وهل
هما نسبة أو نسبتان ولهم في الحلول والاتحاد كلام مضطرب ليس هذا موضع
بسطه فان مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه فان قولهم
ليس مأخوذا عن كتاب منزل ولا نبى مرسل ولا هو موافق لعقول العقلاء
فقالته اليعقوبية صار جوهرها واحدا وطبيعة واحدة وأقنوما واحدا كالماء
في الابن ، وقالت النسطورية بل هما جوهران وطبيعتان ومشيتان لكن حل
اللاهوت في الناسوت حلول الماء في الظرف ، وقالت الملكية بل هما جوهر
واحد له مشيتان وطبيعتان أو فعلا كالنار في الحديد وقد ذهب بعض الناس
الى ان قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) هم
اليعقوبية ، وفي قوله (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هم الملكية ، وقوله
(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) هم النسطورية وليس بشئ
بل الفرق الثلاث تقول المقالات التى حكاه الله عز وجل عن النصارى

فكلهم يقولون انه الله ويقولون انه ابن الله وكذلك في أمانتهم التي هم متفقون عليها يقولون اله حق من اله حق ، وأما قوله ثالث ثلاثة فانه قال تعالى (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) •

قال أبو الفرج ابن الجوزي في قوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) قال المفسرون معنى الآية ان النصارى قالوا الالهية مشتركة بين الله وعيسى وهريم كل واحد منهم اله وذكر عن الزجاج الغلو بمجازرة القدر في الظلم وغلو النصارى في عيسى قول بعضهم هو الله وقول بعضهم هو ابن الله وقول بعضهم هو ثالث ثلاثة فعلماء النصارى الذين فسروا قولهم هو ابن الله بما ذكروه من ان الكلمة هو الابن والفرق الثلاثة متفقة على ذلك وفساد قولهم معلوم بصريح العقل من وجوه ، أحدها انه ليس في شيء من كلام الانبياء تسمية صفة الله ابناً لا لثلامه ولا غيره فتسميتهم صفة الله ابناً تحريف لكلام الانبياء عن مواضعه ، وما نقلوه عن المسيح من قولهم عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس لم يرد بالابن صفة الله التي هي كلمته ولا بروح القدس حياته فانه لا يوجد في كلام الانبياء ارادة هذا المعنى كما قد بسط هذا في الرد على النصارى ، الوجه الثاني أن هذه الكلمة التي هي الابن أي صفة الله قائمة به أم هي جوهر قائم بنفسه ؟ فان كانت صفته بطل مذهبهم من وجوه •

أحدها أن الصفة لا تكون لها يرزق ويخاق ويمحي ويميت والمسيح عندهم اله يخلق ويرزق ويمحي ويميت فإذا كان الذي تدركه ليس بآله فهو أولى أن لا يكون إلهاً ، الثاني أن الصفة لا تقوم بغير الموصوف فلا تفارقه وأن قالوا نزل عليه كلام الله وقالوا انه الكلمة أو غير ذلك فهذا قدر مشترك

بينه وبين سائر الانبياء ، الثالث أن الصفة لا تتحد وتندرع شيئا الا مع
الموصوف فيكون الاب نفسه هو المسيح والنصارى متفقون على انه ليس
هو الاب فان قولهم متناقض ينقض بعضه بعضا يجعلونه لهما يخلق ويرزق
ولا يجعلونه الاب الذي هو الاله ويقولون اله واحد وقد شبهه بعض
متكلميهم كيجي بن عدى بالرجل الموصوف بأنه طبيب وحاسب وكاتب
وله بكل صفة حكم فيقال هذا حق لكن قولهم ليس نظير هذا فاذا قلتم ان
الرب موجود حتى عالم وله بكل صفة حكم فمعلوم أن المتحد ان كان هو الذات
المتصفة فالصفات كلها تابعة لها فانه اذا تدرع زيد الطبيب الحاسب الكاتب
درعا كانت الصفات كلها قائمة به وان كان المتدرع صفة دون صفة عاد
المحذور ، وان قالوا المتدرع الذات بصفة دون صفة لزم افتراق الصفتين وهذا
ممتنع فان الصفات القائمة بموصوف واحد وهي لازمة له لا تفترق وصفات
المخلوقين قديمين عدم بعضها مع بقاء الباقي بخلاف صفات الرب تعالى *
الرابع ان المسيح نفسه ليس هو كلمات الله ولا شيئا من صفاته بل هو مخلوق
بكلمة الله وسمى كلمة لانه خلق بكن من غير الحبل المعتاد كما قال تعالى (ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال
تعالى (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ
من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) ولو قدر أنه نفسه
كلام الله بالتوراة والانجيل وسائر كلام الله لم يكن كلام الله ولا شيء من
صفاته خالقا ولا ربا ولا لهما فالنصارى اذا قالوا ان المسيح هو الخالق كانوا
ضالين من جهة جعل الصفة خالقة ومن جهة جعله هو نفس الصفة وإنما هو
مخلوق بالكلمة ثم قولهم بالتثليث وان الصفات ثلاث باطل ، وقولهم أيضا
بالحلول والاتحاد باطل فقولهم يظهر بطلانه من هذه الوجوه وغيرها *

فلو قالوا ان الرب له صفات قائمة به ولم يذكروا اتحادا ولا حلولا كان هذا قول جماهير المسلمين المثبتين للصفات وان قالوا ان الصفات اعيان قائمة بنفسها فهذا مكابرة فهم يجمعون بين المتناقضين وأيضا فجعلهم عدد الصفات ثلاثة باطل فان صفات الرب أكثر من ذلك فهو سبحانه موجود حتى عليم قدير والاقانيم عندهم التي جملوها الصفات ليست الا ثلاثة ولهذا تارة يفسرونها بالوجود والحياة والعلم وتارة يفسرونها بالوجود والقدرة والعلم واضطرابهم كثير فان قولهم في نفسه باطل ولا يضبطه عقل عاقل ولهذا يقال لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولاً ، وأيضا فكلمات الله كثيرة لانهاية لها كما قال سبحانه وتعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) وهذا قول جماهير الناس من المسلمين وغير المسلمين وهذا مذهب سلف الامة الذين يقولون لم يزل سبحانه متكلماً بمشيئته ، وقول من قال انه لم يزل قادرا على الكلام لكن تكلم بمشيئته كلاما قائما بذاته حادثا وقول من قال كلامه مخلوق في غيره وأما من قال كلامه معناه شيء واحد قديم العين فهو لاء منهم من يقول انه أمور لانهاية لها مع ذلك ومنهم من يقول بل هو معنى واحد ولكن العبارات عنه متعددة وهو لاء يمتنع عندهم أن يكون ذلك المعنى قائما بغير الله وانما يقوم بغيره عندهم العبارات المخلوقة ويمتنع أن يكون المسيح شيئا من تلك العبارات فلا يمتنع أن يكون المسيح غير كلام الله على قول هؤلاء وعلى قول الجمهور أشد امتناعا لأن كلمات الله كثيرة والمسيح ليس هو جميعها بل ولا مخلوقا بجميعها وانما خلق بكلمة منها وليس هو عين تلك الكلمة فان الكلمة صفة من الصفات والمسيح عين قائم بنفسه ، ثم يقال لهم : تسميتكم العلم والكلمة ولدا وابنا تسمية باطلة باتفاق العلماء

والعقلاء ولم ينقل ذلك عن أحد من الأنبياء قالوا لأن الذات يتولد عنها العلم والكلام كما يتولد ذلك عن نفس الرجل العالم منها فيتولد من ذاته العلم والحكمة والكلام فلهذا سميت الكلمة ابنا ، قيل هذا باطل من وجوه ، أحدها ان صفاتنا حادثة تحدث بسبب تعلمنا ونظرنا وفكرنا واستدلالنا وأما كلمة الرب وعلمه فهو قديم لازم لذاته فيمتنع أن يوصف بالتولد إلا أن يدعى المدعى أن كل صفة لازمة لموصوفها متولدة عنه وهي ابن له ومعلوم أن هذا من أبطل الأمور في العقول واللغات فان حياة الانسان ونطقه وغير ذلك من صفاته اللازمة له لا يقال انها متولدة عنه وانها ابن له وأيضا فيلزم أن تكون حياة الرب أيضا ابنه ومتولدة وكذلك قدرته والافا الفرق بين تولد العلم وتولد الحياة والقدرة وغير ذلك من الصفات ، وثانيهما أن هذا ان كان من باب تولد الجواهر والأعيان القائمة بنفسها فلا بدله من أصلين ولا بد أن يخرج من الأصل جزء وأما علمنا وقولنا فليس عينا قائما بنفسه وان كان صفة قائمة بموصوف وعرضا قائما في محل كعلمنا وكلامنا فذاك أيضا لا يتولد الا عن أصلين ولا بدله من محل يتولد فيه والواحد منا لا يحدث له العلم والكلام الا بمقدمات تتقدم على ذلك وتكون أصلا للفرع ويحصل العلم والكلام في محل لم يكن حاصلًا فيه قبل ذلك •

﴿فان قلتم﴾ ان علم الرب كذلك لزم أن يصير عالما بالاشياء بعد أن لم يكن عالما بها وان تصير ذاته متكلمة بعد أن لم يكن متكلمًا وهذا مع انه كفر عند جماهير الامم من المسلمين والنصارى وغيرهم فهو باطل في صريح العقل فان الذات التي لا تكون عالمة يمتنع أن تجعل نفسها عالمة بلا أحد يعلمها والله تعالى يمتنع عليه أن يكون متعلما من خلقه وكذلك الذات التي

تكون عاجزة عن الكلام يمنع أن تصير قادرة عليه بلا احد يجعلها قادرة
والواحد منها لا يولد جميع علومه بل ثم علوم خلقت فيه لا يستطيع دفعها
فاذا نظر فيها حصلت له علوم أخرى فلا يقول أحد من بنى آدم : ان الانسان
يولد علومه كلها ولا يقول أحد انه يجعل نفسه متكلمة بعد أن لم تكن متكلمة
بل الذى يقدر على النطق هو الذى أنطق كل شيء ، فان قالوا ان الرب يولد
بعض علمه وكلامه دون بعض بطل تسمية العلم الذى هو الكلمة مطلقا
الابن وصار لفظ الابن انما يسمى به بعض علمه أو بعض كلامه وهم يدعون
ان المسيح هو الكلمة وهو أقنوم العلم مطلقا وذلك ليس متولد عنه كله ولا
يسمى له ابنا باتفاق العقلاء ، وثالثها أن يقال تسمية علم العالم وكلامه ولداً
له لا يعرف فى شيء من اللغات المشهورة وهو باطل بالعقل فان علمه وكلامه
كقدرته وعلمه فان جاز هذا جاز تسمية صفات الانسان كلها الحادثة متولدات
عنه له وتسميتها أبناءه ، ومن قال من أهل الكلام القدرية ان العلم الحاصل
بالنظر متولد عنه فهو كقوله ان الشبع والرى متولد عن الاكل والشرب
ثم لا يقول ان العلم ابنه وولده كما لا يقول ان الشبع والرى ابنه ولاولده
لان هذا من باب تولد الاعراض والمعانى القائمة بالانسان وتلك لا يقال
انها اولاده وأبناؤه ومن استعار فقال بنيات فكره فهو كما يقال بنيات الطريق
ويقال ابن السبيل ويقال لطير الماء ابن ماء ، وهذه تسمية مقيدة قد عرف
أنها ليس المراد بها ما هو المعقول من الاب والابن والوالد والولد ، وأيضا
فكلام الانبياء ليس فى شيء منه تسمية شيء من صفات الله ابنا فن حمل
شيئا من كلام الانبياء على ذلك فقد كذب عليهم وهذا مما يقربه علماء
النصارى وما وجد عندهم من لفظ الابن فى حق المسيح واسرائيل وغيرهما
هو اسم للمخلوق لا لشيء من صفات الخالق والمراد به انه مكرم معظم .

ورابعها أن يقال فإذا قدر ان الامر كذلك فالذى حصل للمسيح ان كان هو ماعلمه الله اياه من علمه وكلامه فهذا موجود لسائر التبيين فلا معنى لتخصيصه بكونه ابن الله وان كان هو ان العلم والكلام اله اتحد به فيكون العلم والكلام جوهرًا قائمًا بنفسه فان كان هو الاب فيكون المسيح هو الاب وان كان العلم والكلام جوهرًا آخر فيكون الهان قائمان بأنفسهما فتبين فساد ماقلوه بكل وجهه وخامسها أن يقال من المعلوم عند الخاصة والعامة ان المعنى الذى خص به المسيح انما هو ان خلق من غير أب فلما لم يكن له أب من البشر جعل النصارى الرب أباه وبهذا ناظر نصارى نجران النبى عليه السلام وقالوا ان لم يكن هو ابن الله فقل لنا فمن أبوه ؟ فعمل ان النصارى انما ادعوا فيه البتوة الحقيقية وان ما ذكر من كلام علمائهم هو تأويل منهم للمذهب ليزيلوا به الشناعة التى لا يبلغها عاقل والا فليس فى جعله ابن الله وجه يختص به معقول فعلم ان النصارى جعلوه ابن الله وان الله أحبل مريم والله هو أبوه وذلك لا يكون الا بانزال جزء منه فيها وهو سبحانه الصمد ويلزمهم أن تكون مريم صاحبة وزوجة له ولهذا يتولونها كما أخبر الله عنهم وأى معنى ذكره فى بتوة عيسى غير هذا لم يكن فيه فرق بين عيسى وبين غيره ولا صار فيه معنى البتوة بل قالوا كما قال بعض مشرئ العرب انه صاهر الجن فولدت له الملائكة واذا قالوا اتخذها ابنا على سبيل الاصطفاء فهذا هو المعنى الفعلى وسيأتى ان شاء الله تعالى ابطاله ، وقوله تعالى (وروح منه) ليس فيه ان بعض الله صار فى عيسى بل من لا بتداء الغاية كما قال (وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه) وقال (وما بكم من نعمة فمن الله) وما أضيف الى الله أو قيل هو منه فعلى وجهين ان كان عينا قائمة بنفسها فهو مملوك له ومن لا بتداء الغاية كما قال تعالى (فأرسلنا اليها روحنا) وقال

في المسيح (وروح منه) وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له كما يقال كلام الله وعلم الله وكما قال (نزل روح القدس من ربك بالحق) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) وألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمرا والمقدور قدرة والمرحوم به رحمة والمخلوق بالكلمة كلمة، فاذا قيل في المسيح انه طمة الله فالمراد به انه خلق بكلمته ثم بقوله كن ولم يخلق على الوجه المعتاد من البشر والافعيسى بشر قائم بنفسه ليس هو كلاما صفة للمتكلم يقوم به وكذلك اذا قيل عن المخلوق انه أمر الله فالمراد ان الله كونه بأمره كقوله (أتى امر الله فلا تستعجلوه) وقوله (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) فالرب تعالى أحد صمد لا يجوز أن يتبع بعض ويتجزأ فيصير بعضه في غيره سواء سمي ذلك روحا أو غيره فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا له وتبين انه عبد من عباد الله وقد قيل منشأ ضلال القوم انه كان في لغة من قبلنا يعبر عن الرب بالاب والابن عن العبد المربي الذي يربه الله ويريه فقال المسيح عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس فأمرهم أن يؤمنوا بالله ويؤمنوا بعبده ورسوله المسيح ويؤمنوا بروح القدس جبريل فكانت هذه الاسماء لله ورسوله الملوكي ورسوله البشرى قال الله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) وقد أخبر تعالى في غير آية انه أيد المسيح بروح القدس وهو جبريل عند جمهور المفسرين كقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) فعند جمهور المفسرين ان روح القدس هو جبريل هذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم ودليل هذا قوله (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما يتزل قالوا انما أنت

حقتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين
 آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) وروى الضحاك عن ابن عباس انه الاسم
 الذى كان يحيى به الموتى ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه الانجيل
 وقال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى
 (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
 الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) وقال تعالى (ينزل
 الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) فاینزله الله في قلوب
 أنبيائه ماتحيا به قلوبهم من الايمان الخالص يسميه روحا وهو ما يؤيد
 الله به المؤمنين من عباده فكيف بالمرسلين والمسيح من أولى العزم فهو
 أحق بهذا من جمهور الرسل والأنبياء ، وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم
 على بعض منهم من ظلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات وآتينا
 عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) وقد ذكر الزجاج في تأييده
 ثلاثة أوجه ، أحدها انه أيده به لظهار أمره ودينه ، الثاني لدفع بنى اسرائيل
 عنه اذا أرادوا قتله ، الثالث انه أيد في جميع احواله ، وبما يبين ذلك ان لعظ
 الابن في لغتهم ليس مختصا بالمسيح بل عندهم ان الله تعالى قال في التوراة
 لاسرائيل : أنت ابني بكرى والمسيح كان يقول أبى وأبيكم فيجعله أباً للجميع
 ويسمى غيره ابنه كما يسمى هو ابنه فلم أنه لا اختصاص للمسيح بذلك ولكن
 النصارى يقولون هو ابنه بالطبع وغيره ابنه بالوضع فيفرون فرقا لا دليل
 عليه ثم قولهم هو ابن بالطبع يلزم عليه من المحالات عقلا وسعما ما يبين بطلانه *

فصل ١٠ — وأما ما يقوله الفلاسفة القائلون بان العالم قديم صدر
 عن علة موجبة بذاته وانه صدر عنه عقل ثم عقل ثم عقل الى تمام عشرة عقول
 وتسعة أنفس وقد يجعلون العقل بمنزلة الذكر والنفس بمنزلة الانثى فهو لاء

قولهم أفسد من قول مشركي العرب وأهل الكتاب عقلا وشرعا ، ودلالة القرآن على فسادهم أبلغ وذلك من وجوه ، أحدها أن هؤلاء يقولون بقدم الافلاك وقدم هذه الروحانيات التي يشتبونها ويسمون المجردات والمفارقات والجواهر العقلية وأن ذلك لم يزل قديما أزليا وما كان قديما أزليا استنع أن يكون مفعولا بوجه من الوجوه ولا يكون مفعولا إلا ما كان حادثا وهذه قضية بدئية عند جماهير العقلاء وعليها الأولون والآخرون من الفلاسفة وسائر الامم ولهذا كان جماهير الامم يقولون كل ممكن أن يوجد وأن لا يوجد فلا يكون الاحداثا وإنما ادعى وجود ممكن قديم معلول طائفة من المتأخرين كابن سينا ومن وافقه زعموا ان الفلك قديم معلول لعلة قديمة ، وأما الفلاسفة القدماء فمن كان منهم يقول بحديث الفلك وهم جمهورهم ومن كان قبل ارسطو فهو لاء موافقون لاهل الملل ومن قال بقدم الفلك كـ ارسطو وشيعته فانما يثبتون له علة غائية يشتهب الفلك بها لا يثبتون له علة فاعلة وما يثبتونه من العقول والنفوس فهو من جنس الفلك كل ذلك قديم واجب بنفسه وان كان له علة غائية ، وهؤلاء أكفر من هؤلاء المتأخرين لكن الغرض ان يعرفوا ان قول هؤلاء ليس قول أولئك ، الثاني ان هؤلاء يقولون الرب واحد والواحد لا يصدر عنه الا واحد ويعنون بكونه واحدا انه ليس له صفة ثبوتية أصلا ولا يعقل فيه معان متعددة لان ذلك عندهم تركيب ولهذا يقولون لا يكون فاعلا وقابلا لان جهة الفعل غير جهة القبول وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزم للتركيب ومع هذا يقولون انه عاقل ومعقول وعقل وعاشق ومعشوق وعشق ولذئذ ولتذو لذة الى غير ذلك من المعاني المتعددة ، ويقولون ان كل واحد من هذه الصفات هي الصفة الأخرى والصفة هي الموصوف والعلم هو القدرة وهو الارادة والعلم هو العالم وهو القادر ، ومن المتأخرين منهم من

قال العلم هو المعلوم فاذا تصور العاقل اقوالهم حق التصور تبين له ان هذا الواحد الذي أثبتوه لا يتصور وجوده الا في الازهان لافي الاعيان وقد بسط الكلام عليه وبين فساد ما يقولونه في التوحيد والصفات وبين فساد شبه التركيب من وجوه كثيرة في مواضع غير هذا واذا كان كذلك فالاصل الذي بنوا عليه قولهم ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد اصل فاسد ، الثالث ان يقال قولهم يصدر الاشياء مع ما فيها من الكثرة والحدوث عن واحد بسيط في غاية الفساد .

الرابع أنه لا يعلم في العالم واحد بسيط صدر عنه شيء لا واحد ولا اثنين فهذه الدعوة الكلية لا يعلم ثبوتها في شيء أصلاً ، الخامس أنهم يقولون صدر عنه واحد وعن ذلك الواحد عقل ونفس وفلك فيقال ان كان الصادر عنه واحداً من كل وجه فلا يصدر عن هذا الواحد الا واحد أيضاً فيلزم أن يكون كل ما في العالم انما هو واحد عن واحد فهو مكابرة وان كان في الصادر الاول كثرة ما بوجه من الوجوه فقد صدر عن الاول ما فيه كثرة ليس واحداً من كل وجه فقد صدر عن الواحد ما ليس بواحد ، ولهذا اضطرب متأخروهم فأبو البركات صاحب المعبر أبطل هذا القول ورده غاية الرد ، وابن رشد الحفيد زعم ان الفلك بما فيه صادر عن الاول . والطوسي وزير الملاحدة يقرب من هذا فجعل الاول شرطاً في الثاني والثاني شرطاً في الثالث وهم مشتركون في الضلال وهو اثبات جواهر قائمة بنفسها أزلية مع الرب لم تزل ولا تزال معه لكن مسبوقة بعدم وجعل الفلك أيضاً قديماً أزلياً وهذا وحده فيه من مخالفة صريح المعقول والكفر بما جاءت به الرسل ما فيه كفاية فكيف اذا ضم اليه غير ذلك من أقاويلهم المخالفة للعقل والنقل في الوجه السادس ان الصوادر المعلومة في العالم انما تصدر عن اثنين واما واحد وحده

فلا يصدر عنه شيء مما تقدم التنبيه عليه في المتولدات من الاعيان والاعراض
وكل ما يذكرونه من صدور الحرارة عن الحار والبرودة عن البارد والشعاع
عن الشمس وغير ذلك فانما هو صدور اعراض ومع هذا فلا بد لها من
أصلين ، وأما صدور الاعيان عن غيرها فهذا لا يعلم الا بالولادة المعروفة
وتلك لا تكون الا بانفصال جزء من الاصل وهذا الصدور والتولد والمعلولية
التي يدعونها في العقول والنفوس والافلاك يقولون انها جوهر قائمة بأنفسها
صدرت عن جوهر واحد بسيط فهذا من أبطل قول قيل في الصدور والتولد
لان فيه صدور جوهر عن جوهر واحد وهذا لا يعقل وفيه صدور من
غير جزء منفصل من الاصل وهذا لا يعقل وهم غاية ما عندهم أن يشبهوا
هذا بحدوث بعض الاعراض كالشعاع عن الشمس وحركة الخاتم عن حركة
اليد وهذا تمثيل باطل لان تلك ليست علة فاعلة وانما هو شرط فقط
والصادر هناك لم يكن عن أصل واحد بل عن أصلين والصادر عرض لا جوهر
قائم بنفسه فتبين ان ما ذكره هؤلاء من التولد العقلي الذي يدعونه من أبعد
الامور عن التولد والصدور وهو أبعد من قول النصارى ومشركي العرب
وهم جعلوا مفعولاته بمنزلة صفة أزلية لازمة لذاته ، وقد ذكرنا أن هذا بما
يتمتع أن يقال فيه انه متولد عنه وحينئذ فهم في دعواهم الهية العقول والنفوس
والكواكب أكفر من هؤلاء ومن جعل من المنتسبين الى الملل منهم هؤلاء
هم الملكية فتوله في جعل الملائكة متولدين عن شيء من قول العرب وعوام
النصارى فان أولئك أثبتوا ولادة حسية وكونه صمدا يطلبا لكن ما أثبتوه
معقول وهؤلاء ادعوا تولدا عقليا باطلا من كل وجه أبطل مما ادعته النصارى
من تولد الكلمة عن الذات فكان نفى مادعوه أولى من نفى مادعاه وأولئك
لان المحال الذي يعلم امتناعه في الخارج لا يمكن تصوره موجودا في الخارج

فانه يمتنع وجوده في الخارج وذلك انما يمكن اذا كان له نظير من بعض
الوجوه فيقدر له في الوجود الخارجى ما يشبهه كما اذا قدر مع الله إله آخر
وقدر أن له ولدا فانه يشبهه من له ولد من العباد ومن له شريك من العباد
ثم يبين امتناع ذلك عليه فكل ما كان المحال أبعد عن مشابهة الموجود كان
أعظم استحالة والولادة التي ادعتها النصارى ثم هؤلاء الفلاسفة أبعد عن
مشابهة الولادة المعروفة من الولادة التي ادعاها بعض مشركى العرب وعوام
النصارى واليهود فكانت هذه الولادة العقلية أشد استحالة من تلك الولادة
الحسية اذ الولادة الحسية تعقل في الاعيان القائمة بنفسها وأما الولادة العقلية
فلا تعقل في الاعيان أصلا ، وأيضا فأولئك أثبتوا ولادة من أصلين وهذا
هو الولادة المعقولة وهؤلاء أثبتوا ولادة من أصل واحد وأولئك أثبتوا
ولادة بانفصال جزء وهذا معقول وهؤلاء أثبتوا ولادة بدون ذلك وهو
لا يعقل وأولئك أثبتوا ولادة قاسوها على ولادة الاعيان للاعيان وهؤلاء
أثبتوا ولادة قاسوها على تولد الاعراض عن الاعيان فلم ان قول أولئك
أقرب الى المعقول وهو باطل كما بين الله فسادهم وأنكره ، فقول هؤلاء أولى
بالبطلان وهذا كما ان الله اذا كفر من أثبت مخلوقا يتخذ شفيعا لعباده من
دون الله فمن أثبت قديما دون الله يعبد ويتخذ شفيعا كان أولى بالكفر
ومن أنكر المعاد مع قوله بحدوث هذا العالم فقد كفره الله فمن أنكره مع
قوله بقديم هذا العالم فهو أعظم كفرا عند الله وهذا كما ان النبي ﷺ
لما نهى أمته عن مشابهة فارس والروم النصارى *

ففيه عن مشابهة اليونان المشركين والهند المشركين أعظم وأعظم
واذا كان مادخل في بعض المسلمين من مشابهة اليهود والنصارى وفارس
والروم مذموما عند الله ورسوله فما دخل من مشابهة اليونان والهند

والترك المشركين وغيرهم من الامم الذين هم أبعد عن الاسلام من أهل الكتاب ومن فارس والروم أولى أن يكون مذموما عند الله تعالى ، وأن يكون ذمه أعظم من ذلك ، فهؤلاء الامم الذين أتى بهم أواخر المسلمين شر من الامم الذين أتى بهم أوائل المسلمين وذلك لأن الاسلام كان أهله أعظم علما ودينا فاذا أتى بمن هو أرجح من هؤلاء غلبهم المسلمون لفضل علمهم ودينهم ، وأما هؤلاء المتأخرون المسلمون وان كانوا أنقص من سلفهم فانه يظهر رجحانهم على هؤلاء لعظم بعدهم عن الاسلام ولكن لما كثرت البدع من متأخري المسلمين استطال عليهم من استطال من هؤلاء ولبسوا عليهم دينهم وصارت شبه الفلاسفة أعظم عند هؤلاء من غيرهم كما صار قتال الترك الكفار أعظم من قتال من كان قبلهم عند أهل الزمان لانهم انما ابتلوا بسيف هؤلاء وألسنة هؤلاء وكان فيهم من نقص الايمان ما أوردت ضعفا في العلم والجهاد كما كان كثير من العرب في زمن النبي ﷺ فهذا هذاه ومما يبين هذا أن مشركي العرب واليهود والنصارى يقولون ان الله خلق السموات والارض بمشيئته وقدرته بل يقولون انه خلق ذلك في ستة أيام وهؤلاء المتفلسفة عند هم لم يحدثها بعد ان لم تكن فضلا عن ان يكون ذلك في ستة أيام ثم يلبسون على المسلمين فيقولون العالم محدث يعنون بحدوثه انه معلول عللة قديمة فهو بمنزلة قولهم متولد عن الله لكن هو أمر لاحقيقة له ولا يعقل ، وأيضا فشركو العرب وأهل الكتاب يقرون بالملائكة وان كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشياطين نوعا واحدا فمن خرج منهم عن طاعة الله أسقطه وصار شيطانا وينكرون أن يكون إبليس كان أبالجن وان يكون الجن ينكحون ويولدون ويأكلون ويشربون فهؤلاء النصارى الذين ينكرون هذا مع كفرهم هم خير من هؤلاء

المنفلسة فان هؤلاء لاحقيقة لللائكة عندهم الا ما يثبتونه من العقول والنفوس
 أو من اعراض تقوم بالأجسام كالقوى الصالحة وكذلك الجن جهور أولئك
 يثبتونها فان العرب كانت تثبت الجن وكذلك أكثر أهل الكتاب وهؤلاء
 لا يثبتونها ويجعلون الشياطين القوى الفاسدة ، وأيضا فمشر كثر العرب مع
 أهل الكتاب يدعون الله ويقولون انه يسمع دعاءهم ويحييهم *
 وهؤلاء عندهم لا يعلم شيئا من جزئيات العالم ولا يسمع دعاء أحد
 ولا يجيب أحدا ولا يحدث في العالم شيئا ولا سبب للحدوث عندهم الا
 حركات الفلك والدعاء عندهم يؤثر لانه تصرف النفس الناطقة في هيولى
 العالم ، وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي
 ﷺ قال يقول الله عز وجل : « شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم
 وما ينبغي له ذلك فاماشتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما الاحد الضمد
 الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذيبه اياي فقوله ان
 يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وهذا وان كان
 متنا ولا قطعنا لكفار العرب الذين قالوا هذا وهذا كما قال تعالى (ويقول
 الانسان انذا مامت لسوف أخرج حيا) الى قوله (وقالوا اتخذ الرحمن
 ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه) فذكر هذا وهذا فتناول
 النصوص هؤلاء بطريق الاولى فان هؤلاء ينكرون الاعادة والابتداء
 أيضا فلا يقولون ان الله ابتداء خالق السموات والارض ولا كان للبشر
 ابتداء أولهم آدم ، وأما شتمهم آياه بقولهم اتخذ ولدا فهو لاء هم عندهم
 الملك كله لازم له معلول له أعظم من لزوم الولد والوالد له اختيار
 بوقدرة في حدوث الولد منه ، وهؤلاء عندهم ليس لله مشيئة وقدرة في لزوم
 نالملك له بل ولا يمكنه ان يدفع لزومه عنه فالتولد الذي يثبتونه أبلغ من التولد

الموجود في الخلق ولا يقولون انه اتخذولدا بقدرته فانه لا يقدر عندهم على
تغيير شيء من العالم بل ذلك لازم له لزوما حقيقته انه لم يفعل شيئا بل
ولاهو موجود وان سموه علة ومعلولا فعند التحقيق لا يرجعون الى شيء
محصل فان في قولهم من التناقض والفساد أعظم مما في قول النصارى وقد
ذكر طائفة من أهل الكلام ان قولهم بالعلة والمعلول من جنس قول غيرهم
بالوالد والولد وأرادوا بذلك أن يجعلوهم من جنسهم في الذم وهذا تقصير
عظيم بل أولئك خير من هؤلاء هو لاء وهو لاء اذا حققت ما يقوله من هو أقربهم
الى الاسلام كابن رشد الحفيد وجدت غايته ان يكون الرب شرطا في وجود
العالم لا فاعلاله ، وكذلك من سلك مسلكتهم من المدعين للتحقيق من ملاحدة
الصوفية كابن عربي وابن سبعين حقيقة قولهم ان هذا العالم موجود واجب
أزلى ليس له صانع غير نفسه وهم يقولون الوجود واحد وحقيقة قولهم
انه ليس في الوجود خالق خلق موجودا آخر وكلامهم في المعاد والنبوات شر
من كلام اليهود والنصارى وعباد الاصنام فان هؤلاء يجوزون عبادة كل صنم
في العالم لا يخصون بعض الاصنام بالعبادة .

فصل وقد احتج بسورة الاخلاص من أهل الكلام المحدث
من يقول الرب تعالى جسم كـ بعض الذين وافقوا هشام بن الحكم . ومحمد بن
كـرام . وغيرهما ومن ينفي ذلك يقول ليس بجسم ممن وافق جهم بن صفوان
وأبا الهذيل العلاف ونحوهما فأولئك قالوا : هو صمد والصمد لا جوف
له وهذا انما يكون في الاجسام المصمتة فانها لا جوف لها كما في الجبال والصخور
وما يصنع من عواميد الحجارة فكما قيل : ان الملائكة صمد ولهذا قيل انه
لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء ولا يأكل ولا يشرب ونحو ذلك ونفى
هذا لا يعقل الا عن هو جسم وقالوا أصل الصمد الاجتماع ومنه تصميد

المال وهذا انما يعقل في الجسم المجتمع وأما النفاة فقالوا الصمد الذي لا يجوز عليه التفرق والانقسام وكل جسم في العالم يجوز عليه التفرق والانقسام وقالوا أيضا الاحد الذي لا يقبل التجزى والانقسام وكل جسم في العالم يجوز عليه التفرق والتجزى والانقسام ، وقالوا اذا قلتم هو جسم كان مركبا مؤلفا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة وما كان مركبا مؤلفا من غيره كان مقترا اليه وهو سبحانه صمد والصمد الغنى عما سواه فالمركب لا يكون صمدا فيقال أما القول بأنه سبحانه مركب مؤلف من أجزاء وإنه يقبل التجزى والانقسام والانفصال فهذا باطل شرعا وعقلا فان هذا يناهى كونه صمدا كما تقدم وسواء أريد بذلك أنه كانت الأجزاء متفرقة ثم اجتمعت أو قيل أنها لم تزل مجتمعة لكن يمكن انفصال بعضها عن بعض كما في بدن الانسان وغيره من الأجسام فان الانسان وإن كان لم يزل مجتمع الأعضاء لكن يمكن أن يفرق بين بعضه وبعض والله منزّه عن ذلك ، ولهذا قدمنا أن كمال الصمدية له فان هذا انما يجوز على ما يجوز أن يفنى بعضه أو يعدم وما قبل العدم لم يكن واجب الوجود بذاته ولا قديما أزليا فان ما وجب قدمه امتنع عدمه وكذلك صفاته التي لم يزل موصوفا بها وهى من لوازم ذاته فيمتنع أن يعدم اللازم إلا مع عدم الملزوم ولهذا قال من قال من السلف الصمد هو الدائم وهو الباقي بعد فناء خلقه فان هذا من لوازم الصمدية اذ لو قبل العدم لم تكن صمدية لازمة له بل جاز عدم صمدية فلا يبقى صمدا ولا تنتفى عنه الصمدية إلا بجواز العدم عليه وذلك محال فلا يكون مستوجبا للصمدية الا اذا كانت لازمة له وذلك يناهى عدمه وهو مستوجب للصمدية لم يصبر صمدا بعد ان لم يكن تعالى وتقدس فان ذلك يقتضى أنه كان متفرقا فجمع وأنه مفعول محدث مصنوع وهذه صفة مخلوقاته وأما الخالق القديم الذي يتمتع

عليه أن يكون معدوماً ومفعولاً أو محتاجاً إلى غيره بوجه من الوجوه فلا يجوز
عليه شيء من ذلك فعلم أنه لم يزل صمداً ولا يزال صمداً فلا يجوز أن يقال كان
متفرقاً فاجتمع ولا أنه يجوز أن يتفرق بل ولا أن يخرج منه شيء ولا يدخل
فيه شيء وهذا مما هو متفق عليه بين طوائف المسلمين سنيهم وبدعيهم وإن كان
أحد من الجهال أو من لا يعرف قد يقول خلاف ذلك فمثل هؤلاء لا تنضبط
خيالاتهم الفاسدة كما أنه ليس في طوائف المسلمين من يقول أنه مولود
والدوان كان هذا قد قاله بعض الكفار وقد قال المتفلسفة المنسوبون
إلى الإسلام من التولد والتعليل ما هو شر من قول أولئك وأما اثبات الصفات
له وأنه يرى في الآخرة وأنه يتكلم بالقرآن وغيره وكلامه غير مخلوق فهذا مذهب
الصحابية والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وأهل السنة والجماعة من
جميع الطوائف والخلاف في ذلك مشهور مع الجهمية والمعتزلة وكثير من
الفلاسفة والباطنية ، هؤلاء يقولون إن اثبات الصفات يوجب أن يكون
جسماً وليس بجسم فلا تثبت له الصفات قالوا لأن المعقول من الصفات
أعراض قائمة بجسم لا تعقل صفته إلا كذلك قالوا والرؤية لا تعقل إلا
مع المعاينة فالمعاينة لا تكون إلا إذا كان المرقى بجهة ولا يكون بجهة إلا
ما كان جسماً قالوا : ولأنه لو قام به كلام أو غيره للزم أن يكون جسماً فلا
يكون الكلام المضاف إليه إلا مخلوقاً منفصلاً عنه ، وهذه المعاني مما ناظرنا
بها الإمام أحمد في المحنة ، وكان ممن احتج على أن القرآن مخلوق بنفي
التجسيم أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث تلميذ حسين الزجاري وهو من
أكابر المتكلمين فإن ابن أبي دؤاد كان قد جمع للإمام أحمد من
أمكنه من متكلمي البصرة وبغداد وغيرهم ممن يقول أن القرآن مخلوق
وهذا القول لم يكن مختصاً بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس فإن كثيراً من

اولئك المتكلمين أو أكثرهم لم يكونوا معتزلة وبشر المريسي لم يكن من المعتزلة بل فيهم نجارية ومنهم برغوث * وفيهم ضرارية . وحفص الفرد الذي ناظر الشافعي كان من الضرارية أتباع ضرار بن عمرو . وفيهم مرجئة ومنهم بشر المريسي ، ومنهم جهمية محضة ، ومنهم معتزلة ، وابن أبي دؤاد لم يكن معتزليا بل كان جهميا ينفي الصفات والمعتزلة تنفي الصفات فنفاة الصفات الجهمية أعم من المعتزلة فلما احتج عليه برغوث بأنه لو كان يتكلم ويقوم به الكلام لكان جسما وهذا منفي عنه ، وأحمد وأمثاله من السلف كانوا يعلمون ان هذه الالفاظ التي ابتدعها المتكلمون كلفظ الجسم وغيره ينفيها قوم ليتوصلوا بنفيها إلى نفي ما أثبتته الله تعالى رسوله ويثبتها قوم ليتوصلوا باثباتها إلى اثبات ما نفاه الله ورسوله *

فالاول طريقة الجهمية من المعتزلة وغيرهم ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون ان قصدهم التنزيه وقصودهم بذلك ان الله لا يرى في الآخرة وأنه لم يتكلم بالقرآن ولا غيره بل خالق كلاما في غيره وأنه ليس له علم يقوم به ولا قدرة ولا حياة ولا غير ذلك من الصفات ، قال الامام أحمد في خطبته في الرد على الجهمية والزنادقة : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحجون بكتاب الله الموتى ويصرون بنوره أهل العمى فكم من قتل لابلوس قد أحيوه وكم ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في كتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمشابهة من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون

عليهم فنعوذ بالله من فتن الضالين *

والثانية طريقة هشام وأتباعه يحكى عنهم أنهم أثبتوا ما قد نزه الله نفسه عنه من اتصافه بالنقائص ومماثلته للمخلوقات ، فاجابهم الامام أحمد بطريقة الانبياء وأتباعهم وهو الاعتصام بكتاب الله الذى قال فيه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم اليينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) وقال تعالى (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كيجهر بعضكم ل بعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) *

وقال (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل

من قبلك يريدون أن يتحاكوا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به
ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالى الى ما أنزل الله
والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابهم
مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا
أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظّمهم وقل لهم فى أنفسهم
قولا بليغا وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا
أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (وقوله تعالى:) (وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (وقوله تعالى) (ان الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون) (وقوله تعالى:) (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس
عليها لا تبدل الخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون
منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) (وقوله) (شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى
وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فهذه النصوص وغيرها تبين
ان الله ارسل الرسل وانزل الكتب لبيان الحق من الباطل وبيان ما اختلف
فيه الناس وأن الواجب على الناس اتباع ما أنزل اليهم من ربه ورد
ما يتنازعون فيه الى الكتاب والسنة وان من لم يتبع ذلك كان منافقا وان
من اتبع الهدى الذى جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن
ذلك حشر ضالا شقيما معذبا، وأن الذين فارقوا دينهم قد برى الله رسوله منهم .

فاتبع الامام أحمد طريقة سلفه من أئمة السنة والجماعة المعتصمين
 بالكتاب والسنة المتبعين ما أنزل اليهم من ربههم وذلك أن ننظر فما وجدنا
 الرب قد أثبت لنفسه في كتابه أثباته وما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفينا
 وكل لفظ وجد في الكتاب والسنة بالاثبات أثبت ذلك اللفظ وكل لفظ
 وجد منفي نفى ذلك اللفظ ، وأما الالفاظ التي لا توجد في الكتاب والسنة
 بل ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين
 لا اثباتها ولا نفيها .

وقد تنازع فيها الساس فهذه الالفاظ لا تثبت ولا تنفي الا بعد الاستفسار
 عن معانيها فان وجدت معانيها مما أثبت الرب لنفسه أثبتت وان وجدت
 مما نفاه الرب عن نفسه نفيت وان وجدنا اللفظ أثبت به حق وباطل أو نفى به حق
 وباطل أو كان مجمل أراد به حق أو باطل وصاحبه أراد به بعضها لكنه عند
 الاطلاق يوهم الناس أو يفهمهم ما أراد وغير ما أراد فهذه الالفاظ لا يطلق
 اثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الالفاظ
 التي تدخل في هذا المعنى فقل من تكلم بها نفيًا أو إثباتًا الا ودخل فيها باطلا
 وان أراد بها حقًا والسلف والأئمة كرهوا هذا الكلام المحدث لاشتماله
 على باطل وكذب وقول على الله بلا علم ، وكذلك ذكر أحمد في رده على
 الجهمية أنهم يفترون على الله فيما ينفونه عنه ويقولون عليه بغير علم وكل
 ذلك مما حرمه الله ورسوله ولم يكره السلف هذه لمجرد كونها اصطلاحية
 ولا كرهوا الاستدلال بدليل صحيح جاء به الرسول بل كرهوا الأقوال
 الباطلة المخالفة للكتاب والسنة ولا يخالف الكتاب والسنة الا ما هو باطل
 لا يصح بعقل ولا سمع ، ولهذا لما سئل أبو العباس بن سريج عن التوحيد
 فذكر توحيد المسلمين : وقال وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في

الجوهر والاعراض وانما بعث النبي ﷺ بانكار ذلك ولم يرد بذلك
 أنه أنكر هذين اللفظين فانهما لم يكونا قد أحدثا في زمنه وانما أنكر مايعنى
 بهما من المعاني الباطلة فان أول من أحدثها الجهمية والمعتزلة وقصدهم
 بذلك انكار صفات الله تعالى أو أن يرى أو أن يكون له كلام يتصف به
 وأنكرت الجهمية أسماءه أيضا ، وأول من عرف عنه انكار ذلك الجعد بن
 درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسرى بواسط ، وقال يا أيها الناس ضحوا
 تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ
 ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا
 ثم نزل فذبجه ، وكلام السلف والأئمة في ذم هذا الكلام وأهله مبسوط
 في غير هذا الموضع ، والمقصود هنا أن أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره
 كانوا اذا ذكرت لهم أهل البدع الألفاظ المجملة لفظ الجسم والجوهر والحيز
 ونحوها لم يوافقهم لاعلى اطلاق الاثبات ولا على اطلاق النفي وأهل
 البدع بالعكس ابتدعوا ألفاظا ومعاني اما في النفي واما في الاثبات وجعلوها
 هي الاصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه ثم نظروا في الكتاب
 والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه والاقالوا هذا من الألفاظ
 المتشابهة المشكلة التي لا تدرى ما أريد بها فجعلوا بدعهم أصلا محكما وما جاء
 به الرسول فرعاه ومشكلا اذا لم يوافق ، وهذا أصل الجهمية والقدرية
 وأمثالهم وأصل الملاحدة من الفلاسفة الباطنية جميع كتبهم توجد على
 هذا الطريق ومعرفة الفرق بين هذا وهذا من أعظم ما يعلم به الفرق بين
 الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله وبين السبيل المخالفة له وكذلك
 الحكم في المسائل العلمية والفقهية ومسائل أعمال القلوب وحقايقها وغير ذلك
 كل هذه الامور قد دخل فيها ألفاظ ومعان محدثة وألفاظ ومعان مشتركة

فالواجب أن يجعل ما أنزله الله من الكتاب والحكمة أصلا في جميع هذه الأمور ثم يرد ما تكلم فيه الناس الى ذلك ويبين ما في الالفاظ المجملة من المعاني المرافقة للكتاب والسنة فتقبل وما فيها من المعاني المخالفة للكتاب والسنة فترد.

ولهذا كل طائفة أنكر عليها ما ابتدعت احتجت بما ابتدعته الأخرى كما يوجد في الفاظ أهل الرأي والكلام والتصوف وأن يجوز أن يقال في بعض الآيات انه مشكل ومتشابه اذا ظن أنه يخالف غيره من الآيات المحكمة البينة فاذا جاءت نصوص بينة بحكمة بأمر وجاء نص آخر يظن أن ظاهره يخالف ذلك يقال في هذا أنه يرد به المتشابه الى المحكم اما اذا انطق الكتاب أو السنة بمعنى واحد لم يجوز أن يجعل ما يضاد ذلك المعنى هو الاصل ويجعل ما في القرآن والسنة مشكلا متشابهيا فلا يقبل ما دل عليه نعم قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها فتكون مشكلة بالنسبة اليهم لعجز فهمهم عن معانيها ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل أو الحس الا وفي القرآن بيان معناه فان القرآن جعله الله شفاه لما في الصدور وبيانا للناس فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك لكن قد تخفى آثار الرسالة في بعض الامكنة والازمنة حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ اما أن لا يعرفوا اللفظ واما أن يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه حينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة، ومن هاهنا يقع الشرك وتفریق الدين شيعا كالفتن التي تحدث بالسيف والفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم كما قال مالك بن أنس: اذا قل العلم ظهر الجفاء واذا قلت الآثار ظهرت الأهواء ولهذا شبهت الفتن بقطع الليل المظلم ولهذا قال أحمد في خطبته: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة بقايا من أهل العلم

فألهدى الحاصل لأهل الأرض انما هو من نور النبوة كما قال تعالى :
 ﴿فأما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ فأهل الهدى
 والفلاح هم المتبعون للأنبياء وهم المسلمون المؤمنون فى كل زمان ومكان
 وأهل العذاب والضلال هم المكذبون للأنبياء بنفى أهل الجاهلية الذين لم
 يصل اليهم ما جاءت به الأنبياء *

فهؤلاء فى ضلال وجهل وشرك وشرك لكن الله يقول (وما كنا معذبين حتى
 نبعث رسولا) وقال (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله
 حجة بعد الرسل) وقال (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها
 رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) فهؤلاء
 لا يهلكهم الله ويعذبهم حتى يرسل اليهم رسولا ، وقد رويت آثار متعددة
 فى ان من لم تبلغه الرسالة فى الدنيا فانه يبعث اليه رسول يوم القيامة فى
 عرصات القيامة ، وقد زعم بعضهم ان هذا يخالف دين المسلمين فان الآخرة
 لا تكليف فيها وليس لما قال انما ينقطع التكليف اذا دخلوا دار الجزاء الجنة
 والنار والافهم فى قبورهم يمتحنون ومفتونون يقال لأحدهم من ربك ؟ وما
 دينك ومن نبيك ، وكذلك فى عرصات القيامة يقال لاتباع كل قوم ما كانوا
 يعبدون فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر
 ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فأتبهم
 الله فى صورة غير الصورة التى رأوه فيها أول مرة ويقول أنا ربكم فيقولون
 نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، وفى رواية فيسألهم ويثبتهم وذلك
 امتحان لهم هل يتبعون غير الرب الذى عرفوا أنه الله الذى تجلى لهم أول
 مرة فيثبتهم الله تعالى عنده هذه المحنة كما يثبتهم فى فتنة القبر فاذا لم يتبعوه لكونه
 أتى فى غير الصورة التى يعرفون أتاها حيثئذ فى الصورة التى يعرفون فيكشف

عن ساق فاذا رأوه خروا له سجدا الا من كان منافقا فانه يريد السجود
فلا يستطيعه يبقى ظهره مثل الطبق ، وهذا المعنى مستفيض عن النبي ﷺ
في عدة أحاديث ثابتة من حديث أبي هريرة . وأبي سعيد وقد أخرجاهما في
الصحيحين ومن حديث جابر وقد رواه مسلم وفي حديث ابن مسعود وأبي
موسى وهو معروف من رواية أحمد وغيره ، فدل ذلك على أن المحنة إنما
تنقطع اذا دخلوا دار الجزاء وما قبل دار الجزاء وابتلاء فاذا
انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة البدع وحدث البدع والفجور
ووقع الشر بينهم كما في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال سألت ربي ثلاثا
فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة سألته أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها
وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها وسألته أن
لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها والبأس مشتق من البؤس قال تعالى (قل هو
القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه لما نزل
قوله تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال أعوذ
بوجهك (أو من تحت أرجلكم) قال أعوذ بوجهك (أو يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم بأس بعض) قال هاتان أهون فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيعا
ويذيق بعضهم بأس بعض مع براءة الرسول في هذه الحال وهم فيها في جاهلية
ولهذا قال الزهري وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فاجمعوا
على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أنزلوه من
منزلة الجاهلية ، وقد روى مالك بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها أنها
كانت تقول ترك الناس العمل بهذه الآية قوله تعالى (وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما) فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب

الاصلاح بينهم كما أمر الله تعالى فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية
 وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الاصول والفروع اذا لم ترد
 الى الله والرسول لم يتبين فيها الحق بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة
 من أمرهم فان رحمهم الله أقر بعضهم بعضا ولم يبيع بعضهم على بعض كما
 كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد
 فيقر بعضهم بعضا ولا يعتدى عليه وان لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف
 المذموم فبغى بعضهم على بعض اما بالقول مثل تكفيره وتفسيره وأما بالفعل
 مثل حبسه وضربه وقتله ، وهذه حال أهل البدع والظلم كالخوارج وأمثالهم
 يظلمون الأمة ويعتدون عليهم اذا نازعوه في بعض مسائل الدين وكذلك
 سائر أهل الاهواء فانهم يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها كما يفعل
 الرافضة والمعتزلة والجهمية وغيرهم والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن
 كانوا من هؤلاء ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع
 حقه وعقوبته فالناس اذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول اما عادلون
 واما ظالمون فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل اليه من آثار الانبياء ولا
 يظلم غيره والظالم الذي يعتدى على غيره وهؤلاء يظلمون مع عليهم بانهم
 يظلمون كما قال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
 العلم بغيا بينهم) والافلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضا لمقلدين
 لأئمة الفقه الذين يعرفون من أنفسهم انهم عاجزون عن معرفة حكم الله
 ورسوله في تلك المسائل فجعلوا أنفسهم نوابا عن الرسول وقالوا هذا غاية
 ما قدرنا عليه ، فالعادل منهم لا يظلم الآخر ولا يعتدى عليه بقول ولا فعل مثل
 أن يدعى أن قول متبوعه هو الصحيح بلا حجة يديها ويذم من يخالفه
 مع أنه معذور *

وكان الذين امتحنوا أحد وغيره من هؤلاء الجاهلين فابتدعوا كلاما
متشابهة فنوا به الحق فأجابهم أحد لما ناظره في الحجة وذكروا الجسم
ونحو ذلك وأجابهم بأني أقول كما قال الله تعالى : (الله أحد الله الصمد)
وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم به البتة والمعنى
الذي يراد به مجمل ولم تتيقروا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح
فقال ما أدري ما تقولون لكن أقول : (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد) يقول ما أدري ما تعنون بلفظ الجسم فانا لا أوافقكم
على إثبات لفظ ونفيه اذا لم يرد الكتاب والسنة بأثباته ولا نفيه ان لم يدر
معناه الذي عناء المتكلم فان عني في النفي أو الاثبات ما يوافق الكتاب
والسنة وافقناه وان عني ما يخالف الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافقهما
ولفظ الجسم والجوهر ونحوهما لم يأت في كتاب ولا سنة ولا كلام أحد
من الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين التكلم
بهما في حق الله تعالى لا بنفي ولا اثبات ، ولهذا قال أحد في رسالته الى المتوكل
لا أحب الكلام في شيء من ذلك الا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن
رسول الله ﷺ أو عن الصحابة والتابعين وأما غير ذلك فان الكلام فيه
غير محمود ، وذكر أيضا فيما حكاه عن الجهمية أنهم يقولون ليس فيه كذا
ولا كذا وهو كما قال فان لفظ الجسم في اللغة التي نزل بها القرآن معنى كما
قال تعالى : (ولإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم)
وقال تعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) قال ابن عباس : كان طالوت
أعلم بني إسرائيل بالحرب وكان يفوق الناس بمنكيه وعنفه ورأسه والبسطة
السعة ، قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت الشيء اذا كان مجموعا ففتحت
ووسعته قال بعضهم ، والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة اذ العادة أن من

كان أعظم جسما كان أكثر قوة فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن ، قال الجوهري قال أبو زيد الأنصاري : الجسم الجسد وكذلك الجسيان والجئان وقال الأصمعي الجسم والجسيان والجسد والجئان واحد وقال جماعة جسم الانسان يقال له الجسيان وقد جسم الشيء أى عظم فهو جسيم وجسام والجسام بالكسر جمع جسيم قال أبو عبيدة تجسمت فلانا من بين القوم أى اخترته كأنك قصدت جسمه لما تقول تأتيت أى قصدت أتيت وشخصه ، وأنشد أبو عبيدة •

تجسمته من بينهن بمرهف

وتجسمت الأرض اذا أخذت نحوها تريد ها وتجسم من الجسم ، وقال ابن السكيت : تجسمت الامر أى ركبت أجسمه وجسيمه أى معظمه قال وكذلك تجسمت الرمل والجلبل أى ركبت أعظمه ، والجسم الاضخم قال عامر بن الطفيل •

لقد علم الحى من عامر بأننا الذروة الاجسام

فهذا الجسم في لغة العرب ، وعلى هذا فلا يقال للهواء جسم ولا للنفس الخارج من الانسان جسم ولا لروحه المنفوخة فيه جسم ، ومعلوم أن الله سبحانه لا يماثل شيئا من ذلك لا بدن الانسان ولا غيره فلا يوصف الله بشيء من خصائص المخلوقين ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فلا يجوز أن يقال هو جسم ولا جسد (وأما أهل الكلام) فالجسم عندهم أعم من هذا وهم مختلفون في معناه اختلافا كثيرا عقليا واختلافا لفظيا اصطلاحيا فهم يقولون كل ما يشار اليه اشارة حسية فهو جسم ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر الفردة ، ثم منهم من قال : الجسم أقل ما يكون جوهرأ بشرط أن ينضم اليه غيره وقيل بل

الجوهران والجواهر فصاعدا ، وقيل بل أربعة فصاعدا وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية وقيل بل ستة عشر وقيل بل اثنان وثلاثون وهذا قول من يقول ان الاجسام كلها مركبة من الجواهر التي لا تنقسم * وقال آخرون من أهل الفلسفة كل الاجسام مركبة من الهوى والصورة لا من الجواهر الفردة * وقال كثير من أهل الكلام وغير أهل الكلام ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا وهذا قول الهشامية والكلابية والضرارية وغيرهم من الطوائف الكبار لا يقولون بالجواهر الفرد ولا بالمادة والصورة وآخرون يدعون اجماع المسلمين على اثبات الجوهر الفرد كما قال أبو المعالي وغيره: اتفق المسلمون على ان الاجسام تنتهي في تجزئها وانقسامها حتى تصير افرادا ومع هذا فقد شك هوفيه وكذلك شك فيه أبو الحسين البصرى . وأبو عبد الله الرازى ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين لا من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين ، وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة وهذا من الكلام الذي ذهبه السلف وعابوه ولكن حاكى هذا الاجماع لم يعرف أصول الدين الاماني كتب الكلام ولم يجد الامن يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين والقول بالجواهر الفرد باطل والقول بالهوى والصورة باطل ، وقد بسط الكلام على هذه المقالات في موضع آخر *

وقال آخرون : الجسم هو القائم بنفسه وكل قائم بنفسه جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار اليه واختلفوا في الاجسام هل هي متماثلة أم أم لا على قولين مشهورين ، واذا عرف ذلك فن قال إنه جسم وأراد أنه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل وكذلك ان أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثل شيء في شيء من صفاته فمن أثبت

لله مثلا في شيء من صفاته فهو مبطل ومن قال إنه جسم بهذا المعنى فهو مبطل
 ومن قال ليس بجسم بمعنى أنه لا يرى في الآخرة ولا يكلم بالقرآن وغيره
 من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدي
 إليه في الدعاء ولا عرج بالرسول إليه ولا يصعد إليه الكلم الطيب ولا تخرج
 الملائكة والروح إليه فهذا قول باطل وكذلك كل من نفى ما أثبتته الله ورسوله
 وقال إن هذا تجسيم ففيه باطل وتسمية ذلك تجسيما تلييس منه فإنه إن أراد
 أن هذا يقتضي أن يكون جسما مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة
 والصورة أو أن هذا يقتضي أن يكون جسما والاجسام متماثلة قليله أكثر
 العقلاء يخالفونك في تماثل الاجسام المخلوقة وفي أنها مركبة فلا يقولون
 إن الهواء مثل الماء ولا أبدان الحيوان مثل الحديد والجبال فكيف يوافقونك
 على أن الرب يكون مائلا لخلقه إذا أثبتوا له ما أثبت الكتاب والسنة والله
 قد نفى المماثلات في بعض المخلوقات وكلاهما جسم كقوله : (وإن تولوا
 يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) مع أن كلاهما بشر فكيف يجوز
 أن يقال إذا كان لرب السموات علم وقدرة أنه يكون مائلا لخلقه والله تعالى
 ليس كمثل شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، ونكتة الأمر أن الجسم
 في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الاجسام ويستلزم أن يكون مركبا
 من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة وأكثر العقلاء يخالفونه في
 التلازم وهذا التلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب فإذا اتفقوا على
 انتفاء القصص المنفي عن الله شرعا وعقلا بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحي
 هل هو مستلزم لهذا المحذور ؟ وهو بحث عقلي كبحث الناس في الأرض هل
 تبقى أولاتبقى وهذا البحث العقلي لم يرتبط به دين المسلمين بل لم ينطق
 كتاب ولا سنة ولا أثر من السلف بلفظ الجسم في حق الله لانفيا ولا اثباتا

فليس لأحد أن يتتبع اسما مجملا يحتمل معاني مختلفة لم ينطق به الشرع
ويعلق به دين المسلمين ولو كان قد نطق باللغة العربية فكيف اذا أحدث
للفظ معنى آخر *

والمعنى الذى يقصده اذا كان حقا عبر عنه بالعبارة التى لابس فيها اذا
كان معتقده ان الاجسام متماثلة وأن الله ليس كمثل شئ وهو سبحانه
لاسمى له ولا كقوله ولا ند له فهذه عبارات القرآن تؤدى هذا المعنى بلا
تلبيس ولا نزاع وان كان معتقده ان الاجسام غير متماثلة وان كل ما يرى
ويقوم به من الصفات فهو جسم فان عليه أن يثبت ما أثبت الله ورسوله من
علمه وقدرته وسائر صفاته كقوله (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء)
وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله عليه السلام فى حديث
الاستخارة «اللهم انى استخيرك بمعلمك الغيب وقدرتك على الخلق» ويقول
قال رسول الله ﷺ «انكم ترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون الشمس
والقمر لاتضامون فى رؤيته» فشبّه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئى كالمرئى *
فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تلبيس
ولانزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ثم بعد
هذا من كان تبين له معنى من جهة العقل انه لازم للحق لم يدفعه عن عقله
فلازم الحق حق لكن ذلك المعنى لا بد أن يدل الشرع عليه فيشبهه بالالفاظ
الشرعية وان قدر ان الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده
وحينئذ فليس لأحد أن يدعو الناس اليه وان قدر أنه فى نفسه حق *
(ومسألة) تماثل الاجسام وتركيبها من الجواهر الفردة قد اضطرب
فيها جماهير أهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة وأكثر
ذلك لاجل الالفاظ المجملة والمعانى المتشابهة وقد بسط الكلام عليه فى غير

هذا الموضوع لكن المقصود هنا أنه لو قدر ان الانسان تبين له ان الاجسام ليست متماثلة ولا مركبة لامن هذا ولا من هذا لم يكن له أن يبتدع في دين الاسلام قوله ان الله جسم وينظر على المعنى الصحيح الذى دل عليه الكتاب والسنة بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبارات الشرعية ولو قدر أنه تبين له أن الاجسام متماثلة وأن الجسم مركب لم يكن له أن يبتدع القول بهذا الاسم وينظر على معناه الذى اعتقده بعقله بل ذلك المعنى المعلوم بالشرع والعقل يمكن اظهاره بعبارة لا إجمال فيها ولا تلبس والذين يقولون ان الجسم مركب من الجوهر يدعى كثير منهم أنه كذلك في لغة العرب لأن العرب يقولون هذا أجسم من هذا يريدون به أنه أكثر أجزاء منه ويقولون هذا جسيم أى كثير الأجزاء قال والتفضيل بصيغة أفعل انما يكون لما يدل عليه الاسم فاذا قيل هذا أعلم وأحلم كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم فلما قالوا أجسم لما كان أكثر أجزاء دل على أن لفظ الجسم عندهم المراد به المركب فمن قال جسم وليس بمركب فقد خرج عن لغة العرب قالوا : وهذه تخطئة في اللفظ وان كنا لانكفركه اذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف وقد نازعهم بعضهم في قولهم هذا أجسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما يحكى عن أبى زيد فيقال له لا ريب ان العرب تقول هذا جسيم أى عظيم الجثة وهذا أجسم من هذا أى أعظم جثة لكن كون العرب تعتقد أن ذلك لكثرة الأجزاء التى هى الجوهر الفردة انما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون ان الجسم مركب من الجوهر الفردة والجوهر الفرد هو شئ قد بلغ من الصغرو الحقايرة الى أنه لا يتميز يمينه من يساره ، ومعلوم أن أكثر العقلاء من بنى آدم لا يتصور الجوهر الفرد والذين يتصورونه أكثرهم لا يثبتونه

والذين أثبتوه انما يثبتونه بطرق خفية طويلة بعيدة فيمتنع أن يكون
اللفظ الشائع في اللغة التي ينطق بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا
وقد علم بالاضرار ان أحدا من الصحابة والتابعين لم يحسان لم ينطق
بأثبتات الجوهر الفرد ولا بما يدل على ثبوته عنده بل ولا العرب قبلهم ولا سائر
الأمم الباقين على الفطرة ولا اتباع الرسل فكيف يدعى عليهم أنهم لم يقولوا
لفظ جسم الا لما كان مركبا مؤلفا ولو قلت لمن شئت من العرب الشمس
والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزى
أو الجبال أو الهواء أو الحيوان أو النبات لم يتصور هذا المعنى الا بعد كلفة
سم اذا تصوره قد يكذبه بفطرته ويقول كيف يمكن ان يكون شيء لا يتيمن
منه جانب عن جانب وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون
الجوهر الفرد فالفقهاء قاطبة تنكره وكذلك أهل الحديث والنصوف
ولهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض الأجسام الى بعض كاستحالة
العدرة رمادا والخنزير ملحاً ، ثم تكلموا في هذه الاستحالة هل تظهر أم لا
تظهر ؟ والقائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل الذوات عندهم بل تلك الجواهر
التي كانت في الأول هي بعينها في الثاني وانما اختلف التركيب ولهذا يتكلم
بلفظ التركيب في الماء ونحوه من الفقهاء المتأخرين من كان قد أخذ هذا
التركيب عن المتكلمين ويقول ان الماء يفارق غيره في التركيب فقط وكذلك
القائلون بالجوهر الفرد عندهم انما لم نشاهد قط أحداث الله لشيء من
الاعيان القائمة بنفسها وان جميع ما يخلقه من الحيوان والنبات والمعدن
والثمار والمطر والسحاب وغير ذلك انما هو جمع الجواهر وتفريقها وتغيير
صفاتها من حال الى حال لانه يبدع شيئا من الجواهر والأجسام القائمة
بأنفسها وهذا القول أكثر العقلاء ينكره ويقول : هو مخالف للحس والعقل

والشرع فضلا عن أن يكون الجسم في لغة العرب مستلزما لهذا المعنى ، ثم الجسم قد يراد به الغلط نفسه وهو عرض قائم بغيره وقد يراد به الشيء الغليظ وهو القائم بنفسه فنقول هذا الثوب له جسم أى غلط وقوله (وزاده بسطة في العلم والجسم) قد يحتاج به على هذا فإنه قرن الجسم بالعلم الذى هو مصدر فنقول المعنى زاده بسطة في قدره فجعل قدر بدنه أكبر من بدن غيره فيكون الجسم هو القدر نفسه لانفس المقدرة

وكذلك قوله (تعجبك أجسامهم) أى صورهم القائمة بأبدانهم كما تقول أعجبنى حسنة وجماله ولونه وبهاؤه فقد يراد صفة الأبدان وقد يراد نفس الأبدان وهم اذا قالوا هذا أجسم من هذا أرادوا به أغلظ وأعظم منه اما كونهم يريدون بذلك ان ذلك العظم والغلظ كان لزيادة الاجزاء فهذا مما يعلم قطعاً انه لم يخطر ببال أهل اللغة الا من أخذ ذلك عن اعتقده من أهل الكلام المحدث الذى أحدث في الاسلام بعد انقراض عصر الصحابة وأكثر التابعين فان هذا لم يعرف في الاسلام من تكلم به أو بمعناه الا فى أواخر الدولة الأموية لما ظهر جهم بن صفوان والجعد بن درهم ثم ظهر فى المعتزلة فقد تبين ان من قال الجسم هو المؤلف المركب واعتقدان الاجسام مركبة من الجواهر الفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه أكثر العقلاء من بنى آدم ولم ينقل عن أحد من الساف انه وافقه عليه وجعل لفظ الجسم فى اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه اللفظ فى اللغة فقد غير معنى اللفظ فى اللغة وادعى معنى عقليا فيه نزاع طويل وليس معه من الشرع ما يوافق ما ادعاه من معنى اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلى فاللغة لا تندل على ما قال والشرع لا يدل على ما قال والعقل لم يدل على مسميات الالفاظ وانما يدل على المعنى المجرد وذلك فيه نزاع طويل ونحن نعلم بالاضطرار ان ذلك المعنى

الذى وجب نفيه عن الله لا يحتاج نفيه الى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلى بل الذين جعلوا هذا عمدتهم فى تنزيه الرب على نفى مسمى الجسم لا يمكنهم أن ينزهوه عن شئ من النقائص البتة فانهم اذا قالوا : هذا من صفات الاجسام فكل ما يثبتونه هو أيضا من صفات الاجسام مثل كونه حيا عليما قديرا بل كونه موجودا قائما بنفسه فانهم لا يعرفون هذا فى الشاهد الاجسام ، فاذا قال المنازع انا أقول فيما نفيتموه نظير قولكم فيما أثبتموه انقطعوا ثم هروا . لم فى استحقاق الرب لصفات الكمال عندهم هل علمه بالاجماع فقط أو علمه بالعقل أيضا فيه قولان فمن قال ان ذلك لم نعلمه بالعقل كأبي المعالى والرازى وغيرهما لم يبق معهم دليل عقلى ينزهون به الرب عن كثير من النقائص هذا اذا لم ينف الا ما يجب نفيه عن الله مثل نفيه للنقائص فانه يجب تنزيه الرب عنها وينفى عنه بمائثلة المخلوقات فانه كما يجب تنزيه الرب عن كل نقص وعيب يجب تنزيهه عن أن يماثله شئ من المخلوقات فى شئ من صفات الكمال الثابتة له وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله وقل هو الله أحد دلت على النوعين فقوله أحد من قوله لم يكن له كفوا أحد ينفى المماثلة والمشاركة ، وقوله صمد يتضمن جميع صفات الكمال فالنقائص جنسها منفى عن الله تعالى وكل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التى يجب تنزيه الرب عنها بخلاف ما يوصف به الرب ويوصف العبد بما يليق به مثل العلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك فان هذه ليست نقائص بل ما ثبت لله من هذه المعانى فانه يثبت لله على وجه لا يقاربه فيه أحد من المخلوقات فضلا عن أن يماثله فيه بل ما خلقه الله فى الجنة من المائلا^٢ كل والمشارب والملابس لا يماثل ما خلقه فى الدنيا وان اتفقا فى الاسم وكلاهما مخلوق قال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء

فقد أخبر الله ان في الجنة لبنا وخمرا وعسلا وماء وحريرا وذهباً وفضة ،
وتلك الحقائق ليست مثل هذه وكلاهما مخلوق فالخالق تعالى أبعد من مماثلة
المخلوقات من المخلوقات الى المخلوق وقد سمي الله نفسه عليهما حلماً رؤوفاً رحماً
سمي بصيراً عزيزاً ملكاً جباراً متكبراً مؤمناً عظيماً كريماً غنياً شكوراً كبيراً
حفيظاً شهيداً حقاً وكلاً ولها ، وسمى أيضاً بعض مخلوقاته بهذه الاسماء فسمى
الانسان سميماً بصيراً وسعى نبيه رؤوفاً رحماً وسمى بعض عباده ملكاً
وبعضهم شكوراً وبعضهم عظيماً وبعضهم حلماً وسائر ما ذكر من
الاسماء مع العلم انه ليس المسمى بهذه الاسماء من المخلوقات مماثلة للخالق
جل جلاله في شيء من الاشياء وكذلك النزاع في لفظ التحيز والجهة
ونحو ذلك فمن الناس من يقول هو متحيز وهو في جهة ، ومنهم من يقول
ليس بمتحيز وليس في جهة ، ومنهم من يقول هو في جهة وليس بمتحيز ولفظ
المتحيز يتناول الجسم والجوهر الفرد ولفظ الجوهر قد يراد به المتحيز
وقد يراد به الجوهر الفرد ، ومن الفلاسفة من يدعى اثبات جواهر قائمة
بانفسها غير متحيزة ومتأخرو أهل الكلام كالشهرستاني والرازي والآمدي
ونحوهم بقولون ليس في العقل ما يحيل ذلك ولهذا كان من سلك سبيل هؤلاء
وهو انما يثبت حدوث العالم بحدوث الاجسام يقول بتقدير وجود جواهر
عقلية فليس في هذا الدليل ما يدل على حدوثها ولهذا صار طائفة ممن
خلط الكلام بالفلسفة الى قدم الجواهر العقلية وحدث الاجسام وان السبب
الموجب لحدوثها هو حدوث تصور من تصورات النفس وكان يقول بهذا
بعض أعيان المصريين وكذلك الآرموي صاحب الباب الذي أجاب عن
شبهة الفلاسفة على دوام الفاعلية المتضمنة انه لا بد للحدث من سبب فأجاب
بالجواب الباهر الذي أخذه من كلام الرازي في المطالب العالية فانه أجاب

به وهو في المطالب العالية يخلط كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين وهو في
مسئلة الحدوث والقدم جائز ، وهذا الجواب من أفسد الاجوبة فانه يقال
ما الموجب لحدوث تلك التصورات دائما ثم ان النفس عندهم لا بد أن
تكون متصله بالجسم فيمتنع وجود نفس بدون جسم ، وأيضا فالذي علم
بالاضطرار من دين الرسل ان كل ماسوى الله مخلوق محدث كان بعد ان
لم يكن وأيضا فما تثبته الفلاسفة من الجواهر العقلية انها يوجد في الذهن
لا في الخارج وأما أكثر المتكلمين فقالوا انتفاء هذه معلوم بضرورة العقل
وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع فبين أن ما تدعى الفلاسفة
اثباته من الجواهر العقلية التي هي العقل والنفس والمادة والصورة فلاحقيقة
لها في الخارج وانما هي أمور معقولة في الذهن يجردها العقل من الامور
المعينة كما يجرد العقل الكليات المشتركة بين الاصناف كالحيوانية الكلية
والانسانية الكلية والكليات انها تكون كليات في الازهان لا في الاعيان ، ومن
هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات وان في الخارج ماهيات
كلية مقارنة للاعيان غير الموجودات المعينة وكذلك منهم من يثبت كليات
مجردة عن الاعيان يسمونها المثل الافلاطونية ، ومنهم من يثبت دهرها مجردا
عن المتحرك والحركة ويثبت خلاء مجردا ليس هو متحيزا ولا قائما بمتحيز
ويثبت هيولى مجردة عن جميع الصور ، والهيولى في لغتهم بمعنى المحل يقال
الفضة هيولى الخاتم والدرهم والحشب هيولى الكرسي أى هذا المحل الذي
تصنع فيه هذه الصورة وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض ويدعون
ان الجسم هيولى محل الصورة الجسمية وغير نفس الجسم القائم بنفسه وهذا
غلط وانما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل يمتد وعدد
مجرد عن كل معدود ومقدار مجرد عن كل مقدر ، وهذه كلها أمور مقدرة

في الاذهان لا وجود لها في الالعيان وقد اعترف بذلك من عادته نصر الفلاسفة من أهل النظر لما قد بسط هذا في غير هذا الموضوع ، فالحواهر العقلية التي يشتها هؤلاء الفلاسفة يعلم بصريح العقل بعد التصور التام انتفاؤها في الخارج وأما الملائكة الذين أخبر الله عنهم فهذه لا يعرفها هؤلاء الفلاسفة أتباع ارسطو ولا يذكرونها بنفى ولا اثبات كما لا يعرفون النبوات ولا يتكلمون عليها بنفى ولا اثبات *

انما تكلم في ذلك متأخروهم كابن سينا وأمثاله الذين أرادوا أن يجمعوا بين النبوات وبين الفلسفة فلبسوا وادلسوا وكذلك العلة الأولى التي يثبتونها لهذا العالم انما أثبتوا علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها وتحريكها للفلك من جنس تحريك الامام المقتدى به المؤتمم المقتدى اذا كان يجب أن يتشبه بامامه ويقتدى بامامه ، ولفظ الاله في لغتهم يراد به المشبوع الامام الذي يتشبه به فالفلك عندهم يتحرك للتشبه بالاله ولهذا جعلوا الفلسفة العليا والحكمة الأولى انما هي التشبه بالاله على قدر الطاقة ، وكلام ارسطو في علم ما بعد الطبيعة في مقالة اللام التي هي منتهى فلسفته وفي غيرها كله يدور على هذا وتارة يشبه تحريكه للفلك بتحريك المعشوق للعاشق لكن التحريك هنا قد يكون لمحبة العاشق ذات المعشوق أو لغرض يناله منه وحركة الفلك عندهم ليست كذلك بل يتحرك ليتشبه بالعلة الأولى فهو يحبها أى يحب التشبه بها لا يجب أن يعبدها ولا يحب شيئا يحصل منها ويشبه ذلك ارسطو بحركة النواميس لا اتباعها أى اتباع الناموس قائمون بما في الناموس ويقتدون به والناموس عندهم هي السياسة الكلية للبدائن التي وضعها لهم ذوو الرأي والعقل لمصلحة دنياهم لئلا يتظالموا ولا تفسد دنياهم ومن عرف النبوات منهم يظن أن شرائع الانبياء من جنس نواميسهم وأن المقصود بها مصلحة

الدنيا بوضع قانون عدلى ولهذا أوجب ابن سينا وأمثاله النبوة وجعلوا
 النبوة لا بد منها لاجل وضع هذا الناموس ، ولما كانت الحكمة العملية عندهم
 هي الخلقية والمنزلية والمدنية جعلوا ما جاءت به الرسل من العبادات والشرائع
 والاحكام هي جنس الحكمة الخلقية المنزلية والمدنية فان القوم لا يعرفون
 الله بل هم أبعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير وارسطو
 المعلم الاول من أجهل الناس برب العالمين الى الغاية لكن لهم معرفة جيدة
 بالامور الطبيعية وهذا بحر علمهم وله تفرغوا وفيه ضيعوا زمانهم ، وأما
 معرفة الله تعالى فحفظهم منها مبخوس جدا وأما ملائكته وكتبه ورسله
 فلا يعرفون ذلك البتة ولم يتكلموا فيه لابتغى ولا اثبات وإما يتكلم في ذلك
 متأخروهم الداخلون في الملل وأما قدماء اليونان فكانوا مشركين من أعظم
 الناس شركا وسحرا يعبدون الكواكب والاصنام ولهذا عظمت عنايتهم
 بعلم الهيئة والكواكب لاجل عبادتها وكانوا يبنون لها الهياكل وكان آخر
 ملوكهم بطليموس صاحب المجسطى لما دخلت الروم في النصرانية جاء
 دين المسيح صلوات الله عليه وسلامه فابطل ما كانوا عليه من الشرك
 ولهذا بدل من بدل دين المسيح فوضع ديننا مربكاً من دين الموحدين
 ودين المشركين فان أولئك كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب
 ويصلون لها ويسجدون فجاء قسطنطين ملك النصارى ومن اتبعه فابتدعوا
 الصلاة الى الشرق وجعلوا السجود الى الشمس بدلا عن السجود لها وكان
 أولئك يعبدون الاصنام المجسدة التي لها ظل فجاءت النصارى وصورت
 تماثيل القدايس في الكنائس وجعلوا الصور المرقومة في الحيطان والسقوف
 بدل الصور المجسدة القائمة بانفسها التي لها ظل وارسطو كان وزير الاسكندر
 ابن فيلبس المقدوني نسبة الى مقدونية وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين

الذين يسمون المشائين وهى اليوم خراب أوغمرها الماء وهو الذى يؤرخ
له النصرى واليهود التاريخ الرومى وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة
فيظن من يعظم هؤلاء الفلاسفة انه كان وزير ذى القرنين المذكور فى
القرآن ليعظم بذلك قدره وهذا جهل فان ذا القرنين كان قبل هذا بمدة
طويلة جدا وذو القرنين بنى سد يأجوج ومأجوج وهذا المقدونى ذهب
الى بلاد فارس لم يصل الى بلاد الصين فضلا عن السد والملائكة التى أخبر
الله ورسوله بها لا يحصى عددهم إلا الله ليسوا عشرة ولا تسعة وهم عباد
الله أحياء ناطقون ينزلون الى الأرض ويصعدون الى السماء ولا يفعلون
إلا بأذن ربهم كما أخبر الله عنهم بقوله : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال
تعالى (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن
الله لمن يشاء ويرضى) وأمثال هذه النصوص ، وهؤلاء يدعون أن العقول
قديمة أزلية وأن العقل الفعال هو رب كل ماتحت هذا الفلك والعقل الأول
هو رب السموات والأرض وما بينهما ، والملاحظة الذين دخلوا معهم من
أتباع بنى عبيد كأصحاب رسائل اخوان الصفا وغيرهم وكما لاحظت المتصوفة
مثل ابن عربى . وابن سبعين وغيرهما يحتاجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع
أول ما خلق الله العقل ، وفى كلام أبى حامد الغزالى فى الكتب المضمون بها
على غير أهلها وغير ذلك من معانى هؤلاء قطعة كبيرة ويعبر عن مذاهبيهم
بلفظ الملك والملوك والجبروت ومراده بذلك الجسم والنفس والعقل
فياخذ هؤلاء وتلك العبارات الاسلامية ويودعونها معانى هؤلاء وتلك
العبارات مقبولة عند المسلمين فاذا سمعوها قبلوها ثم اذا عرفوا المعانى التى قصدتها

(م ٦ — تفسير سورة الاخلاص)

هؤلاء ضل بهم من لم يعرف حقيقة دين الاسلام وأن هذه معاني هؤلاء الملاحدة ليست هي المعاني التي عناها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوانه المرسلون مثل موسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين

ولهذا ضل كثير من المتأخرين بسبب هذا الالتباس وعدم المعرفة بحقيقة ما جاء به الرسول وما يقوله هؤلاء حتى يضل بهم خلق من أهل العلم والعبادة والتصوف ومن ليس له غرض في مخالفة محمد ﷺ بل يحب اتباعه مطلقا ولو عرف أن هذا مخالف لما جاء به لم يقبله لكن لعدم دال عليه بمعاني ما أخبر به الرسول ومقاصد هؤلاء يقبل هذا لاسيما اذا كان المتكلم به ممن له نصيب وافر في العلم والكلام والتصوف والزهد والفقه والعبادة ورأى الطالب أن هذا مرتبته فوق مرتبة الفقهاء الذين انما يعرفون الشرع الظاهر وفوق مرتبة المحدث الذي غايته النقل لالفاظ لا يعلم معانيها وكذلك المقرئ والمفسر، ورأى من يعظمه من أهل الكلام امام وافق لهم أو خاف منهم، ورأى بحوث المتكلمين معهم في مواضع كثيرة لم يأتوا بتحقيق تبيين فساد قولهم بل تارة يوافقونهم على أصول لهم تكون فاسدة وتارة يخالفونهم في أمركاته الفلاسفة ويكون حقا مثل ما يرى كثير من المتكلمين يخالفهم في أمور طبيعية ورياضية ظانا أنه ينصر الشرع ويكون الشرع موافقا لما علم بالعقل مثل استدارة الافلاك فانه لم يعلم بين السلف خلاف في أنها مستديرة والآثار بذلك معروفة والكتاب والسنة قد دل على ذلك وكذلك استحالة الاجسام بعضها الى بعض هو بما اتفق عليه الفقهاء كما قال هؤلاء الى أمور آخر لكن كثير من المتكلمين أو أكثرهم لا خيرة لهم بمادل عليه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم باحسان بل ينصر مقالات يظنها دين المسلمين بل اجماع المسلمين ولا يكون قد قالها أحد من السلف

بل الثابت عن الساف مخالف لها فلما وقع بين المتكلمين تقصير وجهل كثير
 بتحقيق العلوم الشرعية وهم في العقليات تارة يوافقون الفلاسفة على باطلهم
 وتارة يخالفونهم في حقهم صارت المناظرات بينهم دولا وان كان المتكلمون
 أصح مطلقا في العقليات الالهية والسكنية كما أنهم أقرب الى الشرعيات من
 الفلاسفة فان الفلاسفة كلامهم في الالهيات والكليات العقلية كلام قاصر جدا
 وفيه تخليط كثير وانما يتكلمون جيدا في الامور الحسية الطبيعية وفي كلياتها
 فكلامهم فيها في الغالب جيد ، وأما الغيب الذي تخبر به الانبياء والكليات
 العقلية التي تعم الموجودات كلها وتقسيم الموجودات قسمة صحيحة فلا يعرفونها
 البتة فان هذا لا يكون الا بمن أحاط بانواع الموجودات وهم لا يعرفون
 الا الحساب وبعض لوازمها وهذا معرفة بقليل الموجودات جدا فان مالا
 يشهده الآدميون من الموجودات أعظم قدرا وصفة مما يشهدونه بكثير
 ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة اذا سمعوا اخبار الانبياء
 بالملائكة والعرش والكرسى والجنة والنار وهم يظنون أن لا موجودا لا ما علموه
 هم والفلاسفة يصيرون حائرين متأولين لكلام الانبياء على ما عرفوه وان
 كان هذا الدليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم فان عدم العلم ليس علما بعدم
 لكن نفهم هذا كنفى الطبيب للجن لانه ليس في صناعة الطب ما يدل على
 ثبوت الجن والافليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن، وهكذا تجدهم
 عرف نوعا من العلم وامتناز به على العامة الذين لا يعرفونه فيبقى بجهله نافيا
 لما لا يعلمه وبنو آدم ضلالهم فيما جهلوه ونفوه بغير علم أكثر من ضلالهم
 فيما أثبتوه وصدقوا به قال تعالى : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
 تأويله) وهذا لان الغالب على الآدميين صحة الحس والعقل فاذا أثبتوا شيئا
 وصدقوا به فان حقا ولهذا كان التواتر مقبولا من جميع أجناس بني آدم

لانهم يخبرون عما شاهدوه وسمعوه ، وهذا أمر لا يشترك الخلق العظيم في
 الغلط فيه ولا في تعمد الكذب فيه فاذا علم أنهم لم يتواطؤا عليه ولم يأخذ
 بعضهم عن بعض كما يؤخذ المذهب والاراء التي يتلقاها المتأخر عن المتقدم
 وقد علم أن هذا بما لا يغلط فيه عادة علم قطعاً صدقهم فان المخبر اما أن يعتمد
 الكذب واما أن يغلط وكلاهما مأمون في المتواترات بخلاف ما نقوه وكذبوا
 به فان غالبهم او كثير منهم يتفون ما لا يعلنون ويكذبون بما لم يحيطوا بعلمه
 فصار هؤلاء الذين ظنوا الموجودات ما عرفه هؤلاء المتفلسفة اذا سمعوا
 ما أخبرت به الانبياء من العرش والكرسى قالوا : العرش هو الفلك التاسع
 والكرسى هو الثامن وقد تكلمنا على ذلك في مسئلة الاحاطة وينا جهل من
 قال هذا عقلا وشرعا ، واذا سمعهم يذكرون الملائكة ظن انهم العقول
 والنفوس التي اثبتتها المتفلسفة والقوى التي في الاجسام وكذلك الجن والشايطين
 يظن أنها اعراض قائمة بالنفوس حيث كان هذا مبلغه من العلم وكذلك
 يظن ما ذكره ابن سينا وأمثاله من أن الغرائب في هذا العالم سببها قوة فلكية
 أو طبيعية أو نفسانية ويجعل معجزات الانبياء من باب القوى النفسانية وهي
 من جنس السحر لكن الساحر قصده الشر والنبي قصده الخير وهذا كله من
 الجهل بالامور الكلية المحيطة بالموجودات وأنواعها ، ومن الجهل بما جاء به
 الرسول فلا يعرفون من العلوم الكلية ولا العلوم الالهية الا ما يعرفه الفلاسفة
 المتقدمون وزادات تلقوها عن بعض أهل الكلام أو عن أهل الملة .
 فلهذا صار كلام المتأخرين كابن سينا وأمثاله في الالهيات والكليات
 أجود من كلام سلفه ولهذا قربت فلسفة اليونان الى أهل الاتحاد والمبتدعة
 من أهل الملل لما فيها من شوب الملة ولهذا دخل فيها بنو عبيد الملاحدة
 فاخذوا عن هؤلاء الفلاسفة الصابئة المشركين العقل والنفوس وعن المجوس

النور والظلمة وسموهم السابق والتالي، وكذلك الملاحدة المنتسبون
الى التصوف والتأله كابن سبعين وأمثاله سلكوا مسلكا جمعوا فيه بزعمهم
بين الشرع والفلسفة وهم ملاحدة ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة، وقد
بسط الكلام على هؤلاء وهؤلاء في غير هذا الموضع.

وانما ذكروا ذلك لان أهل الكلام المحدث صاروا لعدم علمهم بما
عليه السلف وأئمة السنة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة ولما وقعوا
فيه من الكلاميات الباطلة يدخل بسببهم هؤلاء الفلاسفة في الاسلام أمورا
باطلة ويحصل بهم من الضلال والغى ما لا يتسع هذا الموضع لذكره.

ولما أحدثت الجهمية محتهم ودعوا الناس اليها وضرب أحمد بن حنبل في سنة
عشرين ومائتين كان مبدأ حدوث القراءة الملاحدة الباطنية من ذلك الزمان
فصارت البدع باب الاحاد كما أن المعاصي يريد الكفر ولبسط هذا موضع آخره
والمقصود هنا الكلام على لفظ التحيز والجهة وهؤلاء المتكلمون

المتفلسفة صار بينهم نزاع في الملائكة هل هي متحيزة أم لا؟ فمن مال الى
الفلسفة ورأى أن الملائكة هي العقول والنفوس التي يثبتها الفلاسفة وان
تلك ليست متحيزة قال ان الملائكة ليست متحيزة لاسيما وطائفة من
الفلاسفة لم تجعل عددها عشرة عقول وتسعة نفوس كما هو المشهور عن
المشائين بل لادليل على نفى الزيادة ورأى النبوات قد أخبرت بكثرة
الملائكة فأراد أن يثبت كثرتهم بطريقة فلسفية كما فعل ذلك أبو البركات
صاحب المعتمد، والرازي في المطالب العالية وغيرها، وأما المتكلمون فانهم
يقولون ان كل ممكن أوكل محدث أوكل مخلوق فهو اما متحيز واما قائم
بمتحيز وكثير منهم يقول كل موجود اما متحيز واما قائم بمتحيز ويقول
لا يعقل موجود الا كذلك كما قال طوائف من أهل الكلام والنظر ثم

الفلاسفة كابن سينا وأنباعه والشهرستاني والرازي وغيرهم لما أرادوا اثبات
وجود ليس كذلك فإن أكبر عمدتهم اثبات الكلليات كالإنسانية المشتركة
والحيوانية المشتركة وإذا كانت هذه لا تكون كلييات إلا في الذهن فلم ينازعهم
الناس في ذلك وإنما نازعواهم في اثبات وجود خارج الذهن قائم بنفسه
لا يمكن الاحساس به بحال بل لا يكون إلا معقولا وقالوا لهم : المقول ما كان
في العقل وأما ما كان موجودا قائما بنفسه فلا بد أن يمكن الاحساس به
وإن لم نحس نحن به في الدنيا كما لا نحس بالجن والملائكة وغير ذلك فلا
بد أن يحس به غيرنا كالملائكة والجن وأن يحس به بعد الموت أوفي الدار
الآخرة أو يحس به بعض الناس دون بعض في الدنيا كالأنبياء الذين رأوا
الملائكة وسمعوا كلامهم ، وهذه الطريقة - وهو أن كل قائم بنفسه يمكن رؤيته -
هي التي سلكها أئمة النظر كابن كلاب وغيره وسلكها ابن الزاغوني
وغيره وأما من قال إن كل موجود يجوز رؤيته أو يجوز أن يحس بسائر
الحواس الخمس كما يقوله الأشعري وموافقه كالقاضي أبي يعلى . وأبي المعالي
وغيرهما فهذه الطريقة مردودة عند جماهير العقلاء بل يقولون فسادها معلوم
بالضرورة بعد التصور التام لما بسط في موضعه ، وكذلك نزاعهم في روح
الإنسان التي تفارقه بالموت على قول الجمهور الذين يقولون هي عين
قائمة بنفسها ليست عرضا من أعراض البدن كالحياة وغيرها ولا جزءا من
أجزاء البدن كالهواء الخارج منه فإن كثيرا من المتكلمين زعموا أنها
عرض قائم بالبدن أو جزء من أجزاء البدن لكن هذا يخالف للكتاب والسنة
واجماع السلف والخلف ولقول جماهير العقلاء من جميع الأمم ومخالف للدلالة
وهذا مما استطال به الفلاسفة على كثير من أهل الكلام قال القاضي
أبو بكر أكثر المتكلمين على أن الروح عرض من الأعراض وبهذا تقول

إذا لم يعن بالروح النفس فانه قال الروح الكائن في الجسد ضربان أحدهما الحياة القائمة به والآخر النفس والنفس ربح يثبت به والمراد بالنفس ما يخرج بنفس التنفس من أجزاء الهواء المتحلل من المسام وهذا قول الاسفرائيني وغيره ، وقال ابن فورك هو ما يجري في تجاويف الأعضاء وأبو المعالي خالف هؤلاء وأحسن في مخالفتهم فقال ان الروح أجسام لطيفة مشابهة للأجسام المحسوسة أجرى الله العادة بحياة الأجساد ما استمرت مشابهتها لها فإذا فارقتها تعقب الموت الحياة في استمرار العادة ومذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر سالف الأمة وأئمة السنة ان الروح عين قائمة بنفسها انفارق البدن وتنعم وتعذب ليست هي البدن ولا جزاء من أجزائه كالنفس المذكور * ولما كان الامام أحمد ممن نص على ذلك كما نص عليه غيره من الأئمة لم يختلف أصحابه في ذلك لكن طائفة منهم كالقاضي أبي يعلى زعموا أنها جسم وأنها الهواء المتردد في مخاريق البدن ووافقة لأحد المعنيين الذين ذكرها الباقلاني ، وهذه الأقوال لما كانت من أضعف الأقوال تسلط بها عليهم خلق كثير ، والمقصود هنا أن الذين قالوا انها عين قائمة بنفسها غير البدن وأجزائه وأعراضه تنازعوا هل هي جسم متحيز على قولين كاستنازهم في الملائكة ؟

فالتكلمون منهم يقولون جسم والمتفلسفة يقولون جوهر عقلي ليس بجسم وقد أشرنا فيما تقدم الى أن ما تسميه المتفلسفة جواهر عقلية لا توجد الا في الذهن ، وأصل تسميتهم المجردات والمفارقات هو مأخوذ من نفس الانسان فانها لما كانت تفارق بدنه بالموت وتجرد عنه سموها مفارقة مجردة جسم أثبتوا ما أثبتوه من العقول والنفوس وسموها مفارقات ومجردات لمفارقتها المادة التي هي عندهم الجسم وهذه المفارقات عندهم ما لا يكون جسما ولا قائما

بجسم لكن النفس متعلقة بالجسم تعاق التدبير والعقل لاتعلق له بالاجسام أصلا ، ولا ريب أن جماهير العقلاء على اثبات الفرق بين البدن والروح التي تفارق والجمهور يسمون ذلك روحا وهذا جسما لكن لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين بل الجسم هو الجسد كما تقدم وهو الجسم الغليظ أو غلظه والروح ليست مثل البدن في الغاظ والاشافة ولذلك لاتسمى جسما فن جعل الملائكة والارواح ونحو ذلك جسما بالمعنى اللغوي فقد أصاب في ذلك ورب العالمين أولى أن لا يكون جسما فانه من المشهور في اللغة الفرق بين الارواح والاجسام (وأما أهل الاصطلاح) من المنكلمة والمتفلسفة فيجعلون مسمى الجسم أعم من ذلك وهو ما أمكنت الاشارة الحسية اليه وما قيل انه هنا وهناك وما قبل الابعاد الثلاثة ونحو ذلك وكذلك المتحيز في اصطلاح هؤلاء هو الجسم ويدخل فيه الجوهر الفرد عند من أثبتة وقد تقدم معنى الجسم في اللغة ، وأما المتحيز فقد قال تعالى (ومن يولم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله) وقال الجوهرى الحوز الجمع وكل من ضم الى نفسه شيئا فقد حازه حوزا وحيازة واحتازه أيضا والحوز والحيز السوق اللين وقد حاز الابل بحوزها ويحيزها وحوز الابل ساقها الى الماء ، وقال الاصمى اذا كانت الابل بعيدة المرعى عن الماء فأول ليلة توجهها الى الماء ليلة الحوز وتحوزت الحية وتحيزت تلوت يقال مالك تتحوز تحوز الحية وتحيز تحيز الحية ، قال سيديويه هو من تفعل من حزت الشيء قال القطامي :

تحيز منى خشية أن أضيفها ذا انحازت الافعى مخافة ضارب
يقول تمنحى عنى هذه العجوز وتأخر خشية أن أنزل عليها ضيفا والحيز
ما انضم الى الدار من مرافقها وكل ناحية حيز وأصله من الواو والحيز تخفيفه

الحيز مثل هين وهين ولين ولين والجمع احياز ، والحوزة الناحية وانحاز عنه
انعدل وانحاز القوم تركوا مركزهم الى آخر يقال للاولياء انحازوا عن
العدو وحاصوا الاعداء انهزموا وولوا مدبرين وتحاز الفريقان في الحرب
انحاز كل فريق عن الآخر فهذا المذكور عن أهل اللغة في هذا اللفظ ومادته
تقضى ان التحيز والانحياز والتحيز ونحو ذلك تضمن عدولا من محل
الى محل وهذا أخص من كونه يحوزه أمر موجود فهم يراعون في معنى
الحوز ذهابه من جهة الى جهة ، ولهذا يقولون حزت المال وحزت الابل
وذلك يتضمن نقله من جهة الى جهة فالشئ المستقر في موضعه كالجبل والشمس
والقمر لا يسمونه متحيزا وأعم من هذا أن يراد بالمتحيز ما يحيط به حيز
موجود فيسمى كل ما أحاط به غيره انه متحيز ، وعلى هذا فما بين السماء
والارض متحيز بل ما في العالم متحيز الاسطح العالم الذي لا يحيط به شئ
فان ذلك ليس بمتحيز وكذلك العالم جملة ليس بمتحيز بهذا الاعتبار فانه
ليس في عالم آخر أحاط به ، والمتكلمون يريدون بالمتحيز ما هو أعم من هذا
والحيز عندهم أعم من المسكان فالعالم كله في حيز وليس هو في مكان والمتحيز
عندهم لا يعتبر فيه انه يحوزه غيره ولا يكون له حيز وجودي بل كل ما أشير
اليه وامتاز منه شئ عن شئ فهو متحيز عندهم (ثم هم مختلفون) بعد هذا
في المتحيز هل هو مركب من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو هو
غير مركب لامن هذا ولامن هذا لما تقدم نزاعهم في الجسم فالجسم عندهم
متحيز ولا يخرج عنه الا الجوهر الفرد عند من أثبتوه هؤلاء يعتقد كثير
منهم أو أكثرهم أن كل متحيز فهو مركب يقبل الانقسام الى جزء لا يتجزى
بل يظن بعضهم أن هذا اجماع المسلمين وأكثرهم يقولون المتحيزات متماثلة
في الحد والحقيقة ومن كان معنى المتحيز عنده هذا فعليه أن ينزه الله تعالى

ان يكون متحيزا بهذا الاعتبار ، واذا قال الملائكة متحيزون بهذا الاعتبار
أو الروح متحيزة بهذا الاعتبار نازعه في ذلك جمهور العقلاء من المسلمين
وغيرهم بل لا يعرف أحد من سلف الامة وأئمتها يقول ان الملائكة متحيزة
بهذا الاعتبار ولا قالوا لفظا يدل على هذا المعنى ، وكذلك روح بنى آدم
التي تفارقه بالموت لم يقل أحد من السلف أنها متحيزة بهذا الاعتبار ولا
قال فيها لفظا يدل على هذا المعنى فاذا كان اثبات هذا التحيز للملائكة
والروح بدعة في الشرع وباطلا في الشرع فلا يكون ذلك بدعة وباطلا
في رب العالمين بطريق الأولى والآخرى * ومن هنا يتبين ان عامة ما يقوله
المتفلسفة وهؤلاء المتكلمة في نفوس بنى آدم وفي الملائكة باطلة فكيف بما
يقولونه في رب العالمين ، ولهذا توجد الكتب المصنفة التي يذكر فيها مقالات
هؤلاء وهؤلاء في هذه المسائل الكبار في رب العالمين وفي ملائكته وفي
أرواح بنى آدم وفي المعاد وفي النبوات ليس فيها قول يطابق العقل والشرع
ولا يعرفون ما قاله السلف والائمة في هذا الباب ولا ما دل عليه الكتاب والسنة
فلهذا يغلب على فضلائهم الحيرة فانهم اذا انهموا النظر لم يصلوا الى علم
لان ما نظروا فيه من كلام الطائفتين مشتمل على باطل من الجانبين ولهذا
قال أبو عبد الله الرازي في آخر عمره : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج
الفلسفية فإرايتها تشفى غيلا ولا تروى غيلا ورأيت أقرب الطرق طريقة
القرآن اقرأ في الاثبات (اليه يصعد الكلم الطيب) (والرحمن على العرش
استوى) وقرأ في النفي (ليس كمنه شيء) (ولا يحيطون به علما) ومن جرب
مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ، وأما من اعتقد أن المتحيز هو ما بين غيره
فانحاز عنه وليس من شرطه أن يكون مر كبا من الاجزاء الفردة ولا أنه يقبل
التفريق والتقسيم فاذا قال ان الرب متحيز بهذا المعنى أى أنه بائن عن مخلوقاته

فقد أراد معنى صحيحا لكن اطلاق هذه العبارة بدعة وفيها تلبيس فان هذا الذي أراده ليس معنى التحيز في اللغة وهو اصطلاح له ولطائفه ، وفي المعنى المصطلح نزاع بين العقلاء فصار يحتمل معنى فاسدا يجب تنزيه الرب عنه وليس للانسان أن يطلق لفظا يدل عند غيره على معنى فاسد ويفهم ذلك الغير ذلك المعنى الفاسد من غير بيان مراده بل هؤلاء المتكلمون الذين أرادوا بالمتحيز ما كان مؤلفا من أجزاء لا تقبل القسمة وهو ما كان قابلا للقسمة اذا قالوا ان كل ممكن أو كل محدث أو كل مخلوق فهو اما متحيز واما قائم بمتحيز كان جماهير العقلاء يخالفونهم في هذا التقسيم ولم يكن أحدا من أئمة المسلمين لامن الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ولا سائر أئمة المسلمين موافقا لهم على هذا التقسيم فكيف اذا قال من قال منهم كل موجود فهو اما متحيز واما قائم بمتحيز وأراد بالمتحيز ما أراده هؤلاء فان قوله حينئذ يكون ابعده عن الشرع والعقل من قول أولئك ولهذا طالبهم متأخروهم بالدليل على هذا الحصر وليس خطأ هؤلاء من جهة ما أفتته المتفلسفة من الجواهر العقلية فان تلك قد علم بطلانها بصريح العقل أيضا وما يقوله هؤلاء المتفلسفة في النفس الناطقة من أنها لا يشار اليها ولا توصف بحركة ولا سكوت ولا صعود ولا نزول وليس داخل العالم ولا خارجه وهو أيضا كلام أبطل من كلام أولئك المتكلمين عند جماهير العقلاء ولا سيما من يقول منهم كباين سينا وأمثاله انها لا تعرف شيئا من الامور الجزئية وانما تعرف الامور الكلية فان هذا مكابرة ظاهرة فانها تعرف بدنها وتعرف كل ما تراه بالبدن وتشمه وتسمعه وتذوقه وتقصده وتأمر به وتجه وتكرهه الى غير ذلك مما تتصرف فيه بعلمها وعملها فكيف يقال انها لا تعرف الامور المعينة وانما تعرف أمورا كلية وكذلك قولهم

ان تعلقها بالبدن ليس الا مجرد تعلق التدبير والتصرف كتدبير الملك
 لمملكته من افسد الكلام فان الملك يدبر أمر مملكته فيأمر وينهى ولا يمكن
 لا يصرفهم هو بمشيئته وقدرته ان لم يتحرروا هم بارادتهم وقدرتهم والملك
 لا يلتذ بلذة أحدهم ولا يتألم بتألمه وليس كذلك الروح والبدن بل قد
 جعل الله بينهما من الاتحاد والائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به ولكن
 دخول الروح فيه ليس هو مماثلا لدخول شيء من الاجسام المشهودة فليس
 دخولها فيه كدخول الماء ونحوه من المائعات في الأوعية فان هذه انما
 تلاقي السطح الداخلى في الأوعية لابطونها ولا ظهورها وانما يلاقى الأوعية
 منها أطرافها دون أوساطها وليس كذلك الروح والبدن بل الروح متعلقة
 بجميع أجزاء البدن باطنه وظاهره وكذلك دخولها فيها ليس كدخول
 الطعام والشراب في بدن الآكل فان ذلك له مجار معروفة وهو مستحيل
 الى غير ذلك من صفاته ولا جريانها في البدن كجريان الدم فان الدم يكون
 في بعض البدن دون بعض ففى الجملة كل ما يذكر من النظائر لا يكون كل
 شيء منه متعلقا بالآخر بخلاف الروح والبدن لكن هى مع هذا في البدن
 قد ولجت فيه وتخرج منه وقت الموت وتسل منه شيئا فشيئا فتخرج من
 البدن شيئا فشيئا لاتفارقة كما يفارق الملك مدينته التى يدبرها والناس لما
 لم يشهدوا لها نظيرا عسر عليهم التعبير عن حقيقتها وهذا تنبيه لم على رب
 العالمين حيث لم يعرفوا حقيقة ولا تصوروا كيف هو سبحانه وتعالى وان
 ما يضاف اليه من صفاته هو على ما يليق به جلّ جلاله فان الروح التى هى
 بعض عبيده توصف بانها تعرج اذا نام الانسان وتسجد تحت العرش
 وهى مع هذا فى بدن صاحبها لم تفارقه بالكلية والانسان فى نومه يحس
 بتصرفات روحه تصرفات تؤثر فى بدنه فهذا الصعود الذى توصف به الروح

لا يماثل صعود المشهودات فانها اذا صعدت الى مكان فارقت الاول بالكلية
 وحركتها الى العلو حركة انتقال من مكان الى مكان وحركة الروح بعروجها
 وسجودها ليس كذلك فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله بأنه ينزل الى سماء
 الدنيا كل ليلة وانه يدنو عشية عرفة الى الحجاج وانه كلم موسى في الوادي
 الايمن في البقعة المباركة من الشجرة وانه استوى الى السماء وهي دخان
 فقال لها وللارض انبيا طوعا أو كرها لم يلزم من ذلك أن تكون هذه
 الافعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الاعيان المشهودة حتى يقال
 ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر *

فان نزول الروح وصعودها لا يستلزم ذلك فكيف رب العالمين وكذلك
 الملائكة لهم صعود ونزول من هذا الجنس فلا يجوز نفي ما أثبت الله ورسوله
 من الاسماء والصفات ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات لاسيما مالا
 نشاهده من المخلوقات فان ما ثبت لما لانشاهده من المخلوقات من الاسماء
 والصفات ليس مماثلا لما نشاهده منها فكيف رب العالمين الذي هو أبعد عن
 مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق وكل مخلوق فهو أشبه بالمخلوق
 الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
 وهذا الذي نهنا عليه مما يظهر به ان ما يذره صاحب المحصل وأمثاله
 من تقسيم الموجودات على رأى المتفلسفة والمتكلمة كله تقسيم غير حاصر
 وكل من الفريقين مقصر عن سلفه اما المتكلمون فلم يسلكوا من التقسيم
 المسلك الذى دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وكذلك هؤلاء
 المتفلسفة اتباع ارسطو لم يسلكوا مسلك الفلاسفة الاساطين المتقدمين فان
 أولئك كانوا يقولون بحدوث هذا العالم وكانوا يقولون ان فوق هذا العالم
 عالما آخر يصفونه ببعض ما وصف النبى ﷺ الجنة وكانوا يثبتون معاد

الابدان كما يوجد هذا في كلام سقراط وتاليس وغيرهما من أساطين الفلاسفة
وقد ذكروا أن أول من قال منهم بقدم العالم ارسطو وهذه الالفاظ المحدثه
المجمله الثانية مثل لفظ المركب والمواقف والمنقبم ونحو ذلك قد صار
كل من أراد نفي شيء مما أثبتته الله لنفسه من الاسماء والصفات عبر بها عن
مقصوده فيتوهم من لا يعرف مراده ان المراد تنزيه الرب الذي ورد به
القرآن وهو اثبات أحديته وصمديته ويكون قد أدخل في تلك الالفاظ ما رآه
هو منفيًا وعبر عنه بتلك العبارة وضعا له واصطلاحا اصطلاح عليه هو ومن
واقفه على ذلك المذهب وليس ذلك من لغة العرب التي نزل بها القرآن
ولا من لغة أحد من الامم ثم يجعل ذلك المعنى هو مسمى الاحد والصمد
والواحد ونحو ذلك من الاسماء الموجودة في الكتاب والسنة ويجعل مانفاه
من المعاني التي أثبتها الله ورسوله من تمام التوحيد واسم التوحيد اسم معظم
جاءت به الرسل ونزلت به الكتب فاذا جعل تلك المعاني التي تفاه من التوحيد
ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول انه يقول بالتوحيد
الذي جاءت به الرسل ويسمى طائفته الموحدين كما يفعل ذلك الجهمية
والمعتزلة ومن واقفهم على نفي شيء من الصفات ويسمون ذلك توحيدا
ويسمون علم التوحيد كما تسمى المعتزلة ومن واقفهم على نفي القدر
عدلا ويسمون أنفسهم العدلية واهل العدل ومثل هذه البدع كثير جدا عبر
بألفاظ الكتاب والسنة عن معان مخالفة لما أراد الله ورسوله بتلك الالفاظ
ولا يكون أصحاب تلك الأقوال تلقوها ابتداء عن الله عز وجل ورسوله
ﷺ بل عن شبه حصلت لهم وأئمة لهم وجعلوا التعبير عنها بألفاظ
الكتاب والسنة حجة لهم وعمدة لهم ليظهر بذلك أنهم متابعون للرسول
لا مخالفون له وكثير منهم لا يعرفون ان ما ذكروه مخالف للرسول بل

يظن ان هذا المعنى الذى أرادته هو الذى أرادته الرسول ﷺ وأصحابه
 فلماذا يحتاج المسلمون الى شيئين، أحدهما معرفة ما أراد الله ورسوله بالفاظ
 الكتاب والسنة بان يعرفوا لغة القرآن التى نازل وما قاله الصحابة والتابعون
 لهم باحسان وسائر علماء المسلمين فى معانى تلك الالفاظ فان الرسول لما
 خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الالفاظ وكانت معرفة الصحابة
 لمعانى القرآن أكمل من حفظهم لحروفه وقد بلغوا تلك المعانى الى التابعين
 أعظم مما بلغوا حروفه فان المعانى العامة التى يحتاج اليها عموم المسلمين مثل
 معنى التوحيد ومعنى الواحد والاحد والايمان والاسلام ونحو ذلك كان
 جميع الصحابة يعرفون ما أحب الله ورسوله من معرفتها ولا يحفظ القرآن
 كله الا قليل منهم وان كان شئ من القرآن يحفظه منهم أهل التواتر والقرآن
 مملوء من ذكر وصف الله بانه أحد وواحد ومن ذكر أن الله كم واحد ومن
 ذكر أنه لا اله الا الله ونحو ذلك ❊

فلا بد أن يكون الصحابة يعرفون ذلك فان معرفته أصل الدين
 وهو أول ما دعى الرسول اليه الخلق وهو أول ما يقا تلهم عليه وهو أول
 ما أمر رسله أن تأمر الناس به وقد تواتر عنه انه أول ما دعى الخلق الى أن يقولوا
 لا اله الا الله ولما أمر بالجهاد بعد الهجرة قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
 لا اله الا الله وأنى رسول الله، وفى الصحيحين انه لما بعث معاذ الى اليمن قال
 له انك تأتى قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله
 الا الله وأنى رسول الله فانهم أطاعوا لك بذلك فاعلمهم ان الله قد افترض
 عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فانهم أطاعوا لك بذلك
 فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بيننا وبين الله حجاب
 فقال لمعاذ ليكن أول ما تدعوهم اليه التوحيد ومع هذا كانوا من أهل الكتاب

كانوا يهودا فان اليهود كانوا كثيرين بأرض النين وهذا الذي أمر به معاذ
 موافق لقوله تعالى (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
 وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة
 وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وفي الآية الأخرى (فان تابوا واقاموا الصلاة
 وآتوا الزكاة فاخلواكم في الدين) وهذا مطابق لقوله تعالى (وما أمروا الا
 ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك
 دين القيمة) وفي الصحيحين عنه عليه السلام أنه قال الايمان بضع وستون أو بضع
 وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الأذى عن الطريق
 والحيا شعبة من الايمان (فالمقصود) ان معرفة ما جاء به الرسول وما أراده
 بألفاظ القرآن والحديث هو أصل العلم والايمان والسعادة والنجاة ثم
 معرفة ما قال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول والمعاني
 المخالفة لها والالفاظ نوعان نوع يوجد في كلام الله ورسوله ونوع لا يوجد
 في كلام الله ورسوله فيعرف معنى الاول ويجعل ذلك المعنى هو الاصل
 ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني ويرد الى الاول هذا طريق أهل الهدى والسنة
 وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون الالفاظ التي أحدثوها ومعانيها
 هي الاصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لهم ويردونها بالتأويل والتحريف
 الى معانيهم ويقولون نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة يعنون أنهم يعتقدون
 معنى بعقلهم ورأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات
 والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه ولهذا قال الامام أحمد
 أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس وقال يجنب المتكلم في
 الفقه هذين الاصلين الجمل والقياس وهذه الطريق يشترك فيها جميع أهل
 البدع الكبار والصغار فهي طريق الجهمية والمعتزلة ومن دخل في التأويل

من الفلاسفة والباطنية الملاحدة وأما حذاق الفلاسفة فيقولون إن المراد
 بخطاب الرسول إنما هو أن يخيل إلى الجمهور ما ينتفعون به من مصالح دنياهم
 وإن لم يكن ذلك مطابقاً للحق قالوا وليس مقصود الرسول بيان الحق
 وتعريفه بل مقصوده أن يخيل إليهم ما يعتقدون ويجعلون خاصية النبوة
 قوة التخيل فهم يقولون إن الرسول لم يبين ولم يفهم بل ولم يقصد ذلك
 وهم متنازعون هل كان يعلم الأمور على ما هي عليه على قولين؟ منهم من قال
 كان يعلمها لكن ما كان يمكنه بيانها وهؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من
 الفيلسوف ، ومنهم من يقول بل ما كان يعرفها أو ما كان حاذقاً في معرفتها وإنما
 كان يعرف الأمور العلمية وهؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي
 لأن الأمور العملية أدل من العلمية فهؤلاء يجعلون خير الله وخبر الرسول
 إنما فيه التخيل وأولئك يقولون لم يقصد به التخيل ولكن قصد معنى يعرف
 بالتأويل ، وكثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك على أنه ما كان يمكنه
 أن يوضح بالحق في باب التوحيد مخاطب الجمهور بما خيل لهم كما يقولون أنه
 لو قال إن ربكم ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه ولا هو فوق العالم
 ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه ، وقالوا هذا لا يعرف قالوا مخاطبهم
 بالتجسيم حتى ثبت لهم رب يعبدونه وإن كان يعرف أن التجسيم باطل
 وهذا يقوله طوائف من أعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا أن
 مذهب النفاة هو الصحيح واحتاجوا أن يعتذروا عما جاء به الرسول من
 الإثبات كما يوجد في كلام غير واحد وتارة يقولون إنما عدل الرسول عن
 بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه ويجتهدوا في تأويل ألفاظه
 فتعظم أجورهم على ذلك وهو اجتهدهم في عقلياتهم وتأويلاتهم ولا يقولون
 أنه قصد به إفهام العامة الباطل كما يتمول أولئك المتفلسفة وهذا قول أكثر

المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكهم حتى ابن عقيل
 وأمثاله . وأبو حامد . وابن رشد الحفيد وأمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الاول
 وأبو حامد انما ذم التأويل في آخر عمره وصنف الجام العوام عن علم
 الكلام محافظة على هذا الاصل لانه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم الا بابقاء
 الظواهر على ما هي عليه وان كان هو يرى ما ذكره في كتبه المضمون
 بها ان النفي هو الثابت في نفس الامر فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب اليان
 والهدى كما وصف الله كتابه ونبيه حيث قال (هدى للمتقين) وقال (هذا
 بيان للناس) وقال (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال (وما
 على الرسول الا البلاغ المبين) وقال (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس
 من الظلمات الى النور) وأمثال ذلك ، وقال النبي ﷺ « تركتكم على البيضاء
 ليلها كنها ما لا يزيغ عنها بعدى الا هالك » وقال تعالى (وان هذا صراطي
 مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (قد جاءكم
 من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم
 من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وقال (ما كنت
 تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
 وانك لتهدي الى صراط مستقيم) وقال (فالذين آمنوا به وعزروه
 ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وثم طائفة ثالثة
 كثرت في المتأخرين المنتسبين الى السنة يقولون ما يتضمن ان الرسول لم
 يكن يعرف معاني ما أنزل عليه من القرآن كآيات الصفات بل لازم قولهم
 أيضا أنه كان يتكلم باحاديث الصفات ولا يعرف معناها .
 وهؤلاء مساكين لما رأوا المشهور عن جمهور السلف من الصحابة
 والتابعين أن الوقف التام عند قوله (وما يعلم تأويله الا الله) وافقوا السلف

وأحسنوا في هذه الموافقة لكن ظنوا أن المراد بالتأويل هو تأويل معنى اللفظ وتفسيره أو هو التأويل الاصطلاحي الذي يجري في كلام كثير من متأخري أهل الفقه والأصول وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترب به فهم قد سمعوا كلام هؤلاء هؤلاء فصار لفظ التأويل عندهم هذا معناه ، ولما سمعوا قول الله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) ظنوا أن لفظ التأويل في القرآن معناه هو لفظ التأويل في كلام هؤلاء فلزم من ذلك أنه لا يعلم أحد معنى هذه النصوص إلا الله لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما بل كل من الرسولين على قولهم يتلو أشرف ما في القرآن من الأخبار عن الله بأسمائه وصفاته وهو لا يعرف معنى ذلك أصلاً ، ثم كثير منهم يذمون ويبتلون تأويلات أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهما وهذا جيد لكن قد يقولون تجري على ظواهرها وما يعلم تأويلها إلا الله ، فإن عنوا بظواهرها ما يظهر منها من المعاني كان هذا مناقضاً لقولهم إن لها تأويلاً يخالف ظاهرها لا يعلمه إلا الله وإن عنوا بظواهرها مجرد الالفاظ كان معنى كلامهم أنه يتكلم بهذه الالفاظ ولها باطن يخالف ما ظهر منها وهو التأويل وذلك لا يعلمه إلا الله .

وفيه من يريد بآرائها على ظواهرها هذا المعنى وفيهم من يريد الأول وعامتهم يريدون بالتأويل المعنى الثالث وقد يريدون به الثاني فإنه أحياناً قد يفسر النص بما يوافق ظاهره ويبين من هذا ليس من التأويل الثالث فيأتون ذلك ويكرهون تدبر النصوص والنظر في معانيها أعني النصوص التي يقولون أنه لم يعلم تأويلها إلا الله ثم هم في هذه النصوص بحسب عقائدهم فإن كانوا من القدريّة قالوا النصوص المثبتة لكون العبد فاعلاً بحكمة والنصوص المثبتة لكون الله تعالى خالق أفعال العباد أو يريد الكل ما وقع نصوص

متشابهة لا يعلم تأويلها الا الله اذا كانوا ممن لا يتأولوها فان عامة الطوائف منهم من يتأول ما يخالف قوله ومنهم من لا يتأوله وان كانوا من الصفاتية المثبتين من الصفات التي زعموا أنهم يعلمونها بالعقل دون الصفات الخبرية مثل كثير من متأخري السكلاية كآبي المعالي في آخر عمره وابن عقيل في كثير من كلامه قالوا عن النصوص المتضمنة للصفات التي لا تعلم عندهم بالعقل هذه نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا الله وكثير منهم يكون له قولان وحالات تارة يتأول ويوجب التأويل أو يحوزه وتارة يحرمه كما يوجد لآبي المعالي •

ولابن عقيل ولا مثاله من اختلاف الاقوال ومن أثبت العلو بالعقل وجعله من الصفات العقلية كآبي محمد بن كلاب . وآبي الحسن بن الزاغوني ومن وافقه وكالقاضي أبي يعلى في آخر قوله . وآبي محمد أثبتوا العلو جعلوا الاستواء من الصفات الخبرية التي يقولون لا يعلم تأويلها الا الله وان كانوا ممن يرى الفرقية والعلو أيضا من الصفات الخبرية كقول القاضي أبي بكر وأكثر الاشعرية . وقول القاضي أبي يعلى في أول قوله وابن عقيل في كثير من كلامه وآبي بكر البيهقي وآبي المعالي وغيرهم سلك مسلك أولئك وهذه الامور مبسطة في موضعها (والمقصود) هنا ان كل طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن يجعلون تلك النصوص من المتشابهة ثم ان كانوا ممن يرى الوقف عند قوله (الا الله) قالوا لا يعلم معناها الا الله فيلزم أن لا يكون محمد وجبريل ولا أحد علم معاني تلك الآيات والاخبار وان رأوا الوقف على قوله (والراسخون في العلم) جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا ويقولون ان الرسول انما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة الحق من غير جهته بهقرهم وأذهانهم ويجتهدون في تخريج الفاظه

على اللغات العربية فيجتهدون في معرفة غرائب اللغات التي يتمكنون بها من التأويل وهذا ان قالوا انه قصد بالقرآن والحديث معنى حقا في نفس الامر وان قالوا بقول الفلاسفة والباطنية الذين لا يرون التأويل قالوا لم يقصد بهذه الالفاظ الا ما يفهمه العامة والجمهور وهو باطل في نفس الامر لكن أراد أن يخيل لهم ما ينتفعون به ولم يمكنه أن يعرفهم الحق فانهم كانوا ينفرون عنه ولا يقبلونه وأما من قال من الباطنية الملاحدة وفلاسفتهم بالتأويل فانه يتأول كل شيء مما أخبرت به الرسل من أمر الايمان واليوم الآخر ثم يؤلون العبارات كما هو معروف من تأويلات القرامطة الباطنية وأبي حامد في الاحياء ذكر قول هؤلاء المتأولين من الفلاسفة وقال انهم أسرفوا في التأويل وأسرفت الحنابلة في الجود وذكر عن أحمد بن حنبل كلاما لم يقله أحمد فانه لم يكن يعرف ما قاله أحمد ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب ولا ما جاء به القرآن والحديث وقد سمع مضافا الى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم ومن غيرهم من المالكية والشافعية وغيرهم في الحرف والصوت وبعض الصفات مثل قولهم ان الاصوات المسموعة من القراء قديمة أزلية وان الحروف المتعاقبة قديمة أزلية وأنه ينزل الى سماء الدنيا ويخلو منه العرش حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه وبعضهم تحته الى غير ذلك من المنكرات فانه ما من طائفة الا وفي بعضهم من يقول أقوالا ظاهرها الفساد وهي التي يحفظها من ينفر عنهم ويشنع بها عليهم وان كان أكثرهم ينكرها ويدفعها كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض أصحاب أحمد ومالك والشافعية فان جماهير هذه الطوائف ينكرها وأحمد وجمهور أصحابه منكرون لها *
و كلامهم في انكارها وردّها كثير جدا لكن يوجد في أهل الحديث مطلقا من الحنابلة وغيرهم من الغلط في الاثبات أكثر مما يوجد في أهل

الكلام ويوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي أكثر مما يوجد في أهل الحديث لأن الحديث إنما جاء باثبات الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي انفرد به أهل الكلام والكلام المأخوذ عن الجهمية والمعتزلة مبني على النفي المناقض لصرائح القرآن والحديث بل والعقل الصريح أيضا لكنهم يدعون أن العقل دل على النفي وقد ناقضهم طوائف من أهل الكلام وزادوا في الاثبات كالحشامية والكرامية وغيرهم لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذمه السلف أكثر والمنسوبون إلى السنة من الحنبلين وغيرهم الذين جملوا لفظ التأويل بعم القسمين يتمسكون بما يحدثونه في كلام الائمة في المتشابه مثل قول أحمد في رواية حنبل ولا كيف ولا معنى ظنوا أن مراده أنا لا نعرف معناها وكلام أحمد صريح بخلاف هذا في غير موضع وقد بين أنه إنما ينكر تأويلات الجهمية ونحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تأويله وصنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما أنكرته من متشابه القرآن وتأويلته على غير تأويله فانكر عليهم تأويل القرآن على غير مراد الله ورسوله وهم إذا تأولوه يقولون معنى هذه الآية كذا والمكيفون يشتون كيفية يقولون أنهم علموا كيفية ما أخبروا به من صفات الرب فنفى أحمد قول هؤلاء وهؤلاء قول المكيفة الذين يدعون أنهم علموا الكيفية وقول المحرفة الذين يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون معناه كذا وكذا وقد كتبت كلام أحمد بالفاظه كما ذكره الخلال في كتاب السنة وكما ذكره من نقل كلام أحمد بإسناده في الكتب المصنفة في ذلك في غير هذا الموضع وبين أن لفظ التأويل في الآية إنما أريد به التأويل في لغة القرآن كقوله تعالى: (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فتعمل غير الذي كنا

نعمل) وعن ابن عباس في قوله (هل ينظرون الا تاويله) تصديق ما وعد
في القرات ، وعن قتادة تاويله ثوابه ، وعن مجاهد جزاءه ، وعن السدي
عاقبته ، وعن ابن زيد حقيقته قال بعضهم تاويله ما يؤل اليه امرهم من العذاب
وورود النار ، وقوله تعالى (بل كذبوا بآلام مما يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله)
قال بعضهم تصديق ما وعدوا به من الوعيد والتاويل ما يؤل اليه الامر ، وعن
الضحاك يعني عاقبة ما وعد الله في القرات انه كان من الوعيد والتاويل
ما يؤل اليه الامر ، وقال الثعلبي تفسيره وليس بشيء وقال الزجاج لم يكن
معهم علم تاويله وقال يوسف الصديق عليه السلام (يا أبت هذا تاويل
رؤياي من قبل) فجعل نفس سجود أبيه له تاويل رؤياه وقال قبل
هذا (لا ياتيكم طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله) أي قبل أن ياتيكم التاويل والمعنى
لا ياتيكم طعام ترزقانه في المنام كما قال أحدهما اني أراني أعصر خرا وقال
الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا الا نباتكما بتاويله في اليقظة قبل أن
ياتيكم التاويل هذا قول أكثر المفسرين وهو الصواب وقال بعضهم لا ياتيكم
طعام ترزقانه تطعمانه وتاكلانه الا نباتكما بتاويله بتفسيره وألوانه أي طعام
أكلتم ولم أكلتم ومتى أكلتم فقالوا هذا فعل العرافين والكهنة فقال ما أنا
بكاهن وإنما ذلك العلم مما يعلمني ربي وهذا القول ليس بشيء فانه قال الا نباتكما
بتاويله وقد قال أحدهما اني أراني أعصر خرا وقال الآخر اني أراني أحمل
فوق رأسي خبزا نبشنا بتاويله فطلبا منه تاويل ما رآياه وأخبرهما بتاويل
ذلك ولم يكن تاويله طعام في اليقظة ولا في القرات انه أخبرهما بما يرزقانه
في اليقظة فكيف يقول قولا عاما لا ياتيكم طعام ترزقانه وهذا الاخبار
العام لا يقدر عليه الا الله والانبياء يخبرون ببعض ذلك لا يخبرون بكل
هذا وأيضا فصفة الطعام وقدره ليس تأويلا له وأيضا فانه إنما أخبر أنه

عليه تأويل الرؤيا قال يعقوب عليه السلام (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) وقال يوسف عليه السلام : (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث) وقال (هذا تأويل رؤياي من قبل) ولما رأى الملك قاله الذي اذكر بعدامة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون والملك قال يا أيها الملا أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فهذا لفظ التأويل في مواضع متعددة كلها بمعنى واحد وقال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال مجاهد وقتادة جزاء وثوابا ، وقال السدي وابن زيد وابن قتيبة والزجاج عاقبة وعن ابن زيد أيضا تصديقا كقوله (هذا تأويل رؤياي من قبل) وكل هذه الاقوال صحيحة والمعنى واحد وهذا تفسير السلف أجمعين ومنه قوله (سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فلما ذكر له ما ذكر قال (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) *

وهذا تأويل فعله ليس هو تأويل قوله والمراد به عاقبة هذه الأفعال بما يؤل اليه ما فعلته من مصلحة أهل السفينة ومصلحة أبوي الغلام ومصلحة أهل الجدار ، وأما قول بعضهم ردكم الى الله والرسول أحسن من تأويلكم فهذا قد ذكره الزجاج عن بعضهم وهذا من جنس ما ذكر من تلك الآية في لفظ التأويل وهو تفسيره بالاصطلاح الحادث لاباغة العرب فاما قدماء المفسرين فافظ التأويل والتفسير عندهم سواء كما يقول ابن جرير القول في تأويل هذه الآية أي في تفسيرها ولما كان هذا معنى التأويل عند مجاهد وهو امام التفسير جعل الوقف على قوله (والراسخون في العلم) فان الراسخين في العلم يعلمون تفسيره وهذا القول اختيار ابن قتيبة وغيره من أهل السنة

وكان ابن قتيبة يميل الى مذهب أحمد واسحق وقد بسط الكلام على ذلك
 في كتابه في المشكل وغيره ، وأما متأخروا المفسرين كالشعلبي فيفرون بين
 التفسير والتأويل قال فعني التفسير هو التوير وكشف المغلق من المراد
 بلفظه والتأويل صرف الآية الى معنى تحتمله يوافق ما قبلها وما بعدها وتكلم
 في الفرق بينهما بكلام ليس هذا موضعه الا أن التأويل الذي ذكره هو
 المعنى الثالث المتأخر ، وأبو الفرج ابن الجوزي يقول اختاف العلماء هل
 التفسير والتأويل بمعنى واحد أم يختلفان ؟ فذهب قوم يميلون الى العربية
 الى أنهما بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين ، وذهب قوم يميلون
 الى الفقه الى اختلافهما فقالوا التفسير اخراج الشيء عن مقام الخفاء الى
 مقام التجلي والتأويل نقل الكلام عن وضعه الى ما يحتاج في اثباته الى
 دليل لولاه مترك ظاهر اللفظ فهو مأخوذ من قولك آل الشيء الى كذا
 أى صار اليه ، فهؤلاء لا يذكرون للتأويل الا المعنى الاول والثاني وأما
 التأويل في لغة القرآن فلا يذكرونه وقد عرف أن التأويل في القرآن
 هو الموجود الذي يؤل اليه الكلام وان كان ذلك موافقا للمعنى الذي يظهر
 من اللفظ بل لا يعرف في القرآن لفظ التأويل مخالفا لما يدل عليه اللفظ
 خلاف اصطلاح المتأخرين ، والكلام نوعان انشاء واخبار فالانشاء الأمر
 والنهى والاباحة وتاويل الأمر والنهى نفس فعل المأمور ونفس ترك
 المحظور كما في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « كان رسول
 الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم
 اغفر لي تناول القرآن فكان هذا الكلام تأويل قوله : (فسبح بحمد
 ربك واستغفره) قال ابن عينة السنة تأويل الأمر والنهى وقال أبو عبيد
 لما ذكر اختلاف الفقهاء وأهل اللغة في نفيه عن اشتغال الصماء قال والفقهاء

أعلم بالتأويل يقول هم أعلم بتأويل ما أمر الله به وما نهي عنه فيعرفون أعيان
الافعال الموجودة التي أمر بها وأعيان الافعال المحظورة التي نهى عنها
وتفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد في الخارج بل هو بيان وشرحه
وكشف معناه ، فالتفسير من جنس الكلام يفسر الكلام بكلام يوضحه
وأما التأويل فهو فعل المأمور به وترك المنهى عنه ليس من جنس الكلام
والنوع الثاني الخبر فاخبار الرب عن نفسه تعالى باسمائه وصفاته واخباره
عما ذكره لعباده من الوعد والوعيد وهذا هو التأويل المذكور في قوله :
(ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون
الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا
بالحق) وهذا كقولهم (يا ويلنا من بعثنا من مردنا هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون) ومثله (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) وقوله (ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين
فلما رأوه زلقة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون)
ونظائره متعددة في القرآن وكذلك قوله (أم يقولون افتراه قل فاتوا
بسورة مثله وادعوا من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله) فان ما وعدوا به في القرآن لما ياتهم بعد
وسوف ياتهم ، فالتفسير هو الاحاطة بعلمه والتأويل هو نفس ما وعدوا به
اذا انهم فهم كذبوا بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله وقد يحيط
الناس بعلمه ولما ياتهم تأويله فالرسول ﷺ يحيط بعلم ما أنزل الله عليه وان
كان تأويله لم يات بعد ، وفي الحديث عن النبي ﷺ لما نزل قوله (قل هو
القادر على أن يبعث عليكم مذابا من فوقكم) الآية قيل انها ثائنة ولم يات
تأويلها بعد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل

لكل بناء مستقر) قال بعضهم موضع قرار وحقيقة ومنتهى ينتهى اليه فيبين
حقه من باطله وصدقه من كذبه ، وقال مقاتل لكل خبر يخبر به الله وقت
ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تاخير ، وقال ابن السائب لكل قول وفعل
حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدونكم
وسوف تعلمون ، وقال الحسن لكل عمل جزاء فمن عمل عملا من الخير جوزى
به في الجنة ومن عمل عملا سوءا جوزى به في النار وموف تعلمون ، ومعنى
قول الحسن ان الاعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد فالوعد والوعيد عليها
هو النبا الذى له المستقر فين المعنى ولم يرد أن نفس الجزاء هو نفس النبا
وعن السدى قال لكل نبا مستقر أى ميعاد وعدتكموه فسيأتيكم حتى تعرفونه
وعن عطاء لكل نبا مستقر تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه فاذا عمل ذنبه عاقبه
أى لا يعاقب بالوعيد حتى يفعل الذنب الذى توعده عليه .

ومنه قول كثير من السلف فى آيات هذه ذهب تاويلها وهذه لم يأت
تاويلها مثل ما روى أبو الاشهب عن الحسن والربيع عن أبي العالية أن
هذه الآية قرئت على ابن مسعود (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية
فقال ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم
فعليكم أنفسكم ثم قال ان القرآن نزل حيث نزل فنه أى قدمضى تاويلهن قبل أن
ينزلن ومنه أى وقع تاويلهن على عهد النبي ﷺ ومنه أى وقع تاويلهن بعد النبي
ﷺ يسير ومنه أى يقع تاويلهن بعد اليوم ومنه أى يقع تاويلهن فى آخر
الزمان ومنه أى يقع تاويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار
فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيئا ولم يذق بعضكم بأس
بعض فامروا وأنهموا فاذا اختلفت القلوب والاهواء وألبستم شيئا وذاق
بعضكم بأس بعض فامروا ونفسه فعند ذلك جاء تاويل هذه الآية .

قَابِنِ مَسْعُودِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ ذَكَرَ فِي هَذَا الْكَلَامِ تَاوِيلَ الْأَمْرِ وَتَاوِيلَ الْخَبَرِ
 فَهَذِهِ الْآيَةُ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ وَمَا ذَكَرَ مِنَ الْحِسَابِ وَالْقِيَامَةِ مِنْ
 بَابِ الْخَبَرِ وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ تَاوِيلَ الْخَبَرِ هُوَ وَجُودُ الْخَبَرِ بِهِ وَتَاوِيلَ الْأَمْرِ
 هُوَ فِعْلُ الْمَأْمُورِ بِهِ فَلَا يَلَايَةَ الَّتِي مَضَى تَاوِيلُهَا قَبْلَ نَزْوِلِهَا مِنْ بَابِ الْخَبَرِ يَقَعُ
 الشَّيْءُ فَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ بِمَا ذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِ الْمَشْرُوكِينَ لِلرَّسُولِ وَتَكْذِيبِهِمْ
 لَهُ وَهِيَ وَأَنْ مَضَى تَاوِيلُهَا فَهِيَ عِبْرَةٌ وَمَعْنَاهَا ثَابِتٌ فِي نَظَائِرِهَا ، وَمِنْ هَذَا
 قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ
 الْقَمَرُ) وَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَالْمُتَشَابَهُ مِنَ الْأَمْرِ لَا يَدُ مِنْ مَعْرِفَةِ تَاوِيلِهِ لِأَنَّهُ لَا يَدُ
 مِنْ فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرَكَ الْمَحْظُورَ وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ لَكِنْ لَيْسَ
 فِي الْقُرْآنِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ فِي الْأَمْرِ مُتَشَابِهًا فَإِنْ قَوْلُهُ (وَأَخْرَجَ مُتَشَابِهَاتٍ) قَدِيرَادُ
 بِهِ مِنَ الْخَبَرِ فَالْمُتَشَابَهُ مِنَ الْخَبَرِ مِثْلُ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ اللَّحْمِ وَاللَّبَنِ
 وَالْمَاءِ وَالْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ كَانَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا فِي الدُّنْيَا تَشَابَهُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى
 وَمَعَ هَذَا فَحَقِيقَةُ ذَلِكَ مُخَالَفَةُ حَقِيقَةِ هَذَا وَتِلْكَ الْحَقِيقَةُ لَا نَعْمَلُهَا نَحْنُ فِي
 الدُّنْيَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ) وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى « أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ
 مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » فَهَذَا الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ
 بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ هُوَ مِنَ التَّوَاوِيلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَكَذَلِكَ
 وَقْتُ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْرَاطُهَا وَكَذَلِكَ كَيْفِيَّاتُ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ
 الْحِسَابِ وَالصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ إِلَّا
 اللَّهُ فَانَّهُ لَمْ يَخْلُقْ بَعْدَ حَتَّى تَعْلَمَهُ الْمَلَائِكَةُ وَلَا لَهُ نَظِيرٌ مُطَاقٍ مِنْ كُلِّ وَجْهِ حَتَّى
 يَعْلَمَ بِهِ فَهُوَ مِنَ التَّوَاوِيلِ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَكَذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّبُّ
 عَنْ نَفْسِهِ مِثْلَ اسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَكَلَامِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّ

كيفية ذلك لا يعلمها الا الله كما قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس
وسائر أهل العلم تلقوا هذا الكلام عنهما بالقبول لما قيل الرحمن على العرش
استوى كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به
واجب والسؤال عنه بدعة هذا اللفظ مالك فاخبر ان الاستواء معلوم وهذا
تفسير اللفظ وأخبر ان الكيف مجهول وهذا هو الكيفية التي استأثر الله
بعلمها وكذلك سائر السلف كابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما يدينون
أن العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه فالكيفية هي التأويل الذي
لا يعلمه الا الله وأما نفس المعنى الذي بينه الله فيعلمه الناس كل على قدر
فهمه فانهم يفهمون معنى السمع ومعنى البصر وأن مفهوم هذا ليس مفهوم
هذا ويعرفون الفرق بينهما وبين العليم والقدير وان كانوا لا يعرفون كيفية
سمعه وبصره بل الروح التي يعرفونها من حيث الجلالة ولا يعرفون كيفيةها
كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش وأنه يتضمن علو الرب على
عرشه وارتفاعه عليه كما فسره بذلك السلف قبلهم وهذا معنى معروف من
اللفظ لا يحتمل في اللغة غيره كما قد بسط في موضعه ولهذا قال مالك الاستواء
معلوم ومن قال الاستواء له معان متعددة فقد أجمل كلامه فانهم يقولون
استوى فقط ولا يصلونه بحرف وهذا له معنى ويقولون استوى على كذا
وله معنى واستوى الى كذا وله معنى واستوى مع كذا وله معنى فتنوع
معانيه بحسب صلاته وأما استوى على كذا فليس في القرآن ولغة العرب
المعروفة الا بمعنى واحد قال تعالى: (فاآزره فاستغلف استوى على سوقه)
وقال (واستوت على الجودي) وقال (لستبوا على ظهوره ثم تذكروا
نعمة ربكم اذا استويتم عليه) وقد أتى النبي ﷺ بدابة ليركبها فلما وضع
رجله في المغرز قال «بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله» وقال ابن

عمر: أهل رسول الله ﷺ بالحج لما استوى على بعيره وهذا المعنى يتضمن شيتين علوه على ما استوى عليه واعتداله أيضا فلا يسمون المائل على الشيء مستويا عليه ، ومنه حديث الخليل بن أحمد لما قال استووا وقوله : ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

هو من هذا الباب فان المراد به بشر بن مروان واستواؤه عليها أى على كرسى ملكها لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء بل استواء منه عليها اذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذى هو الخليفة قد استوى أيضا على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر مافتحه ولكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استوى على اليمن وغيرها مافتحه ، ومعلوم انه لم يوجد فى كلامهم استعمال الاستواء فى شيء من هذا وانما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد فانه مستو على سرير ملكه كما يقال جلس فلان على السرير وقعد على التخت ومنه قوله (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) وقوله (انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) وقول الزمخشري وغيره استوى على كذا بمعنى ملك دعوى مجردة فليس لها شاهد فى كلام العرب ولو قدر ذلك لكان هذا المعنى باطلا فى استواء الله على العرش لانه أخبر انه خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجودا قبل خلق السموات والارض كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وحينئذ فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه فكيف يكون الاستواء عليه مؤخر اعن خلق السموات والارض ، وأيضا فهو مالك لسلك شيء مستول عليه لا يخص العرش بالاستواء ، وليس هذا كتخصيصه بالربوبية فى قوله رب العرش فانه قد يخص لعظمته ولكن

يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال رب العرش ورب كل شيء ، وأما الاستواء
 المختص بالعرش فلا يقال استوى على العرش ، وعلى كل شيء ولا يستعمل
 ذلك أحد من المسلمين في كل شيء ولا وجد في كتاب ولا سنة كما استعمل
 لفظ الربوبية في العرش خاصة وفي كل شيء عامة وكذلك لفظ الخلق ونحوه
 من الالفاظ التي تخص وتعم كقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق
 خلق الإنسان من علق) فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش لا تنضاف
 الى غيره لاختصاصه ولا عموما وهذا مبسوط في موضع آخر ، وإنما الغرض
 بيان صواب كلام السلف في قولهم : الاستواء معلوم بخلاف من جعل هذا
 اللفظ له بضعة عشر معنى كما ذكر ذلك ابن عربي المعافى بين هذا ان سبب
 نزول هذه الآية كان قدوم نصارى نجران ومناظرتهم للنبي ﷺ في أمر
 المسيح كما ذكر ذلك أهل التفسير وأهل السيرة وهو من المشهور بل المتواتر
 انه من المتواتر ان نصارى نجران قدموا على النبي ﷺ ودعاهم الى المباحلة
 المذكورة في سورة آل عمران فاقروا بالجزية ولم يباهلوه ، وصدر آل عمران
 نزل بسبب ما جرى ولهذا عامتها في أمر المسيح وذكروا أنهم احتجوا بما
 في القرآن من لفظ انا ونحن ونحو ذلك على أن الالهة ثلاثة فاتبعوا المتشابهة
 وتركوا المحكم الذي في القرآن من أن الاله واحد ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله
 فانهم قصدوا بذلك الفتنة وهي فتنة القلوب بالكفر فاتبعوا تاويل لفظ انا
 ونحن وما يعلم تاويل هذه الاسماء الا الله لان هذه الاسماء انما تقال للواحد
 الذي له أعوان اما أن يكونوا شركاء له واما أن يكونوا مماليك له ولهذا
 صارت متشابهة فإن الذي معه شركاء يقول فعلنا نحن كذا وانا نفعل نحن
 كذا وهذا يمتنع في حق الله تعالى والذي له مماليك ومطيعون يطيعونه بالملك
 يقول فعلنا كذا أى أنا فعلت بأهل ملكي وملكى وكل ماسوى الله مخلوق

له مملوك له وهو سبحانه يدبر أمر العالم بنفسه وملائكته التي هي رسله في خلقه وأمره وهو سبحانه أحق من قال أنا ونحن بهذا الاعتبار فإن ما سواه ليس له ملك تام ولا أمر مطاع طاعة تامة فهو المستحق أن يقول أنا ونحن والملوك لهم شبه بهذا فصار فيه أيضا من الملتشابه معنى آخر ولكن الذي ثبت لله من هذا الاختصاص لا يماثله فيه شيء ، وتاويل ذلك معرفة ملائكته وصفاتهم وأقدارهم وكيف يدبرهم أمر السماء والأرض ، وقد قال تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو) فهذا التاويل لهذا الملتشابه لا يعلمه الا هو وان علمنا تفسيره ومعناه لكن لم نعلم تاويله الواقع في الخارج بخلاف قوله (الله الذي خلق) فانها آية محكمة ليس فيها تشابه فان هذا الاسم مختص بالله ليس مثل أنا ونحن التي تقال لمن له شركاء ولمن له أعوان يحتاج اليهم والله تعالى منزّه عن هذا وهذا كما قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) وقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا وكبره تكبيرا) فالمعنى الذي يراد به هذا في حق المخلوقين لا يجوز أن يكون نظيره ثابتا لله فلماذا صار متشابهوا وكذلك قوله (ثم استوى على العرش) فانه قد قال (واستوت على الجودي) (واستوى على سوقه) وقال (فاذا استويت أنت ومن معك على الملك) وقال (لتستويوا على ظهوره) فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوى الى المستوى عليه وانه لو عدم من تحته لم يكن والله تعالى غني عن العرش وعن كل شيء بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش وحمله العرش ، وقد روى أنهم انما أطافوا حول العرش لما أمرهم أن يقولوا لا حول ولا قوة الا بالله .

فصار لفظ الاستواء متشابها يلزمه في حق المخلوقين معاني ينزه الله عنها فنحن نعلم معناه وانه العلو والاعتدال لكن لانعلم الكيفية التي اختص بها الرب التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش بل مع حاجة العرش وكل شيء محتاج من كل وجه وأنالم نعهد في الموجودات ما يستوى على غيره مع غناه عنه وحاجة ذلك المستوى عليه الى المستوى فصار متشابها من هذا الوجه فان بين اللفظيين والمعنيين قدرا مشتركا وبينهما قدرا فارقا هو مراد في كل منهما ونحن لانعرف الفارق الذي امتاز الرب به فصرنا نعرفه من وجه ونجهله من وجه وذلك هو تأويله والاول هو تفسيره .

وكذلك ما أخبر الله به في الجنة من المطاعم والمشارب والملابس كالبين والعسل والخروماء فاننا لانعرف لبنا الا مخلوقا من ماشية يخرج من بين فرت ودم واذا بقي أياما يتغير طعمه ، ولانعرف عسلا الا من نحل تصنعه في بيوت الشمع المسدسة فليس هو عسلا مصفى ولانعرف حريرا الا من دود القز وهو يبلى وقد علمنا أن ما وعد الله به عباده ليس نمائلا لهذه لافى المادة ولا في الصورة والحقيقة بل له حقيقة تخالف حقيقة هذه وذلك هو من التأويل الذي لانعلمه نحن ، قال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء لكن يقال فالملائكة قد تعلم هذا فيقال هي لانعلم ما لم يخلق بعد ولا تعلم كل ما في الجنة ، وأيضا فمن النعم ما لا تعرفه الملائكة والتأويل يتناول هذا كله واذا قدرنا أنها لانعرف ما لانعرفه فذاك لا يكون من المتشابه عندها ويكون من المتشابه عندنا فان المتشابه قد يراد به ما هو صفة لازمة للآية وقد يراد به ما هو من الامور النسبية فقد يكون متشابها عند هذا ما لا يكون متشابها عند هذا ، وكلام الامام أحمد وغيره من السلف يحتمل أن يراد به هذا فان أحمد ذكر في رده على الجهمية انها احتجت بثلاث آيات من المتشابه ، قوله

(وهو الله في السموات وفي الارض) وقوله (ليس كمثل شيء) وقوله (لا تدركه الابصار) وقد فسر أحمد قوله (وهو الله في السموات وفي الارض) فاذا كانت هذه الآيات بما علمنا معناها لم تكن متشابهة عندنا وهي متشابهة عند من احتج بها وكان عليه أن يردّها هو الى ما يعرفه من المحكم ، وكذلك قال أحمد في ترجمة كتابه الذي صنّفه في الحبس وهو الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكّت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله ثم فسر أحمد تلك الآيات آية آية فبين أنها ليست متشابهة عنده بل قد عرف معناها وعلى هذا فالراسخون في العلم يعلمون تأويل هذا المتشابه الذي هو تفسيره وأما التأويل الذي هو حقيقته الموجودة في الخارج فتلك لا يعلمها الا الله ولكن قد يقال هذا المتشابه الاضافي ليس هو المتشابه المذكور في القرآن فان ذلك قد أخبر الله انه لا يعلم تأويله الا الله وانما هذا كما يشكّل على كثير من الناس آيات لا يفهمون معناها وغيرهم من الناس يعرف معناها وعند هذا فقد يجاب بجوابين، أحدهما أن يكون في الآية قراءتان قراءة من يقف على قوله الا الله وقراءة من يقف عند قوله والراسخون في العلم وطلتا القراءتين حق ويراد بالاولى المتشابهة في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله ويراد بالثانية المتشابهة الاضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره وهو تأويله ومثل هذا يقع في القرآن كقوله (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) ولتزل فيه قراءتان مشهورتان بالنفي والايجاب وكل قراءة لها معنى صحيح وكذلك القراءة المشهورة (واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة) وقرأ طائفة من السلف (لتصيب الذين ظلموا منكم خاصة) وكلا القراءتين حق فان الذي يتعدى حدود الله هو الظالم والتارك الانكار عليه وقد يجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه وقد يحمل ظالماً باعتبار ما ترك من الانكار الواجب

وعلى هذا قوله (فلما نسوا ما ذلروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) فأنجي الله التاهين ، وأما أولئك الكارهون للذنب الذين قالوا (لم نعظون قومًا) فالأكثر على أنهم نجوا لأنهم كانوا كارهين فانكروا بحسب قدرتهم * والجواب الثاني القطع بأن المتشابه المذكور في القرآن هو تشابهها في نفسها وذلك الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وأما الإضافي الموجود في كلام من أراد به المتشابه الإضافي فمرادهم أنهم تكلموا فيما اشبهه معناه وأشكل معناه على بعض الناس وأن الجهمية استدلوا بما اشبهه عليهم وأشكل وإن لم يكن هو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وكثيرا ما يشبهه على الرجل ما لا يشبهه على غيره ويحتمل كلام الامام أحمد أنه لم يرد إلا المتشابه في نفسه الذي يلزمه التشابه لم يرد بشيء منه التشابه الإضافي وقال تأويله على غير تأويله أي غير تأويله الذي هو تأويله في نفس الامر وإن كان ذلك التأويل لا يعلمه إلا الله وأهل العلم يعلمون أن المراد به ذلك التأويل فلا يبقى مشكلا عندهم محتملا لغيره ولهذا كان المتشابه في الخبريات اما عن الله واما عن الآخرة وتأويل هذا كله لا يعلمه إلا الله بل المحكم من القرآن قد يقال له تأويل كالمتشابه تأويل كما قال (هل ينظرون إلا تأويله) ومع هذا فذلك التأويل لا يعلم وقته وكيفيته إلا الله وقد يقال بل التأويل للمتشابه لأنه في الوعد والوعيد وكله متشابه وأيضا فلا يلزم في كل آية ظنها بعض الناس متشابهها أن تكون من المتشابه *

فقول أحمد احتجوا بثلاث آيات من المتشابه وقوله ما شكت فيه من متشابه القرآن قد يقال إن هؤلاء أو أن أحمد جعل بعض ذلك من المتشابه وليس منه فإن قول الله تعالى (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) لم يرد به هنا الأحكام العام والتشابه العام الذي يشترك فيه جميع

آيات القرآن ان وهو المذكور في قوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) وفي قوله (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) فوصفه هنا كله بأنه متشابه اى متفق غير مختلف يصدق بعضه بعضا وهو عكس المتضاد المختلف المذكور في قوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وقوله (انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) فان هذا التشابه يعم القرآن كما أن أحكام آياته تعمه كله وهنا قد قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فصار التشابه له معنيان وله معنى ثالث وهو الاضافي يقال قد اشبه علينا هذا كقول بنى اسرائيل (ان البقر تشابه علينا) وان كان في نفسه متميزا منفصلا بعضه عن بعض وهذا من باب اشتباه الحق بالباطل كقوله وَاللَّهُ يَكْتُبُ فِي الْحَدِيثِ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فدل ذلك على أن من الناس من يعرفها فليست مشتبهة على جميع الناس بل على بعضهم بخلاف ما لا يعلم بتأويله الا الله فان الناس ظهروا مشتركون في عدم العلم بتأويله ومن هذا ما يروى عن المسيح عليه السلام انه قال الامور ثلاثة أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اشبه عليكم فكلوه الى عالمه فهذا المشتبه على بعض الناس يمكن الآخرين أن يعرفوا الحق فيه ويبينوا الفرق بين المشتبهين وهذا هو الذى أراد من جعل الراسخين يعلمون التأويل فانه جعل المشتبهات في القرآن من هذا الباب الذى يشبهه على بعض الناس دون بعض ويكون بينهما من الفروق المانعة للتشابه ما يعرفه بعض الناس وهذا المعنى صحيح في نفسه لا ينكر ولا ريب أن الراسخين في العلم يعلمون ما اشبهه على غيرهم وقد يكون هذا قراءة في الآية كما تقدم من أن يكون فيها قراءتان لكن لفظ

التأويل على هذا يراد به التفسير ووجه ذلك انهم يعلمون تأويله من حيث
الجملة كما يعلمون تأويل المحكم فيعرفون الحساب والميزان والثواب والعقاب
وغير ذلك مما أخبر الله به ورسوله معرفة بجملة فيكونون عالمين بالتأويل
وهو ما يقع في الخارج على هذا الوجه ولا يعلمونه مفصلا اذ هم لا يعرفون
كيفية وحقيقته اذ ذلك ليس مثل الذي علموه في الدنيا وشاهدوه وعلى
هذا يصح أن يقال علموا تأويله وهو معرفة تفسيره ويصح أن يقال لم
يعلموا تأويله وكلا القراءتين حق وعلى قراءة النفي هل يقال أيضا ان المحكم
له تأويل لا يعلمون تفصيله فان قوله وما يعلم تأويل ما تشابه منه الا الله لا يدل
على أن غيره يعلم تأويل المحكم بل قد يقال ان من المحكم أيضا ما لا يعلم تأويله
الا الله وانما خص التشابه بالذكر لان أوائلكم طلبوا علم تأويله أو يقال
بل المحكم يعلمون تأويله لكن لا يعلمون وقت تأويله ومكانه وصفته وقد
قال كثير من الساف ان المحكم ما يعمل به والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل
به كما يجيء في كثير من الآثار ونعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه وها جاء عن
ابن مسعود وغيره في قوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته)
قال يملكون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
وكلام السلف في ذلك يدل على أن المتشابه أمر اضافي فقد يشبهه على هذه
ما لا يشبهه على هذا فعلى كل احد أن يعمل بما استبان له ويكمل ما اشتبه عليه
الى الله كقول أبي كعب رضي الله عنه في الحديث الذي رواه الثوري
عن مغيرة وليس بالضبي عن أبي العالية قال قيل لابي بن كعب أوصني فقال
اتخذ كتاب الله اماما ارض به قاضيا وحاميا هو الذي استخلف فيكم رسوله
شفيع مطاع وشاهد لايتهم فيه خبر ما قبلكم وخبر ما بينكم وذكر ما قبلكم
وذكر ما فيكم وقال سفيان عن رجل حدثنا عن ابن أبي عن أبي قال فما

استبان لك فاعمل به وما شبه عليك فأمن به وظله الى عالمه فمنهم من قال المتشابه هو المنسوخ ومنهم من جعله الخبريات مطلقا فعن قتادة والريبع والضحاك والسدي المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به وكذلك في تفسير العوفي عن ابن عباس فقال محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به أما القول الاول فهو والله أعلم ماخوذ من قوله (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) فقابل بين المنسوخ وبين المحكم وهو سبحانه انما أراد نسخ ما ألغاه الشيطان لم يرد نسخ ما أنزله لكن هم جعلوا جنس المنسوخ متشابهها لانه يشبه غيره في التلاوة والنظم وانه كلام الله وقرآن ومعجز وغير ذلك من المعاني مع ان معناه قد نسخ ومن جعل المتشابه كل ما لا يعمل به من المنسوخ والاقسام والامثال فلان ذلك متشابه ولم يؤمر الناس بتفصيله بل يكفيهم الايمان المجمل به بخلاف المعمول به فانه لا بد فيه من العلم المفصل

وهذا بيان لما يلزم كل الامة فانهم يلزمهم معرفة ما يعمل به مفصلا ليعملوا به وما أخبروا به فليس عليهم معرفته بل عليهم الايمان به وان كان العلم به حسنا أو فرضا على الكفاية فليس فرضا على الاعيان بخلاف ما يعمل به ففرض على كل انسان معرفة ما يلزمه من العمل مفصلا وليس عليه معرفة العمليات مفصلا وقد روى عن مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضا فعلى هذا القول يكون المتشابه هو المذكور في قوله كتابا متشابهها مثاني والحلال مخالف للحرام وهذا على قول مجاهد ان العلماء يعلمون تأويله لكن تفسير المتشابه

بهذا مع ان كل القرآن متشابه وهنا خص البعض به على ضعف
 هذا القول وكذلك قوله يتبعون ما تشابه منه لو اريد بالمتشابه تصديق بعضه
 بعضا لكان اتباع ذلك غير محذور وليس في كونه يصدق بعضه بعضا ما يمنع
 ابتغاء تأويله وقد يحتاج لهذا القول بقوله متشابهات فجعلها أنفسها متشابهات
 وهذا يقتضى أن بعضها يشبه بعضا ليست مشابهة لغيرها ويجاب عن هذا
 بأن اللفظ اذا ذكر في موضعين معينين صار من المتشابه كقوله انا ونحن
 المذكور في سبب نزول الآية وقد ذكر محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر
 ابن الزبير لما ذكر قصة أهل نجران ونزول الآية قال المحكم ما لا يحتمل من
 التأويل الا وجهها واحدا والمتشابه ما احتمل في التأويل أوجهها ومعنى هذا
 ان ذلك اللفظ المحكم لا يكون تأويله في الخارج الا شيئا واحدا وأما
 المتشابه فيكون له تأويلات متعددة لكن لم يرد الله الا واحدا منها وسياق
 الآية يدل على المراد وحينئذ قال اسخون في العلم يعلمون المراد من هذا كما
 يعلمون المراد من المحكم لكن نفس التأويل الذى هو الحقيقة ووقت الحوادث
 ونحن ذلك لا يعلمونه لا من هذا ولا من هذا وقد قيل ان نصارى نجران
 احتجوا بقوله كلمة الله وروح منه ولفظ كلمة الله يراد به الكلام ويراد به
 المخلوق بالكلام وروح منه يراد به ابتداء الغاية ويراد به التبويض فعلى
 هذا اذا قيل تأويله لا يعلمه الا الله المراد به الحقيقة أى لا يعلمون كيف
 خلق عيسى بالكلمة ولا كيف أرسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا
 ونفخ فيها من روحه ، وفي الصحيح صحيح البخارى عن عائشة عن النبي ﷺ
 قال اذ اريتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم
 والمقصود هنا أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاما لا معنى له ولا يجوز أن
 يكون الرسول وجميع الأمة لا يعلمون معناه كما يقول ذلك من يقوله من

المتأخرين وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ سواء كان مع هذا تأويل
 القرآن لا يعلمه الراسخون أو كان للتأويل معنيان يعلمون أحدهما ولا يعلمون
 الآخر وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى المشابهة من
 القرآن وبين أن يقال الراسخون في العلم يعلمون كان هذا الإثبات خيرا
 من ذلك النفي فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال
 السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره وهذا مما يجب
 القطع به وليس معنا قاطع على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير
 المشابهة فإن السلف قد قال كثير منهم أنهم يعلمون تأويله منهم مجاهد مع
 جلالة قدره والريبع بن أنس ومحمد بن جعفر بن الزبير ونقلوا ذلك عن
 ابن عباس وأنه قال أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وقول أحمد فيما
 كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من مشابهة القرآن وتأويلته
 على غير تأويله وقوله عن الجهمية أنها تأولت ثلاث آيات من المشابهة ثم
 تكلم على معناها دليل على أن المشابهة عنده تعرف العلماء معناه وأن
 المذموم تأويله على غير تأويله فاما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود ليس
 بمذموم وهذا يقتضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمشابهة عنده
 وهو التفسير في لغة السلف ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف أن في القرآن
 آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها بل يتلون لفظا لا يعرفون معناه وهذا
 القول اختصار كثير من أهل السنة منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما
 وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وأسحق والمتصرين لمذاهب السنة المشهورة وله
 في ذلك مصنفات متعددة قال فيه صاحب كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث
 وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفا وأحسنهم ترصيفا
 له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يميل إلى مذهب أحمد وأسحق وكان معاصرا

لابراهيم الحربى ومحمد بن نصر المروزى وكان اهل المغرب يعظمونه ويقولون
من استجاز الواقعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون كل بيت ليس فيه
شئ من تصنيفه لاخير فيه قلت ويقال هو لاهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة
فانه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة ، وقد نقل عن ابن عباس
ايضا القول الآخر ونقل ذلك عن غيره من الصحابة وطائفة من التابعين
ولم يذكر هؤلاء على قولهم نصا عن رسول الله ﷺ فصارت مسألة نزاع
فترد الى الله والرسول وأولئك احتجوا بأنه قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله
وبأن النبي ﷺ ذم مبتغى المتشابه وقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه
منه فاحذروهم ، ولهذا ضرب عمر بن الخطاب رضى الله عنه صبيغ بن عسل
لما سأله عن المتشابه ولأنه قال والراسخون فى العلم يقولون ، ولو كانت الواو
واو عطف مفرد على مفرد لاواو استئناف التى تعطف جملة على جملة
لقال ويقولون .

فاجاب الآخرون عن هذا بان الله قال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا
من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) ثم قال (والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجردون) ثم قال (والذين
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان)
قالوا فهذا عطف مفرد على مفرد والفعل حال من المعطوف فقط وهو نظير
قوله (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) قالوا ولأنه
لو كان المراد مجرد الوصف بالايمان لم يخص الراسخين بل قال والمؤمنون
يقولون آمنا به فان كل مؤمن يجب عليه أن يؤمن به فلما خص الراسخين
فى العلم بالذكر علم أنهم امتازوا بعلم تأويله فعلموه لانهم عالمون وآمنوا به
لانهم يؤمنون وكان ايمانهم به مع العلم أتم فى الوصف وقد قال عقب ذلك

وما يذكر الا اولو الالباب، وهذا يدل على أن هنا تذكرا يختص به اولو
الالباب فان كان ماتم الايمان بالا لفاظ فلا : كرم لا يد لهم على ما أريد بالمتشابه،
ونظائر هذا قوله في الآية الاخرى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) فلما وصفهم بالرسوخ في العلم
وانهم يؤمنون قرن بهم المؤمنين فلو أريد هنا مجرد الايمان لقال والراسخون
في العلم والمؤمنون يقولون امنا به كما قال في تلك الآية لما كان مراده مجرد
الاخبار بالايمان جمع بين الطائفتين قالوا: وأما الذم قائما وقع على من يتبع
المتشابه لا ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وهو حال أهل القصد الفاسد الذين
يريدون القدح في القرآن فلا يطلبون الا المتشابه لافساد القلوب وهي فتنتها
به، ويطلبون تأويله وليس طلبهم لتأويله لاجل العلم والاهتداء بل لاجل
الفتنة وكذلك صبيغ بن عسل ضربه عمر لان قصده بالسؤال عن المتشابه
كان لا ابتغاء الفتنة وهذا كن يورد أسئلة اشكالات على كلام الغير ويقول
ماذا أريد بذلك او غرضه التشكيك والظعن فيه ليس غرضه معرفة الحق، وهو لاء
هم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ولهذا
يتبعون أى يطلبون المتشابه ويقصدونه دون المحكم مثل المستتبع للشيء
الذى يتجرأه ويقصده وهذا فعل من قصده الفتنة وأما من سأل عن معنى
المتشابه ليعرفه ويزيل ما عرض له من الشبهة وهو عالم بالمحكم متبع له موافق
بالتشابه لا يقصد فتنة فهذا لم يذمه الله وهكذا كان الصحابة يقولون رضي
الله عنهم مثل الآثار المعروف أنذى رواه ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني
حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا بقیة ثنا عتبة بن أبی حکیم ثنی عمارة بن راشد
الكنانی عن زیاد عن معاذ بن جبل قال یقرأ القرآن رجلان فرجل له
فيه هوی ونیة یقلیه فی الرأس یلمس أن یجد فيه أمرا یخرج به علی الناس

أولئك شرار أمتهم أولئك يعصى الله عليهم سبل الهدى ورجل يقرؤه ليس فيه هوى ولا نية يفليه فى الرأس فأتين له منه عمل به وما اشبه عليه وكله الى الله ليتفقه أولئك فقها مافقه قوم قط حتى لو ان أحدهم مكث عشرين سنة فليعش الله له من بين له الآية التى أشكلت عليه أو يفهمه إياها من قبل نفسه ، قال بقية استهدى ابن عينة حديث عتبة هذا فهذا معاذ يذم من اتبع المتشابه لقصد الفتنة وأما من قصده الفقه فقد أخبر أن الله لا بد أن يفقه المتشابه فقها مافقه قوم قط قالوا والدليل على ذلك ان الصحابة كانوا اذا عرض لاحدهم شبهة فى آية أو حديث سأل عن ذلك بإسأله عمر فقال ألم تكن تحدثنا أنا نأتى البيت ونطوف به وسأله أيضا عمر ما بالنا نقصر الصلاة وقد آمننا ولما نزل قوله (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق عليهم وقالوا أينما لم يظلم نفسه حتى بين لهم ولما نزل قوله (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) شق عليهم حتى بين لهم الحكمة فى ذلك ، ولما قال النبي ﷺ من نوقش الحاسب عذب قالت عائشة ألم يقل الله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال انما ذلك العرض قالوا والدليل على ما قلناه اجماع السلف فانهم فسروا اجمع القرآن ، وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أفقه عند كل آية وأسأله عندها وتلقوا ذلك عن النبي ﷺ كما قال أبو عبد الرحمن السلى حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فقلنا القرآن والعلم والعمل جميعا ولام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن الا ما قد يشكل على بعضهم فيقف فيه لا لان أحدا من الناس لا يعلمه لكن لانه هوم يعلمه، وايضا فان الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقا

ولم يستثن منه شيئا لا يتدبر ولا قال لا تدبروا المتشابه والتدبر بدون الفهم
ممتنع ولو كان من القرآن ما لا يتدبر لم يعرف فان الله لم يميز المتشابه بمحد
ظاهر حتى يجتنب تدبره *

وهذا أيضا مما يحتجون به ويقولون المتشابه أمر نسبي اضافي فقد يشتهبه
على هذا ما لا يشتهبه على غيره قالوا لأن الله أخبر أن القرآن بيان وهدي
وشفاء ونور ولم يستثن منه شيئا عن هذا الوصف وهذا ممتنع بدون فهم
المعنى قالوا ولأن من العظيم أن يقال ان الله أنزل على نبيه كلاما لم يكن
يفهم معناه لاهو ولا جبريل بل وعلى قول هؤلاء كان النبي ﷺ يحدث
بأحاديث الصفات والقدر والمعاد ونحو ذلك مما هو نظيره متشابه القرآن
عندهم ولم يكن يعرف معنى ما يقوله وهذا لا يظن بأقل الناس، وأيضا
فالكلام انما المقصود به الافهام فاذا لم يقصد به ذلك كان عبثا وباطلا
والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث فكيف يقول الباطل والعبث
ويتكلم بكلام نزل على خلقه لا يريد به افهامهم وهذا من أقوى حجج الملحدين *
وأضافا في القرآن آية الا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم في معناها وبيّنوا
ذلك واذا قيل فقد يختلفون في بعض ذلك قيل كما قد يختلفون في آيات
الامر والنهي مما اتفق المسلمون على أن الراسخين في العلم يعلمون معناها
وهذا أيضا مما يدل على أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه فان
المتشابه قد يكون في آيات الامر والنهي كما يكون في آيات الخبر وتلك مما
اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعناها فكذلك الاخرى فانه على قول
النفاة لم يعلم معنى المتشابه الا الله لا ملك ولا رسول ولا عالم وهذا خلاف
اجماع المسلمين في متشابه الامر والنهي، وأيضا فلفظ التاويل يكون للمحكم
كما يكون للمتشابه كما دل القرآن والسنّة وأقوال الصحابة على ذلك وهم

يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه وأى فضيلة في المتشابه حتى يفرد
الله بعلم معناه والمحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده فأى فضيلة في المتشابه
حتى يستأثر الله بعلم معناه وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل خطابا
ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة ونحن نعلم ان الله استأثر بأشياء
لم يطلع عباده عليها وإنما النزاع في كلام أنزله وأخبر أنه هدى وبيان وشفاء
وأمر بتدبره، ثم يقال ان منه ما لا يعرف معناه الا الله ولم يبين الله ولا
رسوله ذلك القدر الذى لا يعرف أحد معناه ولهذا صار كل من أعرض
عن آيات لا يؤمن بمعناها يجعلها من المتشابه بمجرد دعواه، ثم سبب نزول
الآية قصة أهل نجران وقد احتجوا بقوله انا ونحن بقوله كلمة منه وروح منه
وهذا قد اتفق المسلمون على معرفة معناه فكيف يقال ان المتشابه لا يعرف معناه
لا الملائكة ولا الأنبياء ولا أحد من السلف وهو من كلام الله الذى أنزله
الينا وأمرنا أن نتدبره ونعقله وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء ونور وليس
المراد من الكلام الامعانيه ولولا المعنى لم يحز التكلم بلفظ لا معنى له وقد
قال الحسن ما أنزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيما ذا أنزلت وماذا عني
بها ومن قال ان سبب نزول الآية سوال اليهود عن حروف المعجم في ألم
بحساب الجمل فهذا نقل باطل أما أولا فلأنه من رواية الكلبى وأما ثانيا
فهذا قد قيل انهم قالوه في أول مقدم النبي ﷺ الى المدينة وسورة آل عمران
انما نزل صدرها متاخرا لما قدم وقد نجران بالنقل المستفيض المتواتر وفيها
فرض الحج وانما فرض سنة تسع أو عشر لم يفرض في أول الهجرة باتفاق
المسلمين وأما ثالثا فلان حروف المعجم ودلالة الحرف على بقاء هذه الامة
ليس هو من تاويل القرآن الذى استأثر الله بعلمه بل اما أن يقال انه ليس
عما أراد الله بكلامه فلا يقال انه انفرد بعلمه بل دعوى دلالة الحروف على

ذلك باطل ، واما أن يقال بل يدل عليه وقد علم بعض الناس ما يدل عليه
وحيث قد علم الناس ذلك أما دعوى دلالة القرآن على ذلك وان أحدا
لا يعلمه فهذا هو الباطل ، وأيضا فإذا كانت الامور العلية التي أخبر الله بها
في القرآن لا يعرفها الرسول كان هذا من أعظم قدح الملاحظة فيه وكان حجة
لما يقولونه من انه كان لا يعرف الامور العلية أو انه كان يعرفها ولم يبينها
بل هذا القول يقتضى انه لم يكن يعلمها فان ما لا يعلمه الا الله لا يعلمه النبي
ولا غيره ، وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول ان
في القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره نعم قد يكون في القرآن
آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك في آية
معينة بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ
وتارة لاشتباه المعنى بغيره وتارة لشبهة في نفس الانسان تمنعه من معرفة
الحق وتارة لعدم التدبر التام وتارة لغير ذلك من الاسباب فيجب القطع
بان قوله (وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به)
أن الصواب قول من يجعله معطوفا ويجعل الواو لعطف مفرد على مفرد
أو يكون كلا القولين حقا وهي قراءة ثالثة والتاويل المنفى غير التاويل المثبت
وان كان الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف فيكون التاويل المنفى
علمه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره وهذا فيه نظر وابن عباس
جاء عنه انه قال انا من الراسخين الذين يعلمون تاويله وجاء عنه ان الراسخين
لا يعلمون تاويله •

وجاء عنه انه قال : التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من
كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالة وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا
الله ومن ادعى علمه فهو كاذب وهذا القول يجمع القولين ويبين ان العلماء

يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم وان فيه ما لا يعلمه الا الله فاما من
 جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله الا الله وجعل التأويل بمعنى
 التفسير فهذا خطأ قطعاً وأما التأويل بالمعنى الثالث وهو صرف اللفظ عن
 الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف
 في عهد الصحابة بل ولا التابعين بل ولا الأئمة الاربعة ولا كان التكلم بهذا
 الاصطلاح معروفاً في القرون الثلاثة بل ولا علمت أحداً فيهم خسر لفظ
 التأويل بهذا ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعاً في عرف كثير
 من المتأخرين فظنوا ان التأويل في الآية هذا معناه صاروا يعتقدون أن
 لمتشابه القرآن معاني تخالف ما يفهم منه وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا
 شيعاً والمتشابه المذكور الذي كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى
 فاسد وانما الخطأ في فهم السامع نعم قد يقال ان مجرد هذا الخطاب لا يبين
 كمال المطلوب ولكن فرق بين عدم دلالة على المطلوب وبين دلالة على نقيض
 المطلوب فهذا الثاني هو المنفي بل وليس في القرآن ما يدل على الباطل البتة
 كما قد بسط في موضعه ولكن كثير من الناس يزعم ان لظاهر الآية معنى
 امامعنى يعتقدده وامامعنى باطلا فيحتاج الى تأويله ويكون ما قاله باطلا لا تدل
 الآية على معتقده ولا على المعنى الباطل وهذا كثير جداً وهؤلاء هم الذين
 يجعلون القرآن كثيراً ما يحتاج الى التأويل المحدث وهو صرف اللفظ عن
 مدلوله الى خلاف مدلوله وما يحتاج به من قال الرسخون في العلم يعلمون
 التأويل ما ثبت في صحيح البخارى وغيره عن ابن عباس ان النبي ﷺ
 دعا له وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فقد دعا له بعلم التأويل مطلقاً
 وابن عباس فسر القرآن له قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس
 من أوله الى آخره أفه عند كل آية وأسأله عنها وكان يقول انا من الراسخين

في العلم الذين يعلمون تاويله ، و أيضا فالنقول متواترة عن ابن عباس رضي
 الله عنهما أنه تكلم في جميع معاني القرآن من الامر والخبر فله من الكلام
 في الاسماء والصفات والوعود والوعيد والقصص ومن الكلام في الامر والنهي
 والاحكام ما يبين انه كان يتكلم في جميع معاني القرآن ، و أيضا قد قال ابن
 مسعود ما من آية في كتاب الله الا وانا أعلم فيما ذا أنزلت ، و أيضا فانهم
 متفقون على أن آيات الاحكام يعلم تاويلها وهي نحو خمسين آية وسائر
 القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته أو عن اليوم الآخر والجنة والنار أو
 عن القصص وعاقبة أهل الإيمان وعاقبة أهل الكفر فان كان هذا هو المتشابه
 الذي لا يعلم معناه الا الله فجمهور القرآن لا يعرف أحد معناه لا الرسول
 ولا أحد من الأمة ومعلوم ان هذا مكابرة ظاهرة ، و أيضا فمعلوم أن العلم
 بتاويل الرويا أصعب من العلم بتاويل الكلام الذي يخبر به فان دلالة الرويا
 على تاويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدى لها جمهور الناس بخلاف دلالة
 لفظ الكلام على معناه فاذا كان الله قد علم عباده تاويل الاحاديث التي
 يرونها في المنام فلان يعلمهم تاويل الكلام العربي المبين الذي ينزله على أنبيائه
 بطريق الاولى والآخرى قال يعقوب ليوسف (وكذلك بجيبك ربك
 ويعلمك من تاويل الاحاديث) وقال يوسف (رب قد اتيتني من الملك
 وعلمتني من تاويل الاحاديث) وقال (لا ياتيكم اطعام ترزقانه الا بآياتكم
 بتاويله قبل أن ياتيكم) و أيضا فقد ذم الله الكفار بقوله (أم يقولون افتراء
 قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من دون الله ان كنتم صادقين
 بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله) وقال (ويوم نحشر من كل
 أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاءوا قال أكذبتم
 بآياتي ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون) وهذا ذم لمن كذب

بما لم يحيط بعلمه فما قاله الناس من الاقوال المختلفة في تفسير القرآن وتاويله
ليس لأحد أن يصدق بقول دون قول بلا علم ولا يكذب بشيء منها إلا أن
يحيط بعلمه وهذا لا يمكن إلا إذا عرف الحق الذي أريد بالآية فيعلم أن
ماسواه باطل فيكذب بالباطل الذي أحاط بعلمه وأما إذا لم يعرف معناها
ولم يحيط بشيء منها علما فلا يجوز له التكذيب بشيء منها مع أن الاقوال
المتناقضة بعضها باطل قطعاً ويكون حينئذ المكذب بالقرآن كالمكذب بالاقوال
المتناقضة والمكذب بالحق كالمكذب بالباطل وفساد اللازم يدل على فساد
اللزوم، وإضافته أن بنى على ما يتقده من أنه لا يعلم معاني الآيات الخبرية
إلا الله لزمه أن يكذب كل من احتج بآية من القرآن خبرية على شيء
من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر ومن تكلم في تفسير ذلك وكذلك يلزم
مثل ذلك في أحاديث الرسول ﷺ وأن قال المتشابه هو بعض الخبريات
لزمه أن يبين فصلاً يتبين به ما يجوز أن يعلم معناه من آيات القرآن
وما لا يجوز أن يعلم معناه بحيث لا يجوز أن يعلم معناه لملك مقرب ولا نبي
مرسل ولا أحد من الصحابة ولا غيرهم ومعلوم أنه لا يمكن أحداً ذكر حد
فاصل بين ما يجوز أن يعلم معناه بعض الناس وبين ما لا يجوز أن يعلم معناه
أحد ولو ذكر ما ذكر انتقض عليه فعلم أن المتشابه ليس هو الذي لا يمكن
أحداً معرفة معناه وهذا دليل مستقل في المسئلة ، وأيضاً فقله لم يحيطوا
بعلمه وكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً ذمهم على عدم الاحاطة مع التكذيب
ولو كان الناس كلهم مشتركين في عدم الاحاطة بعلم المتشابه لم يكن في ذمهم
بهذا الوصف فائدة ولما كان الذم على مجرد التكذيب فإن هذا بمنزلة أن
يقال أكذبتم بما لم تحيطوا به علماً ولا يحيط به علماً إلا الله ومن كذب
بما لا يعلمه إلا الله كان أقرب إلى العذر من أن يكذب بما يعلمه الناس فلو

لم يحط به علما الراسخون فان ترك هذا الوصف أقرب في ذمهم من ذكره
ويتبين هذا بوجه آخر هو دليل في المسئلة وهو أن الله ذم الزائغين
بالجهل وسوء القصد فانهم يقصدون المتشابه يتغنون تأويله ولا يعلم تأويله
الا الراسخون في العلم وليسوا منهم وهم يقصدون الفتنة لا يقصدون العلم
والحق وهذا كقوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم
لتولوا وهم معرضون) فان المعنى بقوله اسمعهم أفهمهم القرآن يقول لعلم
الله فيهم حسن قصد وقبول للحق لافهمهم القرآن لكن لو أفهمهم لتولوا
عن الايمان وقبول الحق لسوء قصدهم فهم جاهلون ظالمون كذلك الذين
في قلوبهم زيغ هم مذمومون بسوء القصد مع طلب علم مالىسوا من
أهله وليس اذا عيب هؤلاء على العلم ومنعوه يعاب من حسن قصده وجعله
الله من الراسخين في العلم (فان قيل) فاكثر السلف على أن الراسخين في
العلم لا يعلمون التأويل وكذلك أكثر أهل اللغة يروى هذا عن ابن
مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعروة وقتادة وعمر بن عبد العزيز
والقراء وأبي عبيد وثعلب وابن الانباري قال ابن الانباري في قراءة عبد الله
ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم وفي قراءة أبي وابن عباس ويقول
الراسخون في العلم قال وقد أنزل الله في كتابه أشياء استأثر بعلمها كقوله
تعالى (قل انما علمها عند الله) وقوله (وقرونا بين ذلك كثيرا) فانزل
الحكم ليؤمن به المؤمن فيسعد ويكفر به الكافر فيشتكي قال ابن الانباري:
والذي يروى القول الاخر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح ولا تصح روايته
التفسير عن مجاهد فيقال قول القائل ان أكثر السلف على هذا قول بلا علم
فانه لم يثبت عن أحد من الصحابة انه قال ان الراسخين في العلم لا يعلمون
تأويل المتشابه بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون وما ذكر

من قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ليس لها اسناد يعرف حتى يحتاج
بها والمعروف عن ابن مسعود انه كان يقول ما في كتاب الله آية الا وأنا
أعلم فيما ذا أنزلت وقال أبو عبد عبد الرحمن السلمي *

حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود
وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها
حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل وهذا أمر مشهور رواه الناس عامة أهل
الحديث والتفسير وله اسناد معروف بخلاف ما ذكر من قراءتهما وكذلك
ابن عباس قد عرف عنه أنه كان يقول انا من الراشخين الذين يعلمون
تاويله وقد صح عن النبي ﷺ أنه دعا له يعلم تاويل الكتاب فكيف لا يعلم
التاويل مع أن قراءة عبد الله ان تاويله الاعتدال لا تناقض هذا القول فان
نفس التاويل لا يأتي به الا الله كما قال تعالى : (هل ينظرون الا تاويله) وقال
(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله) وقد اشتهر عن عامة
السلف أن الوعد والوعيد من المتشابه وتاويل ذلك هو مجيء الموعود به
وذلك عند الله لا يأتي به الا هو وليس في القرآن ان علم تاويله الا عند
الله كما قال في الساعة (يستلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند
ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاينكم الا بفتنة
يستلونك) فانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون
قل لا املك لنفسي نقما ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مئني السوء) وكذلك لما قال فرعون لموسى (فما بال القرون
الاولى قال عليها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) فلو كانت
قراءة ابن مسعود نفى العلم عن الراشخين لكانت ان علم تاويله الا عند الله
لم يقرأ ان تاويله الا عند الله فان هذا حق بلا نزاع وأما القراءة الاخرى

المروية عن أبي وابن عباس فقد نقل عن ابن عباس ما يناقضه وأخص أصحابه
 بالتفسير مجاهد ، وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي
 وأحمد بن حنبل والبخاري قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك
 به والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عينة عن ابن أبي نجيح
 عن مجاهد وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير وقول القائل
 لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه أن تفسير ابن أبي نجيح عن
 مجاهد من أصح التفسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير
 أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد إلا أن يكون نظيره في الصحة
 ثم معه ما يصدقه وهو قوله عرضت المصحف على ابن عباس أفقه عندل
 آية وأسأله عنها وأيضاً فابي بن كعب رضى الله عنه قد عرف أنه كان يفسر
 ما تشابه من القرآن كما فسر قوله (فارسلنا إليها روحنا) وفسر قوله (الله
 نور السموات والارض) وقوله (واذا أخذ ربك) ونقل ذلك معروف
 عنه بالاسناد أثبت من نقل هذه القراءة التي لا يعرف لها اسناد وقد كان
 يسئل عن المتشابه من معنى القرآن أن فيجيب عنه كما سأل عنه ، وسئل
 عن ليلة القدر •

وأما قوله أن الله أنزل المجمل ليؤمن به المؤمن فيقال هذا حق لكن
 هل في الكتاب والسنة أو قول أحد من السلف أن الانبياء والملائكة
 والصحابة لا يفهمون ذلك الكلام المجمل أم العلماء متفقون على أن المجمل
 في القرآن أن يفهم معناه ويعرف ما فيه من الاجمال كما مثل به من وقت الساعة
 فقد علم المسلمون كلهم معنى الكلام الذي أخبر الله به عن الساعة وانها
 آتية لا محالة وان الله انفرد بعلم وقتها فلم يطلع على ذلك أحدا ولهذا قال
 النبي ﷺ لما سأله السائل عن الساعة وهو في الظاهر أعراي لا يعرف

قال له متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولم يقل ان الكلام
الذي نزل في ذكرها لا يفهمه أحد بل هذا خلاف اجماع المسلمين بل
والعقلاء فان أخبار الله عن الساعة وأشراتها كلام بين واضح يفهم معناه
وكذلك قوله (وقرونا بين ذلك كثيراً) قد علم المراد بهذا الخطاب وان الله
خاق قرونا كثيرة لا يعلم عددهم الا الله كما قال (وما يعلم جنود ربك الا
هو) فأى شيء من هذا مما يدل على أن ما أخبر الله به من أمر الايمان بالله
واليوم الآخر لا يفهم معناه أحد لا من الملائكة والانبياء ولا الصحابة ولا غيرهم
وأما ما ذكر عن عروة فعروة قد عرف من طريقه انه كان لا يفسر عامة
اى القرآن الا آيات قليلة رواها عن عائشة ومعلوم أنه اذا لم يعرف عروة
التفسير لم يلزم انه لا يعرفه غيره من الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة
كابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وغيرهم ، وأما اللغويون الذين
يقولون ان الراشدين لا يعلمون معنى المتشابه فهم متناقضون في ذلك فان
هؤلاء كلهم يتكلمون في تفسير كل شيء في القرآن ويتوسعون في القول
في ذلك حتى ما منهم أحد الا وقد قال في ذلك أقوالاً لم يسبق اليها وهي
خطأ وابن الانباري الذي بالغ في نصر ذلك القول هو من أكثر الناس
ظلاماً في معاني الآي المتشابهات يذكر فيها من الأقوال ما لم ينقل عن أحد
من السلف ويحتج لما يقوله في القرآن بالشاذ من اللغة وهو قصده بذلك
الانكار على ابن قتيبة وليس هو أعلم بمعاني القرآن والحديث
واتبع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه في ذلك وان كان ابن الانباري
من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة
وقد نعم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبي عبيد أشياء من تفسير
غريب الحديث وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك وسلك في ذلك مسلك أمثاله

من أهل العلم وهو وأمثاله يصيبون تارة ويخطئون أخرى فان كان المتشابه
 لا يعلم معناه الا الله فهم كلهم يجترئون على الله يتكلمون في شيء لاسيلا
 الى معرفته وان كان ما ينوه من معاني المتشابه قد اصابوا فيه ولو في كلمة
 واحدة ظهر خطاؤهم في قولهم ان المتشابه لا يعلم معناه الا الله ولا يعلمه
 أحد من المخلوقين فليختر من ينصرف قولهم هذا وهذا ، ومعلوم أنهم اصابوا
 في شيء كثير مما ينصرون به المتشابه وأخطوا في بعض ذلك فيكون
 تفسيرهم هذه الآية بما أخطأوا فيه العلم اليقيني فانهم اصابوا في كثير من
 تفسير المتشابه ، وكذلك ما نقل عن قتادة من أن الراشدين في العلم
 لا يعلمون تاويل المتشابه فكتابه في التفسير من اشهر الكتب ونقله ثابت
 عنه من رواية معمر عنه ورواية سعيد بن أبي عروبة عنه ولهذا كان المصنفون
 في التفسير عامتهم يذكرون قوله لصحة النقل ومع هذا يفسر القرآن كله
 بحكمه ومتشابهه ، والذي اقتضى شهرة القول عن أهل السنة بأن المتشابه
 لا يعلم تاويله الا الله ظهور التاويلات الباطلة من أهل البدع والجهمية
 والقدرية من المعتزلة وغيرهم فصار أولئك يتكلمون في تاويل القرآن
 يرأيهم الفاسد وهذا أصل معروف لأهل البدع أنهم يفسرون القرآن
 يرأيهم العقل وتاويلهم اللغوى فتقاسير المعتزلة مملوءة بتاويل النصوص
 المبنية للصفات والقدر على غير ما أراد الله ورسوله فانكار السلف
 والأئمة لهذه التاويلات الفاسدة كما قال الامام أحمد في ما كتبه في الرد
 على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأولته على
 على غير تاويله فهذا الذي أنكره السلف والأئمة من التاويل فجاء بعدهم
 قوم انتسبوا الى السنة بغير خبرة تامة بها وبما يخالفها وظنوا ان المتشابه
 لا يعلم معناه الا الله فظنوا أن معنى التاويل هو معناه في اصطلاح المتأخرين

وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى المرجوح فصاروا في موضع
يقولون وينصرون ان التشابه لا يعلم معناه الا الله ثم يتناقضون في ذلك
من وجوه ، أحدها أنهم يقولون النصوص تجري على ظواهرها ولا يزيدون
على المعنى الظاهر منها ولهذا يطلون كل تاويل يخالف الظاهر ويقررون
المعنى الظاهر ويقولون مع هذا أن له تأويلا لا يعلمه الا الله والتاويل
عندهم ما يناقض الظاهر فكيف يكون له تاويل يخالف الظاهر وقد قرر معناه
الظاهر وهذا بما أنكره عليهم مناظروهم حتى أنكر ابن عقيل على شيخه
القاضي أبي يعلى ، ومنها انا وجدنا هؤلاء كلهم لا يحتج عليهم بنص يخالف
قولهم لافي مسألة أصلية ولا فرعية الا تأولو ذلك النص بتأويلات متكلمة
مستخرجة من جنس تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلات الجهمية
والقدرية التي تخالفهم ، فأين هذا من قولهم لا يعلم معاني النصوص المتشابهة
الا الله واعتبر هذا مما تجده في كتبهم من مناظرتهم للمعتزلة على قولهم
بالآيات التي تناقض قول هؤلاء مثل أن يحتجوا بقوله (والله لا يحب الفساد)
(ولا يرضى لعباده الكفر) (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (لا تدركه
الابصار) (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (واذا قال ربك
للملائكة) ونحو ذلك كيف تجدهم يتأولون هذه النصوص بتأويلات غالبها
فاسدوان كان في بعضها حق فان كان ماتأولوه حقا دل على أن الراشخين
في العلم يعلمون تاويل المتشابه فظهر تناقضهم وان كان باطلا فذلك أبعد لهم
وهذا أحمد بن حنبل امام أهل السنة الصابر في المحنة الذي قد صار للمسلمين
معيارا يفرقون به بين أهل السنة والبدعة لما صنف كتابه في الرد على الزنادقة
والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله تكلم في
معاني المتشابه الذي اتبعه الزائغون ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله آية آية وبين

معناها وفسرها ليبن فساد تأويل الزائغين واحتج على ان الله يرى وان القرآن غير مخلوق وان الله فوق العرش بالحجج العقلية والسمعية ورد ما احتج به النفاة من الحجج العقلية والسمعية وبين معاني الآيات التي سماها هو متشابهة وفسرها آية آية وكذلك لما ناظره واحتجوا عليه بالنصوص جعل يفسرها آية آية وحديثا حديثا وبين فساد ما تأولها عليه الزائفون وبين هو معناها ولم يقل أحد ان هذه الآيات والاحاديث لا يفهم معناها الا الله ولا قال أحد له ذلك بل الطوائف كلها مجتمعة على امكان معرفة معناها لكن يتنازعون في المراد كما يتنازعون في آيات الامر والنهي وكذلك تفسير المتشابهة من الآيات والاحاديث التي يحتج بها الزائفون من الخوارج وغيرهم كقوله «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن» وأمثال ذلك •

ويبطل قول المرجئة والجهمية وقول الخوارج والمعتزلة وكل هذه الطوائف تحتج بنصوص المتشابهة على قولها ولم يقل أحد لامن أهل السنة ولا من هؤلاء لما يستدل به هو أو يستدل به عليه منازعه هذه الآيات واحاديث لا يعلم معناها أحد من البشر فامسكوا عن الاستدلال بها وكان الامام أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن بآرائهم وتأويلهم من غير استدلال بسنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين الذين بلغهم الصحابة معاني القرآن كما بلغهم الفاظه ونقلوا هذا كما نقلوا هذا لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ويدعون أن هذا هو التأويل الذي يعلمه الراسخون وهم مبطلون في ذلك لاسيما تأويلات القرامطة والباطنية الملاحدة وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية

والقدرية وغيرهم ولكن هؤلاء يعترفون بانهم لا يعلمون التاويل وانما غايتهم أن يقولوا ظاهر هذه الآية غير مراد ولكن يحتمل أن يراد كذا وأن يراد كذا ولو تأولوا الواحد منهم بتاويل معين فهو لا يعلم أنه مراد الله ورسوله بل يجوز أن يكون مراد الله ورسوله عندهم غير ذلك كالتاويلات التي يذكرونها في نصوص الكتاب كما يذكرونه في قوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) وينزل ربنا (والرحمن على العرش استوى) (وظلم الله موسى تكليما) وغضب الله عليهم (وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وأمثال ذلك من النصوص فان غاية ما عندهم يحتمل أن يراد به كذا ويجوز كذا ونحو ذلك وليس هذا علما بالتاويل وكذلك كل من ذكر في نص أقوالا واحتمالات ولم يعرف المراد فانه لم يعرف تفسير ذلك وتاويله وانما يعرف ذلك من عرف المراد ومن زعم من الملاحدة أن الأدلة السمعية لا تنفي العلم فمضمون مدلولاته لا يعلم أحد تفسير المحكم ولا تفسير المتشابه ولا تاويل ذلك وهذا اقرار منه على نفسه بأنه ليس من الراسخين في العلم الذين يعلمون تاويل المتشابه فضلا عن تاويل المحكم فاذا انضم الى ذلك أن يكون كلامهم في العقليات فيه من السفسطة والتليس ما لا يكون معه دليل على الحق لم يكن عند هؤلاء لامعة بالسمعيات ولا بالعقليات وقد أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) ومدح الذين اذا ذكروا بآياته لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يفقهون ويعقلون وذم الذين لا يفقهون ولا يعقلون في غير موضع من كتابه وأهل البدع المخالفون للكتاب والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات وهم يجهلون ألفاظهم بجملة متشابهة تتضمن حقا وباطلا يجهلون أنها هي الاصول المحككة ويجهلون ما عارضها من

نصوص الكتاب والسنة من المتشابه الذي لا يعلم معناه عندهم الا الله وما يتأولونه بالاحتمالات لا يفيد فيجعلون البراهين شبهات والشبهات براهين كما قد بسط ذلك في موضع آخر ، وقد نقل القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد انه قال المحكم المستقل بنفسه ولم يحتاج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان ، وكذلك قال الامام أحمد في رواية وعن الشافعي قال المحكم مالا يحتمل من التأويل الا وجهها واحدا والمتشابه ما احتمل من التأويل وجوها ، وكذلك قال الامام أحمد وكذلك قال ابن الانباري المحكم مالم يحتمل من التأويل الا وجهها واحدا والمتشابه الذي تعتوره التأويلات فيقال حينئذ لجميع الأمة سلفها وخلفها يتكلمون في معاني القرآن التي تحتمل التأويلات وهؤلاء الذين ينصرون ان الراسخين في العلم لا يعلنون معنى المتشابه هم من أكثر الناس كلاما فيه •

والأئمة كالشافعي وأحمد ومن قبلهم كلهم يتكلمون فيما يحتمل معاني ويرجعون بعضها على بعض بالأدلة في جميع مسائل العلم الاصولية والفروعية لا يعرف عن عالم من علماء المسلمين أنه قال عن نص احتج به محتج في مسألة ان هذا لا يعرف أحد معناه فلا يحتاج به ولو قال أحد ذلك لقبيل له مثل ذلك واذا ادعى في مسائل النزاع المشهورة بين الأئمة ان نصه محكم يعلم معناه وان النص الآخر متشابه لا يعلم أحد معناه قوبل بمثل هذه الدعوى وهذا بخلاف قول القائل ان من النصوص ما معناه جلي واضح ظاهر لا يحتمل الا وجهها واحدا لا يقع فيه اشتباه ، ومنها ما فيه خفاء واشتباه يعرف معناه الراسخون في العلم فان هذا مستقيم صحيح ، وحينئذ فالحلف في المتشابه يدل على انه كله يعرف معناه فن قال انه يعرف معناه بين حجة على ذلك وأيضا فما ذكره السلف والخلف في المتشابه يدل على أنه كله يعرف معناه

فمن قال : ان المتشابه هو المنسوخ فمعنى المنسوخ معروف وهذا القول
 ماثور عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم ، وابن مسعود
 وابن عباس وقتادة هم الذين نقل عنهم ان الراسخين في العلم لا يعلمون تاويله
 ومعلوم قطعا باتفاق المسلمين ان الراسخين يعلمون معنى المنسوخ فكان
 هذا النقل عنهم يناقض ذلك النقل ويدل على أنه كذب ان كان هذا صدقا
 والا تعارض النقلان عنهم والمتواتر عنهم ان الراسخين يعلمون معنى
 المتشابه والقول الثاني ماثور عن جابر بن عبد الله أنه قال الحكم ما علم العلماء
 تاويله والمتشابه ما لم يكن للعلماء الى معرفته سبيل كقيام الساعة ، ومعلوم
 أن وقت قيام الساعة مما اتفق المسلمون على أنه لا يعلمه الا الله فاذا أريد
 بلفظ التاويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تاويله الا الله وهذا حق ولا
 يدل ذلك على أنه لا يعرف معنى الخطاب بذلك وكذلك ان أريد بالتاويل
 حقائق ما يوجد وقيل لا يعلم كيفية ذلك الا الله فهذا قد قدمناه وذكر أنه
 على قول هؤلاء من وقف عند قوله (وما يعلم تاويله الا الله) هو الذي
 يجب أن يراد بالتاويل وأما أن يراد بالتاويل التفسير ومعركة المعنى ويقف
 على قوله الا الله فهذا خطأ قطعا مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين .
 ومن قال ذلك من المتأخرين فانه متناقض يقول ذلك ويقول ما يناقضه
 وهذا القول يناقض الايمان بالله ورسوله من وجوه كثيرة ويوجب القدح
 في الرسالة ولا ريب أن الذي قالوه لم يتدبروا لوازمه وحقيقة ما اطلقوه
 وكان أكبر قصدهم دفع تاويلات أهل البدع المتشابهة وهذا الذي قصده
 حق وكل مسلم يوافقهم عليه لكن لا ندفع باطلا يباطل آخر ولا نرد
 بدعة ببدعة ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بان يقال الرسول
 والصحابة كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن ففي هذا من الظن في

الرسول وسلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة في تفسير بعض الآيات والعامل لا يبنى قصرا ويهدم مصرا .

والقول الثالث أن التشابه الحروف المقطعة في أوائل السور يروى هذا عن ابن عباس ، وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من اجل الاسمية والفعلية وانما هي أسماء موقوفة ولهذا لم تعرب فان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب وانما نطق بها موقوفة لما يقال : اب ت ولهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الاسم الذي ينطق به فانها في النطق أسماء ولهذا لما سال الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا اذا قال نطقتم بالاسم وانما النطق بالحرف زه في في اللفظ أسماء وفي الخط حروف مقطعة الم لا تكتب الب لام ميم كما يكتب قول النبي ﷺ من قرأ القرآن فاعر به فله بكل حرف عشر حسنة اما لا اقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، والحرف في لغة الرسول وأصحابه يتناول الذي يسميه النحاة اسما وفعلا وحرفا ولهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فانه لما كان معروفا من اللغة أن الاسم حرف والفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف انه جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وهذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام واما حروف الهجاء فتلك انما تكتب في صورة الحرف المجرد وينطق بها غير معربة ولا يقال فيها معرب ولا مبنى لان ذلك انما يقال في المؤلف ، فاذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود فانه ليس المقصود الا معرفة كلام الله وكلام رسوله ، ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس فان كان معناها معروفا فقد عرف معنى التشابه وان لم يكن

معروفا وهو المتشابه كان ماسواها معلوم المعنى وهذا المطلوب ، وأيضا
فان الله تعالى قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)
وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء وانما بعدها آيات الكوفيون .
وسبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابه ولكن
هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء ،
والرابع أن المتشابه ما اشتبهت معانيه قاله مجاهد وهذا يوافق قول أكثر
العلماء وكلهم يتكلم في تفسير هذا المتشابه ويبين معناه والخامس أن المتشابه
ما تكررت ألفاظه قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال المحكم ما ذكر الله
في كتابه من قصص الانبياء ففصله وبينه والمتشابه هو ما اختلفت ألفاظه
في قصصهم عند التكرير كما قال في موضع من قصة نوح (احمل فيها) وقال
في موضع آخر (اسلكيها) وقال في عصا موسى فاذا هي حية تسمى وفي موضع
فاذا هي ثعبان مبين ، وصاحب هذا القول جعل المتشابه اختلاف اللفظ مع
اتفاق المعنى كما يشبهه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذلك اللفظ وقد صنف
بعضهم في هذا المتشابه لان القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضوعين فاشتبه
على القارئ أحد اللفظين بالآخر وهذا التشابه لا ينفي معرفة المعاني بل لا ريب
ولا يقال في مثل هذا أن الراسخين يختصون بعلم تأويله فهذا القول ان كان
صحيحا كان حجة لنا وان كان ضعيفا لم يضرنا ، والسادس انه ما احتاج الى بيان
كما نقل عن أحمد ، والسابع انه ما احتمل وجوها كما نقل عن الشافعي وأحمد
وقد نقل عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال انك لا تفقه كل الفقه حتى
ترى للقرآن وجوها وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظائر فالنظائر
اللفظ الذي اتفق معناه في الموضوعين وأكثر الوجوه الذي اختلف معناه
كما يقال الاسماء المتواطئة والمشاركة وان كان بينهما فرق لبسطه موضع آخر

وقد قيل: هي نظائر في اللفظ ومعانيها مختلفة فتكون كالمشتركة وليس كذلك بل الصواب أن المراد بالوجوه والنظائر هو الأول (وقد تكلم المسلمون) سلفهم وخلفهم في معاني الوجوه وفيما يحتاج إلى بيان وما يحتمل وجوها فلم يقينا أن المسلمين متفقون على أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه وأعلم أن من قال أن من القرآن كلاما لا يفهم أحد معناه ولا يعرف معناه إلا الله فإنه مخالف لاجماع الأمة مع مخالفته للكتاب والسنة، والثامن أن التشابه هو القصص والأمثال وهذا أيضا يعرف معناه، والتاسع أنه ما يؤمن به ولا يعمل به وهذا أيضا مما يعرف معناه، والعاشر قول بعض المتأخرين أن التشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات وهذا أيضا مما يعلم معناه فإن أكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على أنه يعرف معناها والبعض الذي تنازع الناس في معناه إنما ذم السلف منه تاويلات الجهمية ونفوا علم الناس بكيفيته كقول مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول وكذلك قال سائر أئمة السنة وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم وبين الكيف المجهول فإن سمي الكيف تاويلا ساغ أن يقال: هذا التاويل لا يعلمه إلا الله كما قدمناه أولا، وأما إذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تاويلا كما يجعل معرفة سائر آيات القرآن تاويلا، وقيل إن النبي ﷺ وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا يعرفون معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) ولا يعرفون معنى قوله: (ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي) ولا معنى قوله: (غضب الله عليهم) بل هذا عندهم بمنزلة الكلام العجمي الذي لا يفهمه العربي وكذلك إذا قيل كان عندهم قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وقوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) وقوله (وكان سميعا بصيرا) وقوله (رضى الله

عنهم ورضوا عنه) وقوله : (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) وقوله : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وقوله : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقوله : (أنا جعلناه قرآنا عربيا) وقوله : (فأجره حتى يسمع كلام الله) وقوله : (فلما أتاهما نودي أن بورك من في النار ومن حولها) وقوله : (هل ينظرون إلا أن يأتهم الله في ظل من الغمام والملائكة) وقوله : (وجاء ربك والملك صفا صفا هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) إلى أمثال هذه الآيات ، فمن قال عن جبريل ومحمد صلوات الله عليهما وعن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين والجماعة أنهم كانوا لا يعرفون شيئا من معاني هذه الآيات بل استأثر الله بعلم معناها إذا استأثر بعلم وقت الساعة وإنما كانوا يقرؤن ألفاظا لا يفهمون لها معنى كما يقرأ الإنسان كلاما لا يفهم منه شيئا فقد كذب على القوم والنقول المتواترة عنهم تدل على تقيض هذا وانهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن وإن كان كنه الرب عز وجل لا يحيط به العباد ولا يحصون ثناء عليه فذاك لا يمنع أن يعلموا من أسمائه وصفاته ما علمهم سبحانه وتعالى كما أنهم إذا علموا أنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير لم يلزم أن يعرفوا كيفية علمه وقدرته وإذا عرفوا أنه حق موجود لم يلزم أن يعرفوا كيفية ذاته . وهذا ما يستدل به على أن الراسخين يعلمون التأويل فإن الناس متفقون على أنهم يعرفون تأويل المحكم ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه في الآيات المحكمات فدل ذلك على أن عدم العلم بالكيفية لا ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه بل يعلمون تأويل المحكم والمشابهة

ولا يعرفون كيفية الرب لافي هذا ولا في هذا ، فان قيل هذا يقدر فيما ذكرتم
من الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير وبين التأويل الذي في كتاب
الله تعالى قيل لا يقدر في ذلك فان معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور
ذلك في القلب غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام
فان الشيء له وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في اللسان
ووجود في البيان ، فالكلام لفظ له معنى في القلب ويكتب ذلك اللفظ
بالخط فاذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر عنه باللسان فهذا
غير الحقيقة الموجودة في الخارج وليس كل من عرف الاول عرف عين
الثاني مثال ذلك أن اهل الكتاب يعلنون ما في كتبهم من صفة محمد ﷺ
وخبره ونعته وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره وتأويل ذلك هو
نفس محمد المبعوث فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام وكذلك
الانسان قد يعرف الحجج والمشاعر كالبيت والمساجد ومنى وعرفة ومزدلفة
ويذهب معنى ذلك ولا يعرف الامكنة حتى يشاهدها فيعرف أن الكعبة
المشاهدة المذكورة في قوله : (والله على الناس حجج البيت) وكذلك أرض
عرفات هي المذكورة في قوله : (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله)
وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مازمي عرفة ووادي محسر
يعرف أنها المذكورة في قوله : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وكذلك
الرؤيا يراها الرجل ويذكر له العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره مثل أن
يقول هذا يدل على أنه كان كذا ويكون كذا وكذا ثم اذا كان ذلك
فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس عليه وتصوره وكلامه ولهذا قال
يوسف الصديق (هذا تأويل رؤياي من قبل) وقال : (لا يأتكما طعام
ترزقانه الا بآتيكما تأويله قبل أن يأتيكما) فقد أنباها بالتأويل قبل أن

يأتى التأويل وان كان التأويل لم يقع بعد وان كان لا يعرف متى يقع فنحن
 نفعل تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد وان كنا لانعرف
 متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى : (هل ينظرون الا
 تأويله يوم يأتى تأويله) الآية ، وقال تعالى : (لئكل نبالاً مستقر) فنحن نفعل
 مستقر نبالاً الله وهو الحقيقة التى أخبر الله بها ولا نعلم متى يكون وقد لانعلم
 كيفيتها وقدرها وسواء فى هذا تأويل المحكم والمتشابه كما قال الله تعالى :
 (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم
 أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) قال النبى ﷺ انها كائنة ولم
 يأت تأويلها بعد فقد عرف تأويلها وهو وقوع الاختلاف والفتن وان لم
 يعرف متى يقع وقد لا يعرف صفته ولا حقيقته فاذا وقع عرف العارف
 أن هذا هو التأويل الذى دلت عليه الآية وغيره قد لا يعرف ذلك أو ينساه
 بعد ما كان عرفة فلا يعرف أن هذا تأويل القرآن فانه لما نزل قوله تعالى :
 (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) قال الزبير : لقد قرأنا هذه
 الآية زماناً ما أرانا من أهلها واذا نحن المعنيون بها (واتقوا فتنة لا تصيبن
 الذين ظلموا منكم خاصة) وأيضاً فان الله قد ذم فى كتابه من يسمع
 القرآن ولا يفقه معناه وذم من لم يتدبره ومدح من يسمعه ويفقهه فقال
 تعالى : (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) الآية فاخبر
 أنهم كانوا يقولون لأهل العلم ماذا قال الرسول فى هذا الوقت المتقدم فدل
 على أن أهل العلم من الصحابة كانوا يعرفون من معانى كلام رسول الله
ﷺ ما لا يعرفه غيرهم وهؤلاء هم الراسخون فى العلم الذين يعلمون معانى
 القرآن بحكمه ومتشابهه وهذا كقوله تعالى : (وتلك الامثال نضربها للناس
 وما يعقلها الا العالمون) فدل على ان العالمين يعقلونها وان كان غيرهم لا يعقلها .

والامثال هي ما يمثل به من المشابه وعقل معناه او هو معرفة تاويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم دون غيرهم ويشبه هذا قوله تعالى: (ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) فلو لا أنهم عرفوا معنى ما أنزل كيف عرفوا انه حق أو باطل وهل يحكم على كلام لم يتصور معناه انه حق أو باطل ، وقال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وقال تعالى: (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين) وقال تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقال (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) وقال (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) وقال: (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا) الى قوله: (ومن بيننا وبينك حجاب) فاذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم أحد معناه لم يمكن المتدبر المعقول الابعضه وهذا خلاف ما دل عليه القرآن لاسيما عامة ما كان المشركون ينكرونه الآيات الخبرية والاخبار عن اليوم الآخر أو الجنة والنار وعن نفى الشركاء والاولاد عن الله وتسميته بالرحمن فكان عامة انكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيا وإثباتا وما يخبرهم به عن اليوم الآخر وقد ذم الله من لا يعقل ذلك ولا يفقهه ولا يتدبره * فعلم أن الله يأمر بعقل ذلك وتدبره وقد قال تعالى (ومنهم من يستمعون اليك أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفانت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) وقال (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) الآية وقال تعالى (واذا قرأت

القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) الآية وقد استدل بعضهم بأن الله لم ينف عن غيره علم شيء الا كان منفردا به كقوله: (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقوله: (لا يعلمها الا هو) وقوله: (وما يعلم جنود ربك الا هو) فيقال ليس الامر كذلك بل هذا بحسب العلم المنفي فان كان مما استأثر الله به قيل فيه ذلك وان كان مما علمه بعض عباده ذكر ذلك كقوله: (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقوله: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) الى قوله: (رصد) وقوله: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقوله: (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) وقوله: (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه) الى قوله: (شهيدا) وقوله: (قل رب أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) وقال للملائكة (انى أعلم ما لا تعلمون) وقالت الملائكة (لا علم لنا الا ما علمتنا) وفي كثير من كلام الصحابة الله ورسوله أعلم وفي الحديث المشهور أسالك بكل اسم هلك سميت به نفسك وانزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى: (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وأول النزاع النزاع في معاني القرآن فان لم يكن الرسول عالما بمعانيه امتنع الرد اليه وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتبرهن بجملة وانها تفسر مجمل القرآن من الامر والخبر، وقال تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) الى قوله: (فما اختلفوا فيه) ومن أعظم الاختلاف الاختلاف في المسائل العلمية الخبرية المتعلقة بالايمان بالله واليوم الآخر فلا بد أن يكون الكتاب

حا كما بين الناس فيما اختلفوا فيه من ذلك ويمتنع أن يكون حاكما ان لم يكن معرفة معناه ممكنا وقد نصب الله عليه دليلا والا فالحاكم الذي لا يتبين ما في نفسه لا يحكم بشيء وكذلك اذا قيل هو الحاكم بالكتاب فان حكمه فصل يفصل به بين الحق والباطل وهذا انما يكون بالبيان وقد قال تعالى في القرآن: (انه لقول فصل) اي فاصل يفصل بين الحق والباطل فكيف يكون فصلا اذا لم يكن الى معرفة معناه سبيل ، وأيضا فان الله قال (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون) فذم هؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب الا أماني فاذم الذين يحرفون معناه ويكذبون فقال تعالى (أفقطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) الى قوله : (أفلا تعقلون) فهذا أحد الصنفين ثم قال تعالى : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني أي تلاوة وان هم الا يظنون) ثم ذم الذين يفترون كذبا يقولون هي من عند الله وما هي من عند الله فقال : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) الى قوله : (يكسبون) *

وهذه الاصناف الثلاثة تستوعب أهل الضلال والبدع فان أهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله نوعان ، أحدهما عالم بالحق يعتمد خلافة والثاني جاهل متبع لغيره فالاولون يتبدعون ما يخالف كتاب الله ويقولون هو من عند الله اما أحاديث مفتريات واما تفسير وتأويل للنصوص باطل ويعضدون ذلك بما يدعون من الرأي والعقل وقصدهم بذلك الرياسة والمأكل فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم من الباطل وويل لهم مما يكسبون من المال على ذلك وهؤلاء اذا عورضوا بنصوص الكتب الالهية وقيل لهم هذه تخالفكم حرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة قال الله تعالى : (أفقطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق

منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) *
 واما النوع الثاني الجهال فهو لاء الاميون الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى
 وان هم الا يظنون فمن ابن عباس وقتادة في قوله (ومنهم اُميون) أى غير عارفين
 بمعانى الكتاب يعلمونها حفظا وقرأة بلا فهم ولا يدرون ما فيه وقوله الا امانى
 أى تلاوة فهم لا يعلمون فقه الكتاب انما يقتصرون على ما يسمعون به يتلى
 عليهم قاله الكسائى والزجاج وكذلك قال ابن السائب لا يحسنون قرأة الكتاب
 ولا كتابته الا امانى الا ما يحدثهم به علماء وهم ، وقال أبو روق وأبو عبيدة أى
 تلاوة وقرأة عن ظهر القلب ولا يقرؤونها فى الكتب ، وفى هذا القول جعل
 الامانى التى هى التلاوة تلاوة الاميين أنفسهم وفى ذلك جعله ما يسمعون به
 من تلاوة علماءهم وكلا القولين حق والآية تعمهما فإنه سبحانه وتعالى قال :
 لا يعلمون الكتاب لم يقل لا يقرؤون ولا يسمعون ثم قال : الا امانى وهذا الاستثناء
 منقطع لكن يعلمون امانى اما بقراءتهم لها واما بسماعهم قراءة غيرهم وان
 جعل الاستثناء متصلا كان التقدير لا يعلمون الكتاب الا علم امانى لا علم
 تلاوة فقط بلا فهم ، والايمانى جمع أمنية وهى التلاوة ومنه قوله تعالى : (وما
 أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيه فيفسخ
 الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) قال الشاعر *

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخرها لاقى حمام المقادر

والاميون نسبة الى الامة قال بعضهم الى الامة وما عليه العامة فعنى
 الامى العامى الذى لا يتميز له ، وقد قال الزجاج هو على خلق الامة التى لم
 تتعلم فهو على جبلته ، وقال غيره هو نسبة الى الامة لأن الكتابة كانت فى
 الرجال دون النساء ولأنه على ما ولدته أمه والصواب انه نسبة الى أمة كما
 يقال عامى نسبة الى العامة التى لم تتميز عن عامة بما يمتاز به الخاصة وكذلك

هذا لم يتميز عن الامة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة ويقال الامي
 لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤنه
 وان كان قديكسب ويقرأ ما لم ينزل وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين
 فانه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله قال الله تعالى: (وقل للذين أوتوا
 الكتاب والاميين أسلمتم فإن أسلبوا فقد اهتدوا) وقال (هو الذي بعث
 في الاميين رسولا منهم) وقد كان في العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب
 وكلهم أميون فلما نزل القرآن عليهم لم يبقوا أميين باعتبار أنهم لا يقرؤون
 كتابا من حفظهم بل هم يقرؤون القرآن من حفظهم وأنا جيلهم في صدورهم
 لكن بقوا أميين باعتبار أنهم لا يحتاجون الى كتابة دينهم بل قرآنهم محفوظ
 في قلوبهم كما في الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي ﷺ أنه
 قال خلقت عبادي حنفاء وقال فيه اني مبتليكم وبتل بك وأنزلت عليك كتابا
 لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظاناه فأمتا ليست مثل أهل الكتاب الذين
 لا يحفظون كتبهم في قلوبهم بل لو عدمت المصاحف كلها كان القرآن محفوظا
 في قلوب الامة وبهذا الاعتبار فالمسلمون أمة أمية بعد نزول القرآن وحفظه
 كما في الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال
 «أما أمة أمية لا تحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا فلم يقل لا نقرأ كتابا
 ولا نحفظ بل قال لا نكتب ولا نحسب فديننا لا يحتاج ان يكتب ويحسب
 كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صومهم وفطرهم بكتاب
 وحساب ودينهم معلق بالكتب لو عدمت لم يعرفوا دينهم ولهذا يوجد أهل
 السنة يحفظون القرآن والحديث أكثر من أهل البدع وأهل البدع فيهم
 شبه بأهل الكتاب من بعض الوجوه وقوله (فآمنوا بالله ورسوله النبي
 الامي) هو أمي بهذا الاعتبار لانه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب لا باعتبار

انه لا يقرأ من حفظه بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ ، والامى فى اصطلاح الفقهاء خلاف القارى . ليس هو خلاف الكاتب بالمعنى الاول ويعنون به فى الغالب من لا يحسن الفاتحة نقوله تعالى : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى) أى لا يعلمون الكتاب الا تلاوة لا يفهمون معناها وهذا يتناول من لا يحسن الكتابة ولا القراءة من قبله وانما يسمع أمانى علما كما قال ابن السائب ويتناول من يقرأه عن ظهر قلبه ولا يقرأه من الكتاب كما قال أبو روق وأبو عبيدة ، وقد يقال ان قوله لا يعلمون الكتاب أى الخط أى لا يحسنون الخط وانما يحسنون التلاوة ، ويتناول أيضا من يحسن الخط ولا يفهم ما يقرأه ويكتبه لما قال ابن عباس وقادة غير عارفين بمعانى الكتاب يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه ، والكتاب هذا المراد به الكتاب المنزل وهو التوراة ليس المراد به الخط فانه قال وأنهم الا يظنون فهذا يدل على أنه نفى عنهم العلم بمعانى الكتاب والا فكون الرجل لا يكتب بيده لا يستلزم أن يكون لا علم عنده بل يظن ظنا بل كثير ممن يكتب بيده لا يفهم ما يكتب وكثير ممن لا يكتب يكون عالما يعلم ما يكتبه غيره ، وأيضاً فان الله ذكر هذا فى سياق الذم لهم وليس فى كون الرجل لا يخط ذم اذا قام بالواجب وانما الذم على كونه لا يعقل الكتاب الذى أنزل اليه سواء كتبه وقرأه أولم يكتبه ولم يقرأه لما قال النبي ﷺ وهذا أو ان يرفع العلم فقال له زياد بن ليلى كيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن فوالله لقد قرأناه ولنقرته نساء ما فقال له ان كنت لأحسبك من أئمة أهل المدينة او ليست التوراة والابجيل عند اليهود والنصارى فاذا تغنى عنهم ، وهو حديث معروف رواه الترمذى وغيره ، ولأنه قال تعالى قبل هذا (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) فأولئك

عقلوة ثم حرفوه وهم مذمومون سواء كانوا يحفظونه بقلوبهم ويكتبونه
ويقرؤنه حفظا وكتابة أو لم يكونوا كذلك فكان من المناسب أن يذكر
الذين لا يعقلونه وهم الذين لا يعلمونه إلا أمانى فان القرآن أنزل الله كتابا
متشابها مثاني ويذكر فيه الاقسام والامثال فيستوعب الاقسام فيكون مثاني
ويذكر الامثال فيكون متشابها وهؤلاء وان كانوا يكتبون ويقرؤن فهم أميون
من أهل الكتاب كما تقول نحن لمن كان كذلك هو أمي وساذج وعامى وان
كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب اذا كان لا يعرف معناه .

واذا كان الله قد ذم هؤلاء الذين لا يعرفون الكتاب الا تلاوة دون
فهم معانيه كما ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بعدهم اعقلوه وهم
يعلمون دل على أن كلا النوعين مذموم، الجاهل الذى لا يفهم معاني النصوص
والكاذب الذى يحرف الكلم عن مواضعه ويتكلم برأيه ويؤله بما يضيفه
الى الله فهو لاء يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله
ويجعلون تلك المقالات التى ابتدعوها هى مقالة الحق وهى التى جاء بها
الرسول والتى كان عليها السلف ونحو ذلك ثم يعرفون النصوص التى تعارضها
فهؤلاء اذا تعمدا ذلك وعلموا أن الذى يفعلونه مخالف للرسول فهم من
جنس هؤلاء اليهود وهذا يوجد فى كثير من الملاحدة ويوجد فى بعض
الاشياء فى غيرهم ، وأما الذين قصدتهم اتباع الرسول باطنا وظاهرا وغلطوا
فيما كتبوه وتأولوه فهو لاء ليسوا من جنسهم لكن وقع بسبب غلطهم
ما هو من جنس ذلك الباطل كما قيل اذا زل العالم زل بزله عالم وهذا حال
المتأولين من هذه الامة وأما رجل مقلد أمي لا يعرف من الكتاب الا
ما يسمعه منهم أو ما يتلوه هو ولا يعرف الا أمانى وقد ذمه الله على ذلك
فعلم أن ذم الله الذين لا يعرفون معاني القرآن ولا يتدبرونه ولا يعقلونه

لما صرح القرآن بذهمهم في غير موضع فيمتنع مع هذا أن يقال أن أكثر
القرآن أو كثيرا منه لا يعلمه أحد من الخلق إلا أمانى لاجبريل ولا محمد
ولا الصحابة ولا أحد من المسلمين فإن هذا تشبيه لهم بهؤلاء فيما ذمهم الله به
فان قيل : فلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية قيل نعم لكن
معرفة معاني الجميع فرض على الكفاية وعلى كل مسلم معرفة ما لا بد منه
وهؤلاء ذمهم الله لأنهم لا يعلمون معاني الكتاب الا تلاوة وليس عندهم
الاظن وهذا يشبهه قوله : (وانهم لفي شك منه مريب) فان قيل فقد قال بعض
المفسرين إلا أمانى إلا ما يقولونه بأفواههم كذبا وباطلا وروى هذا عن
بعض السلف واختاره الفراء، وقال الأمانى إلا كاذيب المفتعلة قال بعض
العرب لابن دأب - وهو يحدث - أهذا شئ رويته أم تمنيته أى افتعلته فأراد
بالأمانى الأشياء التى كتبها علماءهم من قبل أنفسهم ثم أضافوها إلى الله
من تغيير صفة محمد عليه السلام، وقال بعضهم الأمانى يتمنون على الله الباطل
والكذب كقوله : (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) وقوله (لن يدخل
الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) وقوله (نحن أبناء الله وأحباؤه) وهذا
أيضا يروى عن بعض السلف قيل كلا القولين ضعيف والصواب الأول
لأنه سبحانه قال (ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) وهذا
الاستثناء إما أن يكون متصلا أو منقطعا فان كان متصلا لم يجز استثناء
الكذب ولا أمانى القلب من الكتاب وان كان منقطعا فالاستثناء المنقطع
انما يكون فيما كان نظير المذكور وشيها له من بعض الوجوه فهو من
جنسه الذى لم يذكر فى اللفظ ليس من جنس المذكور ولهذا يصلح
المنقطع حيث يصلح الاستثناء المفرغ وذلك كقوله : (لا يدعون فيها الموت)
ثم قال : (إلا الموت الأولى) فهذا منقطع لأنه يحسن أن يقال لا يدعون

(الاموثة الاولى) وكذلك قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
 الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) لأنه يحسن أن يقال لا تأكلوا أموالكم
 بينكم الا أن تكون تجارة، وقوله (وما لهم به من علم الا اتباع الظن) يصلح
 أن يقال وما لهم الا اتباع الظن فهنا لما قال (لا يعلمون الكتاب الا أمانى)
 يحسن أن يقال لا يعلموه الا أمانى فانهم يعلمونه تلاوة و يقرؤنها ويسمعونها
 ولا يحسن أن يقال لا يعلمون الا ماتمناه قلوبهم أو لا يعلمون الا الكذب
 فانهم قد كانوا يعلمون ما هو صدق أيضا فليس كل ما علموه من علمائهم
 كان كذبا بخلاف الذى لا يعقل معنى الكتاب فانه لا يعلم الا تلاوة ، وأيضا
 هذه الا أمانى الباطلة التى تمنوها بقلوبهم وقالوها بالسنتهم كقوله تعالى (تلك
 أمانيتهم قد اشتهروا فيها ظلم) لا يخص بالذم الاميون منهم وليس لكونهم
 أميين مدخل فى الذم بهذه ولا لئى العلم بالكتاب مدخل فى الذم بهذه بل
 الذم بهذه مما يعلم أنها باطل أعظم من ذم من لا يعلم أنها باطل ، ولهذا لما ذم
 الله بها عجم ولم يخص فقال تعالى (وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان
 هودا أو نصارى تلك أمانيتهم) الآية ، وأيضا فانه قال (وان هم الا يظنون)
 فدل على أنه ذمهم على نفي العلم وعلى أنه ليس معهم الا الظن وهذا حال
 الجاهل بمعانى الكتاب لاحال من يعلم أنه يكذب ، فظهر أن هذا الصنف
 ليس هم الذين يقولون بافواههم الكذب والباطل ولو أريد ذلك لقليل لا يقولون
 الا أمانى لم يقل لا يعلمون الكتاب الا أمانى بل ذلك الصنف هم الذين يحرفون
 الكلم عن مواضعه ويلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب
 وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويكتبنون
 الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمنا قليلا فهم يحرفون معانى الكتاب وهم يحرفون
 لفظه لمن لم يعرفه ويكذبون فى لفظهم وخطهم ، وقد ثبت فى الصحيحين عن

النبي ﷺ انه قال «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فن» وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال «لناخذن أمتي ما أخذ الامم قبلنا شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا يا رسول الله فارس والروم؟ قال ومن الناس الا أولئك» فهذا دليل على أن ما ذم الله به أهل الكتاب في هذه الآية يكون في هذه الامة من يشبههم فيه وهذا حق قد شهد قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) فن تدبر ما أخبر الله به ورسوله رأى أنه قد وقع من ذلك أمور كثيرة بل أكثر الامور ودله ذلك على وقوع الباقي .

فصل فقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك لما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن سلك سبيلهم فكل ما يحتاج الناس اليه في دينهم فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا فكيف بأصول التوحيد والايان ثم إذا عرف ما بينه الرسول نظر في أقوال الناس وما أراد به فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح دائما موافق للرسول لا يخالفه قط فان الميزان مع الكتاب والله أنزل الكتاب بالحق والميزان لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا فيه لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه ، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحيرات العقول لا تخبر بمحالات العقول فهذا سبيل الهدى والسنة والعلم وأما سبيل الضلال والبدعة والجهل فعكس ذلك أن يبتدع بدعة برأى رجال وتأويلاتهم ثم يجعل ما جاء به الرسول تبعاً لها ويحرف ألفاظه ويتاول على وفق ما أصوله وهؤلاء تجدهم في نفس الامر

لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ولا يتلقون الهدى منه ولكن ما وافقهم
منه قبلوه وجعلوه حجة لا عمدة وما خالفهم تألوه كالذين يحرفون الكلم
عن مواضعه أو فوضوه كالذين لا يعلمون الكتاب الا أماني ، وهؤلاء
قد لا يعرفون ما جاء به الرسول اما عجزا واما تفريطا فانه يحتاج إلى
مقدمتين ان الرسول قال كذا وانه أراد به كذا ، أما الأولى فعامتهم
لا يرتابون في أنه جاء بالقرآن وان كان من غلاة أهل البدع من يرتاب
في بعضه لكن الاحاديث عامة أهل البدع جهال بها وهم يظنون أن هذه
رواها احاد يجوزون عليهم الكذب والخطا ولا يعرفون من كثرة طرقها
وصفات رجالها والاسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه أهل العلم بالحديث
فان هؤلاء يقطعون قطعاً يقيناً بعمامة المتون الصحيحة التي في الصحيحين كما
قد بسطناه في غير هذا الموضع * وأما المقدمة الثانية فانهم قد لا يعرفون معنى
القرآن والحديث ومنهم من يقول الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين بمراد المتكلم
وقد بسطنا على فساد ذلك في غير هذا الموضع ، وكثير منهم انما ينظر من تفسير
القرآن والحديث فيما يقوله موافقه على المذهب فيتأول تأويلاتهم فالنصوص
التي توافقهم يحتجون بها والتي تخالفهم يتأولونها ، وكثير منهم لم يكن
عمدتهم في نفس الأمر اتباع نص أصلا وهذا في البدع الكبار مثل الرفض
والجهمية فان الذي وضع الرفض كان زنديقا ابتداء بعمل الكذب الصريح
الذي يعلم انه كذب كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على
الله الكذب وهم يعلمون ، ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتروه
اولئك وهم في شك منه كما قال تعالى: (وان الذين اتوا العلم من بعدهم
لفى شك منه مريب) وكذلك الجهمية ليس معهم على نفى الصفات وعلو
الله على العرش ونحو ذلك نص أصلا لا آية ولا حديث ولا اثر عن

الصحابة بل الذى ابتدأ ذلك لم يكن قصده اتباع الانبياء بل وضع ذلك
كما وضعت عبادة الاوثان وغير ذلك من اديان الكفار مع علمهم بان
ذلك مخالف للرسول لما ذكر عن مبدلة اليهود ثم فشا ذلك فيمن لم يعرفوا
أصل ذلك وهذا بخلاف بدعة الخوارج فان أصلها ما فهموه من القرآن
فغلطوا في فهمه ومقصودهم اتباع القرآن باطنا وظاهراً ليسوا زنادقة،
وكذلك القدريه أصل مقصودهم تعظيم الامر والنهي والوعد والوعيد
والذى جاءت به الرسل ويتبعون من القرآن ما دل على ذلك فعمر بن
عبيد وامثاله لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول بل الذى ابتدع الرفض
وكذلك الارجاء انما أحدثه قوم قصدهم جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين
ليسوا كفاراً قابِلوا الخوارج والمعتزلة فصاروا في طرف آخر وكذلك
التشيع المتوسط الذى مضمونه تفضيل على وتقديمه على غيره ونحو ذلك
لم يكن هذا من أحداث الزنادقة بخلاف دعوى النص فيه والعصمة فان
الذى ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً ولهذا قال: عبدالله بن المبارك ويوسف
ابن أسباط وغيرهما أصول البدعة أربعة الشيعة، والخوارج، والقدريه
والمرجئة قالوا: والجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة وكذلك ذكر
أبو عبد الله بن حامد عن أصحاب أحمد في ذلك قولين هذا أحدهما وهذا
أرادوا به التجهم المحض الذى كان عليه جهنم نفسه ومتبعوه عليه وهو تقى
الاسماء مع نفي الصفات بحيث لا يسمى الله بشيء من أسمائه الحسنى ولا يسميه
شيئاً ولا موجوداً ولا غير ذلك وانما نقل عنه انه كان يسميه قادراً لأن جميع
الاسماء يسمى بها الخلق فزعم أنه يلزم منها التشبيه بخلاف القادر فانه كان
رأس الجبرية وعنده ايس للعبد قدرة ولا فعل ولا يسمى غير الله قادراً
فلهذا نقل عنه أنه سمي الله قادراً وشر منه نفاة الاسماء والصفات وهم

ولهذا كان هؤلاء عند الأئمة قاطبة ملاحدة منافقين بل فيهم من الكفر
 الباطن ما هو أعظم من كفر اليهود والنصارى وهؤلاء لا ريب أنهم ليسوا
 من الثنتين وسبعين فرقة وإذا أظهروا الإسلام فغايتهم أن يكونوا من المنافقين
 كالمنافقين الذين كانوا على يد رسول الله ﷺ وأولئك كانوا أقرب
 إلى الإسلام من هؤلاء فانهم كانوا يلتزمون شرائع الإسلام الظاهرة هؤلاء
 قد يقولون برفعها فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة لكن قد يقال إن
 أولئك كانوا قد قامت عليهم الحجة بالرسالة أكثر من هؤلاء وأما من يقول
 ببعض التجهم للمعتزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الإسلام باطنا وظاهرا
 فهم هؤلاء من أمة محمد ﷺ بلا ريب ، وكذلك من هو خير منهم كالكلابية
 والكرامية وكذلك الشيعة المفضلين لعل ومن كان منهم من يقول بالنص
 والعصمة مع اعتقاده نبوة محمد ﷺ باطنا وظاهرا وظنه أن ما هو عليه
 هو دين السلام فهم هؤلاء أهل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن أمة محمد ﷺ
 بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، وعامة هؤلاء ممن يتبع ما تشابه
 من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أن من المنافقين والكفار من يفعل
 ذلك ولهذا قال طائفة من المفسرين كالربيع بن أنس هم النصارى كنصارى
 نجران وقالت طائفة كالكلبي هم اليهود وقالت طائفة كابن جريج هم المنافقون
 وقالت طائفة كالحسن هم الخوارج وقالت طائفة كقتادة هم الخوارج
 والشيعة وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية (فأما الذين في قلوبهم زيغ) يقول
 إن لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم ، والسبائية نسبة إلى عبد
 الله بن سبأ رأس الرافضة .

فصل في المعنى الصحيح الذي هو نفى المثل والشريك والند

قد دل عليه قوله سبحانه أحد وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) وقوله (هل تعلم له سميا) وأمثال ذلك فالمعاني الصحيحة ثابتة بالكتاب والسنة والعقل. يدل على ذلك وقوله القائل: - الاحد أو الصمد - أو غير ذلك هو الذي لا ينقسم ولا يتفرق وليس بمركب ونحو ذلك هذه العبارات اذا عني بها انه لا يقبل التفرق والانفصال فهذا حق واما ان عني انه لا يشار اليه بحال او من جنس ما يعنون بالجواهر الفرد انه لا يشار الى شيء منه دون شيء فهذا عند اكثر العقلاء يمتنع وجوده وانما يقدر في الذهن تقديرا وقد علمنا ان العرب حيث اطلقت لفظ الواحد والاحد نفيا واثباتا لم ترد هذا المعنى فقوله تعالى: (وان أحد من المشركين استجارك فاجر) لم يرد به هذا المعنى الذي فسروا به الواحد الاحد ، وكذلك قوله (وان ثانت واحدة فلها النصف) وكذلك قوله (ولم يكن له كفوا أحد) فان المعنى لم يكن له أحد من الآحاد كفوا له فان كان الواحد عبارة عما لا يتميز منه شيء عن شيء ولا يشار الى شيء منه دون شيء فليس في الموجودات ما هو احد الا ما يدعونه من الجواهر الفرد ومن رب العالمين وحيث لا يكون قد نفى عن شيء من الموجودات ان يكون كفوا للرب لانه لم يدخل في مسمى احد ، وقد بسطنا الكلام على هذا بسطا كثيرا في المباحث العقلية والسمعية التي يذكرها نفاة الصفات من الجهمية واتباعهم في كتابنا المسمى بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ولهذا لما احتجت الجهمية على السلف كالامام احمد وغيره على نفى الصفات باسم الواحد قال احمد قالوا لا تكونوا موحدين أبدا حتى تقولوا قد كان الله ولا شيء قلنا نحن نقول كان الله ولا شيء ولكن اذا قلنا ان الله لم يزل بصفاته كلها أليس انما نصفه لما واحدا وضربنا لهم في ذلك مثالا فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها

جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها شيء واحد وسميت
 نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد
 لا نقول انه قد كان في وقت من الاوقات ولا يعلم حتى خلقه علما ولكن
 نقول لم يزل عالما قادرا مالكا لامتي ولا كيف ومما يبين هذا ان سبب نزول
 هذه السورة الذي ذكره المفسرون يدل على ذلك فانهم ذكروا أسبابا *
 أحدها ما تقدم عن أبي بن كعب أن المشركون قالوا الرسول الله ﷺ :
 أئنت لنا ربك فنزلت هذه السورة * والثاني أن عامر بن الطفيل قال للنبي ﷺ :
 إلام تدعونا اليه يا محمد؟ قال الى الله قال فضفه لي أمن ذهب هو أم من فضة
 أم من حديد فنزلت هذه السورة * وروى ذلك عن ابن عباس من طريق أبي
 ظبيان وأبي صالح عنه * والثالث أن بعض اليهود قال ذلك قالوا من أى
 جنس هو ومن ورث الدنيا ولمن يورثها فنزلت هذه السورة قاله قتادة
 والضحاك قال الضحاك وقاتدة ومقاتل: جاء من أحبار اليهود الى النبي ﷺ
 فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله أنزل نعتة في التوراة
 فأخبرنا به من أى شيء هو ومن أى جنس هو أمن ذهب أم من نحاس هو
 أم من صفر أم من حديث أم من فضة وهل يأكل ويشرب ومن ورث الدنيا
 ولمن يورثها فأنزل الله هذه السورة وهي نسبة الله خاصة *
 والرابع ما روى عن الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا
 على النبي ﷺ بسبعة أساقفة من بنى الحرث بن كعب منهم السيد والعاقب
 فقالوا للنبي ﷺ : صف لنا ربك من أى شيء هو قال النبى ﷺ : ان
 ربى ليس من شيء وهو بائن من الأشياء فأنزل الله تعالى (قل هو الله أحد)
 فمؤلا سألوا هل هو من جنس من أجناس المخلوقات وهل هو من
 مادة فبين الله تعالى أنه أحد ليس من جنس شيء من المخلوقات وأنه صمد

من مادة بل هو صمد لم يلد ولم يولد وإذا نفى عنه أن يكون مولودا من مادة الوالد فلان ينفى عنه أن يكون من سائر المواد اولى واخرى فان المولود من نظير مادته اكل من مادة ما خلق من مادة اخرى كما خلق آدم من الطين فالمادة التي خلق منها اولاده افضل من المادة التي خلق منها هو ولهذا كان خلقه اعجب ، فاذا نزه الرب عن المادة العليا فهو عن المادة السفلى اعظم تنزيها وهذا كما انه اذا كان منزها عن ان يكون احد كفوا له فلان يكون منزها عن ان يكون احد افضل منه اولى واخرى ، وهذا مما يبين ان هذه السورة اشتملت على جميع انواع التنزيه والتحميد على النفي والاثبات ولهذا كانت تعدل تلك القرآن فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقص والاحدية تثبت الانفراد بذلك ، وكذلك اذا نزه نفسه عن أن يلد فيخرج منه مادة الولد التي هي اشرف المواد فلان ينزه نفسه عن أن يخرج منه مادة غير الولد بالطريق الاولى والاخرى واذا نزه نفسه عن أن يخرج منه مواد للمخلوقات فلان ينزه عن أن يخرج منه فضلات لا تصلح أن تكون مادة بطريق الاولى والاخرى والانسان يخرج منه مادة الولد ويخرج منه مادة غير الولد كما يخلق من عرقه ورطوبته القمل والدود وغير ذلك ، ويخرج منه المخاط والبصاق وغير ذلك وقد نزه الله أهل الجنة عن ان يخرج منهم شيء من ذلك وأخبر الرسول ﷺ أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يصفقون ولا يتمخطون ، وانه يخرج منهم مثل رشح المسك وأنهم يجامعون بذكر لا يخفى وشهوة لا تنقطع ولا منى واذا اشتبه أحدهم الولد كان حمله ووضع في زمن يسير فقد تضمن تنزيه نفسه عن أن يكون له ولد يخرج منه شيء من الاشياء كما يخرج من غيره من المخلوقات وهذا أيضا من تمام معنى الصمد كما سبق في تفسيره انه الذي لا يخرج منه شيء وكذلك تنزيه نفسه عن أن

يولد فلا يكون من مثله تنزيه له أن يكون من سائر المواد بطريق الأولى
والأخرى وقد تقدم في حديث أبي بن كعب أنه ليس شيء يولد إلا سموت
وليس شيء يموت إلا يورث ، والله تعالى لا يموت ولا يورث وهذا رد لقول
اليهود بمن ورث الدنيا ولمن يورثها وكذلك ما نقل من سؤال النصارى
صف لنا ربك من أي شيء هو فقال النبي ﷺ : ان ربي ليس من شيء
وهو بائن من الأشياء ، وكذلك سؤال المشركين واليهود أمن فضة هو
أم من ذهب هو أم من حديد؟ وذلك لأن هؤلاء عهدوا الآلهة التي يعبدونها
من دون الله يكون لها مواد صارت منها لعباد الاوثان تكون أصنامهم من
ذهب وفضة وحديد وغير ذلك وعباد البشر سواء كان البشر لم يأمروهم
بعبادتهم أو أمروهم بعبادتهم كالذين يعبدون المسيح وعزيرا وكقوم فرعون
الذين قال لهم أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من اله غيري وقال لموسى لئن
اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين ، وكذلك آتاه الله نصيبا من
الملك الذي حاج إبراهيم في ربه إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال
أنا حيي وأميت ، وكالرجل الذي يدعى الهية وماسن خلق آدم الى قيام
الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال ، كالذين قالوا (لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وقد قال غير واحد من السلف
ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا فيهم فلما ماتوا كفوا على قبورهم ثم صوروا
تماثيلهم فعبدهم وذلك أول ما عبدت الأصنام وان هذه الأصنام صارت
الى العرب وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال صارت
الاوثان التي في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل
وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراء ثم لبني غطفان بالجوف
عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع

أسماء رجال صالحين من قوم نوح قتلوا هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان
انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم
تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت ، ونوح أقام في قومه ألف سنة
الاخمسین عاما يدعوهم الى التوحيد وهو أول رسول بعثه الله الى أهل
الارض كما ثبت ذلك في الصحيح ومحمد خاتم الرسل وكلا المرسلين بعث
الى مشركين يعبدون هذه الاصنام التي صورت على صورة الصالحين من
البشر والمقصود بعبادتها عبادة أولئك الصالحين ، وكذلك المشركون من
أهل الكتاب ومن مبتدعة هذه الامة وضلالها هذا غاية شرکهم فان النصارى
يصورون في الكنائس صور من يعظمونه من الانس غير عيسى وأمه
مثل مارجرجس وغيره من القناديس ويعبدون تلك الصور ويسألونها
ويدعونها ويقربون لها القرابين وينذرون لها التذور ويقولون هذه نذكرنا
بأولئك الصالحين والشياطين تضلهم لما كانت تضل المشركين تارة يان
يتمثل الشيطان في صورة ذلك الشخص الذي يدعى ويعبد فيظن داعيه انه
قد أتى ويظن ان الله صور ملكا على صورته فان النصراني مثلا يدعو في
الأسر وغيره مارجرجس أو غيره فيراه قد أتاه في الهواء وكذلك غيره
وقد سألوا بعض بطارقتهم عن هذا كيف يوجد في هذه الامة من فقال هذه
ملائكة يخلقهم الله على صورته تغيب عن يدعوه وانما تلك شياطين
أضلت المشركين .

وهكذا يحسب كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين الى
هذه الامة فان أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت أو
يستغيث به عند قبره ويسأله وقد ينذرله نذرا ونحو ذلك ويرى ذلك الشخص
قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره أو كلمه ببعض ماسأله عنه ونحو

ذلك فيظنه الشيخ نفسه أتى أن كان حيا حتى أتى أعرف من هؤلاء
 جماعات يأتون إلى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به وقد رأوه أتاهاهم في الهواء
 فيذكرون ذلك له هؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ هؤلاء يأتون إلى هذا
 الشيخ ، فتارة يكون الشيخ نفسه لم يعلم بتلك القضية فإن كان يحب الرياسة
 سكت وأوهم أنه نفسه أتاهاهم وأغاثهم وأن كان فيه صدق مع جهل وضلال
 قال: هذا ملك صوره الله على صورتي وجعل هذا من كرامات الصالحين
 وجعله عمدة لمن يستغيث بالصالحين ومتخذهم أربابا وانهم إذا استغاثوا
 بهم بعث الله ملائكة على صورهم تغيث المستغيث بهم ولهذا أعرف غير
 واحد من الشيوخ الأكابر الذين فيهم صدق وزهد وعباد لما ظنوا هذا
 من كرامات الصالحين صار أحدهم بوصى مریده يقول إذا كانت لأحدهم
 حاجة فليستغث بي ويستجدني ويستوصي ويقول: أنا أفعل بعد موتي
 ما كنت أفعل في حياتي وهو لا يعرف أن تلك شياطين تصورت على صورته
 لتضلّه وتضل أتباعه فتحسن لهم الإشراف بالله ودعاء غير الله والاستغاثة
 بغير الله وإنما قد تلقى في قلبه أنا نفعل بعد موتك بأصحابك ما كنا نفعل
 بهم في حياتك فيظن هذا من خطاب الهى الذى ألقى إليه فيأمر أصحابه بذلك،
 وأعرف من هؤلاء من كان له شياطين تخدمه في حياته بأنواع الخدم مثل
 خطاب أصحابه المستغيثين به وأغاثهم وغير ذلك فلما مات صاروا يأتون
 أحدهم في صورة الشيخ ويشعرون أنه لم يموت ويرسلون إلى أصحابه
 رسائل بخطاب وقد كان يجتمع في بعض أتباع هذا الشيخ وكان فيه زهد
 وعبادة ولأن يحبني ويحب هذا الشيخ ويظن أن هذا من الكرامات
 وأن الشيخ لم يموت وذكر إلى الكلام الذى أرسله إليه بعد موته فقراء فاذا
 هو كلام الشياطين بعينه وقد ذكر لي غير واحد ممن أعرفهم أنهم استغاثوا

في فراوني في الهواء قد أتيتهم وخلصتهم من تلك الشدائد مثل من أحاط
 بهم النصارى الأرمين ليأخذوه وآخر قد أحاط به العدو ومعه كتب ملطقات
 من مناصحين لو اطلعوا على مامعه لقتلوه ونحو ذلك فذكرت لهم انى مادريت
 بما جرى أصلا وحلفت لهم حتى لا يظنوا انى كنت ذلك كما كنتم الكرامات
 وانا قد علمت أن الذى فعلوه ليس بمشروع بل هو شرك وبدعة تم تبين لى
 فيما بعد ويثبت لهم أن هذه شياطين تتصور على صورة المستغاث به
 وحكى لى غير واحد من أصحاب الشيوخ أنه جرى لمن استغاث بهم مثل ذلك
 وحكى خلق كثير أنهم استغاثوا بأحياء وأموات فأوأمثل ذلك واستفاض هذا
 حتى عرف أن هذا من الشياطين تغوى الانسار بحسب الامكان فال كان
 عن لا يعرف دين الاسلام أو قعته فى الشرك الظاهر والكفر المحض فأمرته
 أن لا يذكر الله وأن يسجد للشيطان ويذبح له وأمرته بأكل الميتة والدم
 وفعل الفواحش وهذا يجرى كثيرا فى بلاد الكفر المحض وبلاد فيها
 كفر واسلام ضعيف ويجرى فى بعض مدائن الاسلام فى المواضع التى
 يضعف إيمان أصحابها حتى قد جرى ذلك فى مصر والشام على أنواع يطول
 وصفها وهو فى أرض الشرق قبل ظهور الاسلام فى التار كثير جدا وكلما
 ظهر فيهم الاسلام وعرفوا حقيقة قلت آثار الشياطين فيهم وان كان مسلما
 يختار الفواحش والظلم اعانته على الظلم والفواحش وهذا كثير جدا
 أكثر من الذى قبله فى البلاد التى فى أهلها اسلام وجاهلية وبر وفجور
 وان كان الشيخ فيه اسلام وديانة ولكنه عنده قلة معرفة بحقيقة ما بعث
 الله به رسوله ﷺ وقد عرف من حيث الجملة أن لاولياء الله كرامات
 وهو لا يعرف كمال الولاية وانها الايمان والتقوى واتباع الرسول باطنا
 وظاهرا أو يعرف ذلك مجملا ولا يعرف من حقائق الايمان الباطن وشرائع

الاسلام الظاهرة ما يفرق به بين الاحوال الرحمانية وبين النفسانية والشيطنانية كما أن الرؤيا ثلاثة أقسام رؤيا من الله ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيراه في المنام ورؤيا من الشيطان فكذلك الاحوال فاذا كان عنده قلة معرفة بحقيقة دين محمد ﷺ أمرته الشياطين بأمر لا يندكره فتارة يحملون أحدهم في الهواء ويقفون به بعرفات ثم يعيدونه الى بلده وهو لا بس ثياب به لم يحرم حين حاذى المواقيت ولا كشف رأسه ولا تجرد عما يتجرد عنه المحرم ولا يدعونه بعد الوقوف يطوف طواف الافاضة ويرمي الجمار ويكمل حجه بل يظن أن مجرد الوقوف كما فعل به عبادة وهذا من قلة علمه بدين الاسلام ولو علم دين الاسلام لعلم أن هذا الذي فعله ليس عبادة لله والامن استحل هذا فهو مرتد يجب قتله بل اتفق المسلمون على أنه يجب الاحرام عند الميقات ولا يجوز للانسان المحرم اللبس في الاحرام الامن عذر ، وأنه لا يكتفى بالوقوف بل لابد من طواف الافاضة باتفاق المسلمين بل وعليه أن يفيض الى المشعر الحرام ويرمي جرة العقبة وهذا مما تنوزع فيه مل هور كن أو واجب يحبره دم، وعليه أيضا رمي الجمار أيام منى باتفاق المسلمين وقد تحمل أحدهم الجن فتزوره بيت المقدس وغيره وتطير به في الهواء وتمشي به في الماء وقد تربه انه قد ذهب به الى مدينة الأولياء وربما ارته انه يأكل من ثمار الجنة ويشرب من أنهارها وهذا كله وامثاله مما اعرفه قد وقع لمن اعرفه لكن هذا باب طويل ليس هذا موضع بسطه وانما المقصود ان اصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين وعبدوا تماثيلهم وهم المقصودون ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب اما الشمس واما القمر واما غيرهما وصور الأصنام طلاس لتلك الكواكب، وشرك قوم ابراهيم والله أعلم كان من هذا أو كان بعضه من هذا ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة

أو الجن وضعت الأصنام لأجلهم والافنفس الاصنام الجنادية لم تعبد لذاتها بل لأسباب اقتضت ذلك وشرك العرب كان أعظمه الأول وكان فيه من الجميع فان عمرو بن لحي هو أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وكان قد أتى الشام ورآهم بالبقاء لهم أصنام يستجلبون بها المنافع ويدفعون بها المضار فصنع مثل ذلك في مكة لما كانت خراة ولالة البيت قبل قريش وكان هو سيد خراة، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال «رأيت عمرو بن لحي ابن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار اى امعاه» وهو اول من غير دين ابراهيم وسيب السوائب وبحر البهيرة وكذلك والله أعلم شرك قوم نوح وان كان مبدؤه من عبادة الصالحين فالشيطان يجر الناس من هذا الى غيره لكن هذا أقرب الى الناس لانهم يعرفون الرجل الصالح ويركته ودعاه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك منه فتارة يسألونه وتارة يسألون الله به ويدعون عند قبره ظانين أن الصلاة والدعاء عند قبره أفضل منه في المساجد والبيوت» ولما كان هذا مبدء الشرك سد النبي ﷺ هذا الباب كما سد باب الشرك بالكواكب، ففى صحيح مسلم عنه أنه قال قبل ان يموت بخمس وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك» وفي الصحيحين عنه أنه ﷺ ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسناتها وتساوير فيها فقال «ان أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة» وفي الصحيحين عنه أنه قال ﷺ في مرض موته «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا» قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً، وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه أنه قال ﷺ «ان من شرار الناس من تدرهم الساعة

وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» وفي سنن أبي داود وغيره عنه أنه قال ﷺ «لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا على حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني» هـ
وفي موطأ مالك عنه أنه قال ﷺ «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أمرني أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثلاً إلا طمسته فأمره بمحو التمثالين الصورة الممثلة على صورة الميت والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره فان الشرك يحصل بهذا وبهذا *

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في سفر فرأى قوماً يتناوبون مكاناً للصلاة فقال ما هذا فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله ﷺ فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا انهم اتخذوا آثار انبيائهم مساجد من أدر كنه الصلاة فليصل والا فليعض، وبلغه أن قوماً يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي ﷺ أصحابه تحتها فأمر بقطعها وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بتسريح قبر دانيال وعنده مصحف فيه أخبار ما سيكون وأنهم اذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً ويدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يقتلوا به، فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يبين عليها مسجداً كان بناء المساجد عليها أعظم هـ
كذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وان كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك انما يحصل اذا ظهرت صورته ولهذا كان مسجد النبي ﷺ أو لا مقبرة للمشركين وفيها نخل وخرب فأمر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطع وبالخرب فسويت فخرج عن أن يكون مقبرة فصار مسجداً *

ولما كان اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها محرما ولم يكن
 شيء من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم باحسان ولم يكن يعرف قط
 مسجد على قبر وكان الخليل عليه السلام في المغارة التي دفن فيها وهي مسدودة
 لا أحد يدخل اليها ولا تشد الصحابة الرحال لآلِهِ ولا إلى غيره من المقابر
 لأن في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن
 النبي ﷺ أنه قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام
 والمسجد الأقصى ومسجدى هذا» فكان يأتي من يأتي منهم إلى المسجد
 الأقصى يصلون فيه ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ولا غيرها وكانت
 مغارة الخليل مسدودة حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة
 الرابعة ففتحوا الباب وجعلوا ذلك المكان كنيسة ثم لما فتح المسلمون
 البلاد اتخذ بعض الناس مسجدا وأهل العلم ينكرون ذلك والذي يرويه
 بعضهم في حديث الاسراء أنه قيل للنبي ﷺ هذه طيبة أنزل فصل فنزل
 فصلى هذا مكان إيك أنزل فصل كذب موضوع لم يصل النبي ﷺ
 تلك الليلة إلا في المسجد الأقصى خاصة كما ثبت ذلك في الصحيح ولا نزل إلا فيه
 ولهذا لما قد الشام من الصحابة من لا يحصى عددهم إلا الله وقدمها
 عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وبعد فتح الشام لما صالح النصارى
 على الجزية وشرط عليهم الشروط المعروفة وقدمها مرة ثالثة حتى وصل
 إلى سرخ ومعه الدابر السابقين الأولين من المهاجرين والانصار فلم يذهب
 أحد منهم إلى مغارة الخليل ولا غيرها من آثار الأنبياء التي بالشام لا بيت
 المقدس ولا بدمشق ولا غير ذلك مثل الآثار الثلاثة التي يجبل قاسيون في
 غربة الربوة المضافة إلى عيسى عليه السلام وفي شرقية المقام المضاف إلى
 الخليل عليه السلام وفي وسطه واعلاه مغارة الدم المضافة إلى هائل لما قتله

قاييل ، فهذه البقاع وامثالها لم يكن السابقون الاولون يقصدونها ولا يزورونها ولا يرجون منها بركة فانها محل الشرك ولهذا توجد فيها الشياطين كثيرا وقد رآهم غير واحد على صورة الانس ويقولون لهم رجال الغيب يظنون انهم رجال من الانس غائبين عن الابصار وانما هم جن والجن يسمون رجالا لما قال الله تعالى : (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) والانس سموا انسا لانهم يؤنسون اى يبرون كما قال (انى آنست نارا) اى رايتها ، والجن سموا جنا لاجتنانهم يجتئون عن الابصار اى يستترون كما قال تعالى : (فلما جن عليه الليل) اى استولى عليه فغطاه وستره ، وليس احد من الانس يستر دائما عن ابصار الانس وانما يقع هذا لبعض الانس في بعض الاحوال تارة على وجه الكرامة له وتارة يكون من باب السحر وعمل الشياطين ، ولبسط الكلام على الفرق بين هذا وبين هذا موضع آخر ، والمقصود ههنا ان الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يبنوا قط على قبر نبي ولا رجل صالح مسجدا ولا جعلوه مشهدا ومزارا ولا على شئ من آثار الانبياء مثل مكان نزل فيه أو صلى فيه أو فعل فيه شيئا من ذلك لم يكونوا يقصدون بناء مسجد لاجل آثار الانبياء والصالحين ولم يكن جمهورهم يقصدون الصلاة في مكان لم يقصد الرسول الصلاة فيه بل نزل فيه أو صلى فيه اتفاقا بل كان أئمتهم كعمر بن الخطاب وغيره ينهى عن قصد الصلاة في مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفاقا لا قصدا وانما نقل عن ابن عمر خاصة انه كان يتحرى أن يسير حيث سار رسول الله ﷺ وينزل حيث نزل ويصلى حيث صلى وان كان النبي ﷺ لم يقصد تلك البقعة لذلك الفعل بل حصل اتفاقا وكان ابن عمر رضى الله عنهما رجلا صالحا شديدا الاتباع فرأى هذامن الاتباع

وأما أبوه وسائر الصحابة من الخلفاء الراشدين عثمان وعلي وسائر العشرة وغيرهم مثل ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب فلم يكونوا يفعلون ما فعل ابن عمر وقول الجمهور أصح وذلك أن المتابعة أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل لاجل أنه فعل فاذا قصد الصلاة والعبادة في مكان معين كان قصد الصلاة والعبادة في ذلك المكان متابعة له وأما إذا لم يقصد تلك البقعة فإن قصدها يكون مخالفة لا متابعة له مثال الأول لما قصد الوقوف والذكر والدعاء بعرفة ومزدلفة وبين الجمرتين كان قصد تلك البقاع متابعة له وكذلك لما طاف وصلى خلف المقام ركعتين كان فعل ذلك متابعة له وكذلك لما صعد على الصفا والمروة للذكر والدعاء كان قصد ذلك متابعة له وقد كان سلمة بن الأكوع يتحرى الصلاة عند الاسطوانة قال لاني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها فلما رآه يقصد تلك البقعة لاجل الصلاة كان ذلك القصد للصلاة متابعة وكذلك لما أراد عثمان ومالك أن يبني مسجدا لما عني فأرسل الرسول الله ﷺ قال له اني أحب أن تأتيني تصلي في منزلي فاتخذته مصلى وفي رواية فقال تعالى نخط لي مسجدا فأتي النبي ﷺ ومن شاء من أصحابه وفي رواية ففدا على رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار فاستأذن رسول الله ﷺ فاذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت فقال أين تحب أن أصلي من بيتك فاشرت له الى ناحية من البيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم الحديث *

فانه قصد أن يبني مسجدا وأحب أن يكون أول من يصلي فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأن يبنيه في الموضع الذي صلى فيه فالقصد كان بناء المسجد وأراد أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم في المكان الذي يبنيه

فكانت الصلاة مقصودة لاجل المسجد لم يكن بناء المسجد مقصودا لاجل كونه صلى فيه اتفاقا ، وهذا المكان مكان قصد النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه ليكون مسجدا فصار قصد الصلاة فيه متابعة له بخلاف ما اتفق انه صلى فيه بغير قصد وكذلك قصد يوم الاثنين والخميس بالصوم متابعة لانه قصد صوم هذين اليومين ، وقال في الحديث الصحيح انه تفتح أبواب الجنة في كل خميس واثنين فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا ، وكذلك قصد اتيانه مسجد قباء متابعة له فانه قد ثبت عنه في الصحيحين انه كان يأتي قباء كل سبت راكبا وماشيا وذلك ان الله أنزل عليه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم احق أن تقوم فيه) وكان مسجده هو الاحق بهذا الوصف ، وقد ثبت في الصحيح انه سئل عن المسجد المؤسس على التقوى فقال هو مسجدى هذا يريد انه اكمل في هذا الوصف من مسجد قباء ومسجد قباء أيضا أسس على التقوى وبسببه الآية ولهذا قال (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وكان أحل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء تعلقوا ذلك من جيرانهم اليهود ولم تكن العرب تفعل ذلك فاراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لا يظن ظان ان ذاك هو الذى أسس على التقوى دون مسجده فذكر ان مسجده احق بان يكون هو المؤسس على التقوى فقوله لمسجد أسس على التقوى يتناول مسجده ومسجد قباء ويتناول كل مسجد أسس على التقوى بخلاف مساجد الضرار ولهذا كان السلف يكرهون الصلاة فيها يشبه ذلك ويرون العتيق أفضل من الجديد لان العتيق أبعد عن أن يكون بنى ضرارا من الجديد الذى يخاف ذلك فيه وعق المسجد بما محمد به ولهذا قال (ثم محلها إلى البيت العتيق) وقال (ان أول بيت وضع للناس

للذي بيكه) فان قدمه يقتضى كثرة العبادة فيه ايضاً وذلك يقتضى زيادة
 فضله ولهذا لم يستحب علماء السلف من اهل المدينة وغيرها قصد شئ من
 المساجد والمزارات التى بالمدينة وما حوطا بعدمسجد النبى صلى الله عليه وآله
 وسلم الا مسجد قباء لان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يقصد مسجداً بعينه
 يذهب اليه هو ، وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة لكل قبيلة من الانصار
 مسجد لكن ليس فى قصده دون امثاله فضيلة بخلاف مسجدى قباء فانه
 اول مسجد بنى بالمدينة على الاطلاق وقد قصده الرسول بالذهاب اليه
 وصح عنه عليه السلام أنه قال «من توضأ فى بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا
 الصلاة فيه كان كعمرة» ومع هذا فلا يسافر اليه لكن اذا كان الانسان
 بالمدينة أتاه ولا يقصد انشاء السفر اليه بل يقصد انشاء السفر الى المساجد
 الثلاثة لقوله عليه السلام «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد
 الاقصى ومسجدى هذا» ولهذا لو نذر السفر الى مسجد قباء لم يوف بنذره
 عند الائمة الاربعة وغيرهم بخلاف المسجد الحرام فانه يجب الوفاء بالنذر
 اليه باتفاقهم ، وكذلك مسجد المدينة وبيت المقدس فى أصح قولهم وهو
 مذهب مالك وأحمد والشافعى فى أحد قوله وفى الآخر وهو قول أبى حنيفة
 ليس عليه ذلك لكنه جائز ومستحب لان من أصله انه لا يجب بالنذر الا
 ما كان واجبا بالشرع والا كثرون يقولون يجب بالنذر كل ما كان طاعة لله
 كما ثبت فى صحيح البخارى عن عائشة عن النبى عليه السلام أنه قال «من نذر أن
 يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه» ويستحب زيارة قبور
 البقيع وشهداء أحد للدعاء لهم والاستغفار لان النبى عليه السلام كان يقصد ذلك
 مع ان هذا مشروع لجميع موتى المسلمين كما يستحب السلام عليهم والدعاء
 لهم والاستغفار وزيارة القبور بهذا القصد مستحبة وسواء فى ذلك قبور

الانبياء والصالحين وغيرهم ، وكان عبد الله بن عمر اذا دخل المسجد يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابي ثم ينصرفه وأما زيارة قبور الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم أو دعائهم والاقسام بهم على الله أو ظن أن الدعاء أو الصلاة عند قبورهم أفضل منه في المساجد والبيوت فهذا ضلال وشرك وبدعة باتفاق أئمة المسلمين ولم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك ولا كانوا اذا سلموا على النبي ﷺ يقفون يدعون لانفسهم ، ولهذا كره ذلك مالك وغيره من العلماء لانها من البدع التي لم يفعلها السلف ، واتفق العلماء الاربعة وغيرهم من السلف على أنه اذا أراد أن يدعو يستقبل القبلة ولا يستقبل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأما اذا سلم عليه فأكثرهم قالوا يستقبل القبر قاله مالك والشافعي وأحمد ، وقال أبو حنيفة: بل يستقبل القبلة أيضا ويكون القبر عن يساره وقيل بل يستدبر القبلة .

ومما يبين هذا الاصل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر هو وأبو بكر ذهبا الى الغار الذي بجبل ثور ولم يكن على طريقهما بالمدينة فانه من ناحية اليمن والمدينة من ناحية الشام ولكن اختبا فيه ثلاثا لينقطع خبرهما عن المشركين فلا يعرفون أين ذهبا فان المشركين كانوا طالبيين لهما وقد بذلوا في كل واحد منهما دية لمن يأتي به وكانوا يقصدون منع النبي ﷺ أن يصل الى أصحابه بالمدينة وأن لا يخرج من مكة بل لما عجزوا عن قتله أرادوا حبسه بمكة فلو سلك الطريق ابتداء لادر كوه فأقام بالغار ثلاثا لاجل ذلك فلو أراد المسافر من مكة الى المدينة أن يذهب الى الغار ثم يرجع لم يكن ذلك مستحبابا لمكروها والنبي ﷺ في الهجرة سلك طريق الساحل وهي طويلة وفيها دورة وأما في عمره وحجته فكان يسلك الوسط

وهو أقرب الى مكة فسلك في الهجرة طريق الساحل لأنها كانت أبعد عن قصد المشركين فان الطريق الوسطى كانت أقرب إلى المدينة فيظنون انه سلكها لما كان اذا أراد غزوة ورى بغيرها وهو صلى الله عليه وآله وسلم لما قسم غنائم حنين بالجعرانة اعتمر منها ولما صدده المشركون عن مكة حل بالحدبية وكان قد أنشأ الاحرام بالعمرة من ميقات المدينة ذى الحليفة، ولما اعتمر من العام القابل عمرة القضية اعتمر من ذى الحليفة ولم يدخل الكعبة في عمره ولا حجه وإنما دخلها عام الفتح وكان بها صور مصورة فلم يدخلها حتى بحيث تلك الصور وصلى بها ركعتين وصلى يوم الفتح ثمان ركعات وقت الضحى كما روت أم هانئ. ولكن لم يقصد الصلاة وقت الضحى الالسبب مثل أن يقدم من سفر فيدخل المسجد فيصل في ركعتين ومثل أن يشغله نوم أو مرض عن قيام الليل فيصل بالنهار ثنتي عشرة ركعة وكان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة فصل في ثنتي عشرة ركعة شفعا لفوات وقت الوتر فانه صلى الله عليه وسلم قال المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل، وقال اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتر أو قال صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بر كعة. و والمأثور عن السلف أنهم اذا ناموا عن الوتر كانوا يوترون قبل صلاة الفجر ولا يؤخرونه الى ما بعد الصلاة وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط وانى لا سبحةا وان كان ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرص عليهم وقد ثبت عنه في الصحيح انه أوصى بر كعتي الضحى لأبي هريرة ولأبي الدرداء وفيها أحاديث لكن صلاته ثمان ركعات يوم الفتح جعلها بعض العلماء صلاة الضحى *

وقال آخرون : لم يصلها الا يوم الفتح فعلم انه صلاها لاجل الفتح

وكانوا يستحبون عند فتح مدينة أن يصلي الامام ثمانى ركعات شكرا لله
ويسمونها صلاة الفتح قالوا لان الاتباع يعتبر فيه القصد والنبي ﷺ لم
يقصد الصلاة لاجل الوقت ولو قصد ذلك لصلى كل يوم أو غالب الايام
كما كان يصلى ركعتي الفجر كل يوم وكذلك كان يصلى بعد الظهر ركعتين
وقبلها ركعتين أو أربعاً ولما فاتته الركعتان بعد الظهر قضاها بعد العصر
وهو صلى الله عليه وآله وسلم لما نام هو وأصحابه عن صلاة الفجر في غزوة
خير فصلوا بعد طلوع الشمس ركعتين ثم ركعتين لم يقل أحد ان هذه
الصلاة في هذا الوقت سنة دائماً لانهم انما صلوها قضاء لكونهم ناموا
عن الصلاة ولما فاتته العصر في بعض أيام الحندق فصلها بعد ما غربت
الشمس، وروى أن الظهر فاتته أيضاً فصلى الظهر ثم العصر ثم المغرب لم
يقول أحد أنه يستحب أن يصلى بين العشاءين احد عشر ركعة لأن ذلك
كان قضاء بل ولا تقل عنه أحد انه خص ما بين العشاءين بصلاة، وقوله
تعالى : (ناشئة الليل) عند أكثر العلماء هو اذا قام الرجل بعد نوم ليس
هو أول الليل وهذا هو الصواب لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هكذا
كان يصلى بالليل والأحاديث بذلك متواترة عنه كان يقوم بعد النوم لم يكن
يقوم بين العشاءين ولذلك أكله ما كان يجد من الطعام ولبسه الذى يوجد
بمدينته طيبة مخلوقا فيها ومجلوبا اليها من اليمن وغيرها لانه هو الذى يسره
الله له فأكله التمر وخبز الشعير وفاكهته الرطب والبطيخ الأخضر والقضاء،
ولبس ثياب اليمن لان ذلك هو كان الميسر فى بلده من الطعام والثياب
لألخصوص ذلك فمن كان يولد آخر وقوتهم البر والذرة وفاكهتهم العنب
الرمان ونحو ذلك وثيابهم مما ينسج بغير اليمن لم يكن اذا قصد أن يتكلف
من القوت والفاكهة واللباس ما ليس فى بلده بل يتعسر عليهم متبعاً للرسول

ﷺ وان كان ذلك الذى يتكلمة تمرا أو رطباً أو خبز شعير فعلم أنه لا بد
 فى المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم من اعتبار القصد والنية وقائما الاعمال
 بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فعلم أن الذى عليه جمهور الصحابة
 وأكابرهم هو الصحيح ومع هذا فإن عمر رضى الله عنهما لم يكن يقصد
 أن يصلى الا فى مكان صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصد
 الى الصلاة فى موضع نزوله ومقامه ولا كان أحد من الصحابة يذهب
 الى الغار المذكور فى القرآن للزيارة والصلاة فيه وان كان النبي صلى
 الله عليه وسلم وصاحبه أقاما به ثلاثا يصلون فيه الصلوات الخمس ولا كانوا
 أيضاً يذهبون الى حراء وهو المكان الذى كان يتعبد فيه قبل النبوة وفيه
 نزل عليه الوحي أولا وكان هذا مكان يتعبدون فيه قبل الاسلام فان حراء أعلى
 جبل كان هناك فلما جاء الاسلام ذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة
 مرات بعد ان أقام بها قبل الهجرة بضعة عشرة سنة ومع هذا فلم يكن هو
 ولا أصحابه يذهبون الى حراء

ولما حج النبي صلى الله عليه وسلم استلم الركنتين اليمانيين ولم يستلم
 الشاميين لانهما لم يبنيا على قواعد ابراهيم فان أكثر الحجر من البيت
 والحجر الاسود استلمه وقبله واليماني استلمه ولم يقبله وصلى بمقام ابراهيم
 ولم يستلمه ولم يقبله فدل ذلك على ان الشمس بحيطان الكعبة غير
 الركنتين اليمانيين وتقبيل شيء منها غير الحجر الاسود ليس بسنة ودل على
 ان استلام مقام ابراهيم وتقبيله ليس بسنة واذا كان هذا نفس الكعبة
 ونفس مقام ابراهيم بها فمعلوم ان جميع المساجد حرمتهادون الكعبة وان
 مقام ابراهيم بالشام وغيره سائر مقامات الانبياء دون المقام الذى قال
 الله فيه : (واخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فعلم ان سائر المقامات لا تقصد

للصلاة فيها فلا يجزى الى سائر المشاهد ولا يتمسح بها ولا يقبل شيء من
مقامات الأنبياء ولا المساجد ولا الصخرة ولا غيرها ولا يقبل وجه الأرض
الا الحجر الأسود ، وايضا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصل بمسجد
بمسكة الا المسجد الحرام ولم يأت للعبادات الى المشاعر منى ومزدلفة
وعرفة فلهذا كان أئمة العلماء على أنه لا يستحب أن يقصد مسجدا بمسكة للصلاة
غير المسجد الحرام ولا تقصد بقعة للزيارة غير المشاعر التي قصدتها رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا كان هذا في آثارهم فكيف بالمقابر
التي لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذها مساجد وأخبر أنهم
شرار الخلق يوم القيامة . ودين الاسلام انه لا تقصد بقعة للصلاة الا
أن تكون مسجدا فقط ولهذا مشاعر الحج غير المسجد الحرام تقصد للنسك
لا للصلاة فلا صلاة بعرفة وانما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظهر
والعصر يوم عرفة بعرفة خطب بها ثم صلى ثم بعد الصلاة ذهب الى
عرفات فوقف بها ، وكذلك يذكر الله ويدعى بعرفات ومزدلفة على قرح
وبالصفا والمروة وبين الجمرات وعند الرمي ولا تقصد هذه البقاع للصلاة
وأما غير المساجد ومشاعر الحج فلا تقصد بقعة للصلاة ولا للذكر ولا
للدعاء بل يصلى المسلم حيث أدركته الصلاة الا حيث نهى ويذكر الله
ويدعوه حيث تيسر من غير تخصيص بقعة بذلك واذا اتخذ بقعة لذلك
كالمشاهد نهى عن ذلك كما نهى عن الصلاة في المقبرة الا ما يفعله الرجل
عند السلام على الميت من الدعاء له وللسلمين كما يفعل مثل ذلك في الصلاة
على الجنائز فان زيارة قبر المؤمن من جنس الصلاة على جنازته يفعل
في هذا من جنس ما يفعل في هذا ويقصد بالدعاء هنا ما يقصد بالدعاء هنا *
وما يشبه هذا ان الانصار يابعون النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بالوادى

الذي وراء جرة العقبة لانه مكان منخفض قريب من منى يستر من فيه فان
السبعين الانصار نوا قد حجوا مع قومهم المشركين وما زال الناس يحجون الى
مكة قبل الاسلام وبعده فجاء مع قومهم الى منى لاجل الحج ثم ذهبوا بالليل
الى ذلك المسكان لقربه وستره لالفضيلة فيه ولم يقصدوه لفضيلة تخصه بعينه
ولهذا لما حج النبي صلى الله عليه وسلم هو واصحابه لم يذهبوا اليه ولا زاروه وقد
بنى هناك مسجد وهو محدث وكل مسجد بمكة وما حولها غير المسجد الحرام
فهو محدث ومنى نفسها لم يكن بها على عهد النبي ﷺ مسجد مبني ولكن
قال منى مناخ لمن سبق فنزل بها المسلمون وكان يصلي بالمسلمين بمنى وغير
منى وكذلك خلفاؤه من بعده واجتماع الحجاج بمنى أكثر من اجتماعهم
بغيرها فانهم يقيمون بها أربعاً وكان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر يصلون
بالناس بمنى وغير منى وكانوا يقصرون الصلاة بمنى وعرفة ومزدلفة ويجمعون
بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بمزدلفة ويصلي بصلاتهم جميع
الحجاج من أهل مكة وغير أهل مكة كلهم يقصرون الصلاة بالمشاعر وطهم
يجمعون بعرفة ومزدلفة (وقد تنازع العلماء) في أهل مكة ونحوهم هل يقصرون
أو يجمعون فقل لا يقصرون ولا يجمعون لما يقول ذلك من يقول من أصحاب
الشافعي وأحمد وقيل يجمعون ولا يقصرون لما يقول ذلك أبو حنيفة وأحمد
ومن وافقه من أصحابه وأصحاب الشافعي وقيل يجمعون ويقصرون كما
قال ذلك مالك وابن عيينة واسحق بن راهويه وبعض أصحاب أحمد وغيرهم
وهذا هو الصواب بلا ريب فانه الذي فعله أهل مكة خلف النبي ﷺ
بلا ريب ولم يقل النبي ﷺ قط ولا أبو بكر ولا عمر بمنى ولا عرفة ولا
مزدلفة يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر ولكن ثبت ان عمر قال
ذلك في جوف مكة وكذلك في السنن عن النبي ﷺ أنه قال ذلك في

جوف مكة في غزوة الفتح وهذا من أقوى الأدلة على أن القصر مشروع لكل مسافر ولو كان سفره بريداً فإن عرفة من مكة برید أربع فراسخ ولم يصل النبي ﷺ ولا خلفاؤه بمكة صلاة عيد بل ولا صلى في أسفاره قط صلاة العيد ولا صلى بهم في أسفاره صلاة الجمعة يخطب ثم يصلي ركعتين بل كان يصلي يوم الجمعة في السفر ركعتين كما يصلي في سائر الأيام * وكذلك لما صلى بهم الظاهر والعصر بعرفة صلى ركعتين كصلاته في سائر الأيام ولم ينقل أحد أنه جهر بالقراءة يوم الجمعة في السفر لا بعرفة ولا بغيرها ولا أنه خطب بعرفة يوم الجمعة في السفر فلم أن الصواب ما عليه سلف الأمة وجهاهيرها من الأئمة الأربعة وغيرهم من أن المسافر لا يصلي الجمعة ولا غيرها وجمهورهم أيضا على أنه لا يصلي عيدا وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين وهذا هو الصواب أيضا فإن النبي ﷺ وخلفاءه لم يكونوا يصلون العيد إلا في المقام لا في السفر ولم يكن يصلي صلاة العيد إلا في مكان واحد مع الإمام يخرج بهم إلى الصحراء فيصلون هناك فيصلون المسلمون كلهم خلفه صلاة العيد كما يصلون الجمعة ولم يكن أحدهم من المسلمين يصلي صلاة عيد في مسجد قبيلة ولا بيته كما لم يكونوا يصلون الجمعة في مساجد القبائل ولا كان أحد منهم بمكة يوم النحر يصلي صلاة عيد على عهد النبي ﷺ وخلفائه بل عيدهم بمنى بعد إفاضتهم من المشعر الحرام ورمى جمرة العقبة لهم لصلاة العيد لسائر أهل الأمصار يرمون ثم ينحرون والنبي صلى الله عليه وسلم لما أفاض من منى نزل بالمحصب فاختلف أصحابه هل التحصيب سنة لا اختلافهم في قصده هل قصد النزول به أو نزل به لأنه كان أسمع لخروجه * وهذا مما يبين أن المقاصد كانت معتبرة عندهم في المتابعة ولما اعتمر عمرة القضية وكانت مكة مع المشركين لم تقنح بعد وكان المشركون

قد قالوا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم يثرب وقعد المشركون خلف قعيقعان وهو جبل المروية ينظرون اليهم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا ثلاثة أشواط من الطواف ليرى المشركين جلدتهم وقوتهم وروى أنه دعا لمن فعل ذلك ولم يرملوا بين الركنين لأن المشركين لم يكونوا يرونهم من ذلك الجانب فكان المقصود بالرمل اذ ذلك من جنس المقصود بالجهاد فظن بعض المتقدمين أنه ليس من النسك لأنه فعل لقصد وزال لكن ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما حجوا رملوا من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود فكمّلوا رمل بين الركنين وهذا قدر زائد على ما فعلوه في عمرة القضية وفعل ذلك في حجة الوداع مع الامن العام فانه لم يحج معه الا مؤمن فدل ذلك على ان الرمل صار من سنة الحج فانه فعل أولا لمقصود الجهاد ثم شرع نسكا كما روى في سمي هاجر وفي رمي الجمار وفي ذبح الكبش انه فعل أولا لمقصود ثم شرعه الله نسكا وعبادة لكن هذا يكون اذا شرع الله ذلك وأمر به وليس لاحد أن يشرع ما لم يشرعه الله كما لو قال قائل أنا أستحب الطواف بالصخرة سبعا كما يطاف بالكعبة أو أستحب ان اتخذ من مقام موسى وعيسى مصلى كما أمر الله أن يتخذ من مقام ابراهيم مصلى ونحو ذلك لم يكن له ذلك لأن الله تعالى يختص ما يختصه من الاعيان والافعال بأحكام تخصه يمتنع معها قياس غيره عاياه اما المعنى يختص به لا يوجد بغيره على قول أكثر أهل العلم وأما لمحض تخصيص المشيئة على قول بعضهم كما خص الكعبة بان يحج اليها ويطاف بها ولما خص عرفات بالوقوف بها ولما خص منى برمي الجاربها ولما خص الاشهر الحرم بتحريمها وكما خص شهر رمضان بصيامه وقيامه الى أمثال ذلك و ابراهيم ومحمد كل منهما خليل الله فانه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أن الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقد ثبت في

الصحيح أن رجلاً قال للنبي ﷺ يا خير البرية قال ذاك إبراهيم فأبراهيم
أفضل الخلق بعد محمد ﷺ وقوله ذاك إبراهيم تواضع منه فإنه قد ثبت
عنه ﷺ في الصحيح أنه قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم فمن دونه تحت
لوائى يوم القيامة ولا فخر، إلى غير ذلك من النصوص المينة أنه أفضل الخلق
وأكرمهم على ربه، وإبراهيم هو الامام الذى قال الله فيه: (إني جاعلك
للناس اماماً) وهو الأمة أى القدوة الذى قال الله فيه: (إن إبراهيم كان أمة
قانتاً لله حنيفاً) وهو الذى بوأه الله مكان البيت وأمره أن يؤذن فى الناس
بالحج إليه وقد حرم الله الحرم على لسانه وأسمعه نبأه معه وهو الذبيح
الذى بذل نفسه لله وصبر على المحنة كما بينا ذلك بالدلائل الكثيرة فى غير
هذا الموضع وأمه هاجر هى التى أطاعت الله ورسوله إبراهيم فى مقامها
مع ابنها فى ذلك الوادى الذى لم يكن به أنيس كما قال الخليل: (ربنا انى
استكنت من ذريتى بوادى غير ذى زرع عند بيتك المحرم) وكان لإبراهيم وآل
إبراهيم من محبة الله وعبادته والإيمان به وطاعته ما لم يكن لغيرهم فخصهم
الله بأن جعل لبيته الذى بنوه له خصائص لا توجد لغيره وجعل ما جعله
من أفعاله قدوة للناس وعبادة يتبعونها فيها ولا ريب أن الله شرع لإبراهيم
السعى ورمى الجار والوقوف بعرفات بعد ما كان من أمر هاجر وأسمعيل
وقصة الذبيح وغير ذلك ما كان كما شرع لمحمد الرمل فى الطواف حيث أمره
أن ينادى فى الناس بحج البيت والحج مبناه على الذل والخضوع لله ولهذا
خص باسم النسك والنسك فى اللغة العبادة ❁

قال الجوهري: النسك العبادة والناسك العابد وقد نسك وتنسك أى
تعبد ونسك بالضم أى صار ناسكاً ثم خص الحج باسم النسك لانه أدخل
فى العبادة والذل لله من غيره ولهذا كان فيه من الافعال ما لا يقصد فيه الا

بمجرد الذل لله والعبادة له فالسعى ورعى الجمار قال النبي ﷺ «انما جعل رمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة لاقامة ذكر الله» رواه الترمذى وخص بذلك الذبح الفداء أيضا دون مطلق الذبح لان اراقه الدم لله أبغ في الخضوع والعبادة له ولهذا كان من كان قبلنا لا يأكلون القربان بل تأتى نار من السماء فتأكله ولهذا قال تعالى: (الذين قالوا لنؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم تقتلتموه ان كنتم صادقين) وكذلك كانوا اذا غنموا غنيمة جمعوها ثم جاءت النار فأكلتها ليكون قتلهم محضا لله لا للمغرم ويكون ذبحهم عبادة محضة لله لا لاجل أكلهم وأمة محمد ﷺ وسع الله عليهم لكمال يقينهم واخلاصهم وانهم يقاتلون لله ولو أكلوا المغرم ويزبحون لله ولو أكلوا القربان ولهذا كان عباد الشيطان والاصنام يذبحون لها الذبائح أيضا فالذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له ولهذا لم يحز الذبح لغير الله ولا أن يسمى غير الله على الذبائح وحرم سبحانه ما ذبح على النصب وهو ما ذبح لغير الله وماسمى عليه غير اسم الله وان قصد به اللحم لا القربان ولعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذبح لغير الله ونهى عن ذبائح الجن وكانوا يذبحون للجن بل حرم الله ما لم يذكر اسم الله عليه مطلقا كما دل على ذلك الكتاب والسنة في غير موضع وقد قال تعالى: (فصل لربك وانحر) أى انحر لربك كما قال الخليل (ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) وقد قال هو واسماعيل اذ يرفعان القواعد من البيت (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا) فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها كما قال تعالى: (واكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه) وقال: (ولكل أمة جعلنا منسكا ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من

بهيمة الانعام) وقال: (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما قال تعالى: (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) فالمقصود تقوى القلوب لله وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والاخلاص وهذه مسألة ابراهيم الخليل وهذا كله مما يبين أن عبادة القلوب هي الاصل لما قال النبي ﷺ «ان في الجسد مضغة اذا صلحت صالح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب» والنية والقصد هي عمل القلب فلا بد في المتابعة للرسول ﷺ من اعتبار النية والقصد ومن هذا الباب ان النبي ﷺ لما احتجم وأمر بالحجامة وقال في الحديث الصحيح: شفاء أمتي في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وما أحب أن اكتبوى، كان معلوما ان المقصود بالحجامة اخراج الدم الزائد الذي يضر البدن فهذا هو المقصود وخص الحجامة لان البلاد الحارة يخرج الدم فيها الى سطح البدن فيخرج بالحجامة فلها كانت الحجامة في الحجاز ونحوه من البلاد الحارة يحصل بها مقصود استفراغ الدم وأما البلاد الباردة فالدم يغور فيها الى العروق فيحتاجون الى قطع العروق بالفصد وهذا أمر معروف بالحس والتجربة فانه في زمان البرد تسخن الاجواف وتبرد الظواهر لان شبيه الشيء منجذب اليه فاذا برد الهواء برد ما يلاقيه من الابدان والارض فيهرب الحر الذي فيها من البرد المضاد له الى الاجواف فيسخن باطن الارض واجواف الحيوان وبأوى الحيوان في الاكثان الدافية ولقوة الحرارة في باطن الانسان ياكل في الشتاء وفي البلاد الباردة اكثر مما يأكل في الصيف وفي البلاد الحارة لان الحرارة تطبخ الطعام وتصرفه ويكون الماء النافع في الشتاء سخنا لسخونة جوف الارض والدم سخن فيكون في جوف العروق لاني سطح الجلد فلو احتجم

لم ينفعه ذلك بل قد يضره وفي الصيف والبلاد الحارة تسخن الظواهر فتكون
البواطن باردة فلا ينهضم الطعام فيها كما ينهضم في الشتاء ويكون الماء النابع
بارداً لبرودة باطن الارض وتظهر الحيوانات الى البرأى لسخونة الهواء
فهؤلاء قد لا ينفعهم الفصاد بل قد يضرهم والحجامة أنفع لهم، وقوله «شفاء
أمتي» اشارة الى من كان حينئذ من أمتهم وهم كانوا بالحجاز لما قال ما بين المشرق
والمغرب قبلة لان هذا كان قبلة أمتي حينئذ لانهم كانوا بالمدينة وما حولها
وهذا كما أنه في آخر الامر بعد ان فرض الحج سنة تسع أو سنة عشروقت
ثلاث مواقيت للمدينة ولنجدة وللشام ولما فتح اليمن وقت لهم يعلم ثم وقت
ذات عرق لأهل العراق وهذا كما أنه فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر
أو صاعاً من شعير عن كل صغير وكبير ذكراً وأنثى من المسلمين وكان
هذا هو الفرض على أهل المدينة لان الشعير والتمر كان قوتهم ولهذا كان
جماهير العلماء على أنه من اقتات الأرز والذرة ونحو ذلك يخرج من قوته
وهو إحدى الروايتين عن أحد وهل يجزيه أن يخرج التمر والشعير اذا لم
يكن يقاته فيه قولان للعلماء وكان الصحابة يرمون بالقوس العربية الطويلة
التي تشبه قوس الندف وفتح الله لهم بها البلاد وقدرت آثار في كراهة
الرمي بالقوس الفارسية عن بعض السلف لكونها كانت شعار الكفار فاما
بعد ان اعتادها المسلمون وكثرت فيهم وهي في أنفسها أنفع في الجهاد من
تلك القوس فلا تكره في أظهر قول العلماء أو قول أكثرهم لأن الله تعالى
قال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) *

والقوة في هذا أبلغ بلا ريب والصحابة لم تكن هذه عندهم فعدلوا
عنها الى تلك بل لم يكن لهم غيرها فينظر في قصدتهم بالرمي أكان الحاجة
اليها اذ ليس لهم غيرها أم كان لمعنى فيها ومن كره الرمي بها كرهه

لمعنى لازم كما يكره الكفر وما يستلزم الكفر أم كرهها لكونها كانت من شعائر
الكفار فكره التشبه بهم وهذا كما أن الكفار من اليهود والنصارى إذا لبسوا
ثوب الغيار من أصفر وأزرق نهى عن لبسه لما فيه من التشبه بهم وإن كان لو
خلا عن ذلك لم يكرهه في بلاد لا يلبس هذه الملابس عندهم إلا الكفار فنهى عن
لبسها والذين اعتادوا ذلك من المسامين لا مفسدة عندهم في لبسها ولهذا
كره أحمد وغيره لباس السواد لما كان في لبسه تشبه بمن يظلم أو يعين على
الظلم وكره بيعه لمن يستعين بلبسه على الظلم فاما إذا لم يكن فيه مفسدة لم
ينه عنه وكره من لره من الصحابة والتابعين بيع الأرض الخراجية لأن
المشتري لها إذا أدى الخراج عنها أشبه أهل الذمة في التزام الجزية فان الخراج
جزية الأرض وإن لم يؤدها ظلم الناس باسقاط حقهم من الأرض لم يكرهوا
بيعها لكونها وقفا فان الوقف إنما منع من بيعه لأن ذلك يبطل الوقف ولهذا
لا يباع ولا يوهب ولا يورث والأرض الخراجية تنتقل إلى الوراث باتفاق
العلماء ويجوز هبتها والتمتبه والمشتري يقوم فيها مقام البائع فيؤدي ما كان
عليه من الخراج وليس في بيعها مضرة لمستحق الخراج كما في بيع الوقف
وقد غلط كثير من الفقهاء فظنوا أنهم كرهوا بيعها لكونها وقفا واشتبه
عليهم الأمر لأنهم رأوا الآثار مروية في كراهة بيعها وقد عرفوا أن عمر
جعلها في ثلث لم يقسمها قط وذلك في معنى الوقف فظنوا أن بيعها مكره لهذا
المعنى ولم يتأملوا حق التأمل فيرون أن هذا البيع ليس هو من جنس البيع
المنهى عنه في الوقف فان هذه يصرف مغلها إلى مستحقها قبل البيع
وبعده وعلى حد واحد ليست كالدار التي إذا بيعت تعطل نفعها عن أهل
الوقف وصارت للمشتري ، وأعجب من ذلك أن طائفة من هؤلاء قالوا مكره
أنما كره بيع رباعها لكونها فتحت عنوة ولم تقسم أيضا وهم قد قالوا مع

جميع الناس ان الارض العنوة التي جعلت أرضا فيئا يجوز بيع مساكنها ،
والخراج انما جعل على المزارع لاعلى المساكن فلو كانت مكة قد جعلت
أرضها للمسلمين وجعل عليها خراج لم يتمتع بيع مساكنها كذلك فكيف
ومكة أقرها النبي ﷺ بيد أهلها على ما كانت عليه مساكنها ومزارعها
ولم يقسمها ولم يضرب عليها خراجا ، ولهذا قال من قال انها فتحت صلحا
ولاريب انها فتحت عنوة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة المتواترة لكن
النبي ﷺ أطلق أهلها جميعهم فلم يقتل الامن قاتله ولم يسب لهم ذرية ولا
غنم لهم مالا، ولهذا سماوا الطلقاء وأحمد وغيره من السلف انما عللوا ذلك
بكونها فتحت عنوة مع كونها مشتركة بين المسلمين لما قال تعالى (والمسجد
الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) وهذه أى العلة التى
اختصت بها مكة دون سائر الامصار فان الله أوجب حجها على جميع الناس
وشرع اعتمادها دائما لجعلها مشتركة بين جميع عباد الله كما قال (سواء
العاكف فيه والباد) ولهذا كانت منى وغيرها من المشاعر من سبق الى مكان
فهو أحق به حتى ينتقل عنه كالمساجد ومكة نفسها من سبق الى مكان فهو
أحق به والانسان أحق بمساكنه مادام محتاجا اليها وما استغنى عنه من المنافع
فعليه بذله بلا عوض لغيره من الحجيج، وغيرهم ولهذا كانت الأقوال فى
أجارة دورها وبيع رباعها ثلاثة قيل لا يجوز لاهذا ولا هذا وقيل يجوز
الأمران، والصحيح أنه يجوز بيع رباعها ولا يجوز أجارها وعلى هذا تدل
الآثار المنقولة فى ذلك عن النبي ﷺ وعن الصحابة رضى الله عنهم فان
الصحابة كانوا يتبايعون دورها والدور تورث وتوهب واذا كانت تورث
وتوهب جاز أن تباع بخلاف الوقف فإنه لا يباع ولا يورث ولا يوهب،
وكذلك أم الولد من لم يجوز بيعها لا يجوز هبتها ولا أن تورث، وأما أجارها

فقد كانت تدعى السوانب على عهد النبي ﷺ. وأبى بكر. وعمر من احتاج
 سكن ومن استغنى أسكن لأن المسلمين ظلم محتاجون الى المنافع فصارت
 كمنافع الاسواق والمساجد والطرق التي يحتاج اليها المسلمون فمن سبق
 الى شئ منها فهو أحق به وما استغنى عنه أخذه غيره بلا عوض ، وكذلك
 المباحات التي يشترك فيها الناس ويكون المشتري لها استفاد بذلك انه
 أحق من غيره مادام محتاجا وإذا باعها الانسان قطع اختصاصه بها وتورثه
 اياها وغير ذلك من تصرفاته ، وهذا له أن لا يبذله الا بعوض والنبي ﷺ
 من على أهل مكة فان الاسير يجوز المن عليه للمصلحة وأعطاهم مع ذلك
 ذراريهم وأموالهم لما من على هوازن لما جاؤا مسلمين باحدى الطائفتين
 السبى أو المال فاختاروا السبى فأعطاهم السبى وكان ذلك بعد القسمة ،
 فعوض عن نصيبه من لم يرع بأخذه منهم وكان قد قسم المال فلم يرده عليهم ،
 وقريش لم تحاربه كما حاربته هوازن وهو انما من على من لم يقاتله منهم
 كما قال : « من أغلق بابه فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل
 المسجد فهو آمن » *

فلما كف جمهورهم عن قتاله وعرف أنهم مسلمون أطلقهم ولم يغنم
 أموالهم ولا حريمهم ولم يضرب الرق لآل عليهم ولا على أولادهم بل سماهم
 الطلقاء من قريش بخلاف ثقيف فانهم سموا العتقاء فانه أعتق أولادهم بعد
 الاسترقاق والقسمة وكان في هذا مادل على أن الامام يفعل بالاموال
 والرجال والعقار والمنقول ما هو أصلح فان النبي ﷺ فتح خير قسمها
 بين المسلمين وسبى بعض نساها وأقر سائرهم مع ذراريهم حتى أجلوا بعد
 ذلك فلم يسترقهم ومكة فتحها عنوة ولم يقسمها لأجل المصلحة ، وقد تنازع
 العلماء في الارض اذا فتحت عنوة هل يجب قسمها كخير لانها مغنم أو

قصير فينا كما دلت عليه سورة الحشر وليست الأرض من المغنم أو يخير
 الامام فيما بين هذا وهذا على ثلاثة أقوال، واكثر العلماء على التخيير وهو
 الصحيح وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه وغيرهما، ولو قبح
 الامام لهذا وغلب على ظنه ان اهله يسلون ويجاهدون جاز أن يمن عليهم
 بأنفسهم وأموالهم وأولادهم لما فعل النبي ﷺ بأهل مكة فانهم أسلموا
 كلهم بلا خلاف بخلاف أهل خير فانه لم يسلم منهم أحداً فلو لك قسم أرضهم
 لأنهم كانوا كفارا مصرين على الكفر وهؤلاء تركها لهم لأنهم كلهم صاروا
 مسلمين والمقصود بالجهاد أن تكون طمة الله هي العليا وأن يكون الدين
 كله لله وقد كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ليتألفهم على الاسلام فكيف
 لا يتألفهم بابقاء ديارهم وأموالهم وهم لما حضروا معه حيننا اعطاهم من غنائم
 حنين ما تألفهم به حتى عتب بعض الانصار ثمانى الصحابين عن أنس بن مالك
 أن ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله عارسوله من أموال هوازن
 ما أفاء فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا
 يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم - قال
 أنس : فحدث ذلك النبي ﷺ من قولهم فأرسل رسول الله ﷺ الى الانصار
 فجمعهم في قبة من أدم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال ما حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو رأينا يا رسول
 الله فلم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثه أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول
 الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : فاني أعطى رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون أن
 يذهب الناس بالاموال وترجعون الى رجالكم برسول الله فوالله ما تنقلبون
 به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قدر ضينا قال فانكم ستجدون بعدي

أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاقى على الخوض قالوا سنصبر
وفي رواية لو سلك الناس واديا أو شعبا وسلك الانصار واديا أو شعبا
لسلك وادى الانصار وشعبهم الناس دثار والانصار شعار ولولا الهجرة
لكنت أمرا من الانصار وحدثهم حتى بكوا رضى الله تعالى عنهم *

فهذا كله بذل وعطاء لأجل اسلام الناس وهو المقصود بالجهاد ومن قال ان
الامام يجب عليه قسمة العقار والمنقول مطلقا فقوله في غاية الضعف بخالف
لكتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر وليس معه حجة واحدة توجب
ذلك فان قسمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير تدل على جواز ما فعل لا تدل
على وجوبه اذ الفعل لا يدل بنفسه على الوجوب وهو لم يقسم مكة ولا
شك أنها فتحت عنوة وهذا يعلمه ضرورة من تدبر الاحاديث وكذلك
المنقول من قال انه يجب قسمه كله بالتسوية بين الغانمين في كل غزاة فقوله
ضعيف بل يجوز فيه التفضيل للبصطحة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفضل في كثير من المغازي والمؤلفة قلوبهم الذين اعطاهم النبي صلى الله
عليه وآله وسلم من غنائم خيبر فيما أعطاهم قولان أحدهما أنه من الخنس والثاني
أنه من أصل الغنيمة وهذا أظهر فان الذي أعطاهم اياه هو شيء كثير لا يحتمله
الخنس ومن قال العطاء كان من خمس الخنس فلم يدر كيف وقع الامر ولم
يقل هذا أحد من المتقدمين هذا مع قوله ليس لى بما أفاء الله عليكم الا الخنس
والخنس مردود عليكم وهذا لأن المؤلفة قلوبهم كانوا من العسكر ففضلهم
في العطاء للمصلحة كما كان يفضلهم فيما يقسمه من الفى للمصلحة *

وهذا دليل على أن الغنيمة للامام أن يقسمها باجتهاده كما يقسم الفى
باجتهاده اذا كان امام عدل قسمها بعلم وعدل ليس قسمتها بين الغانمين
كقسمة الميراث بين الورثة وقسمة الصدقات في الاصنام الثمانية ولهذا قال

في الصدقات ان الله لم يرض فيها بقسمة نبي ولا غيره ولكن جعلها ثمانية اصناف فان كنت من تلك الاصناف أعطيتك فعلم أن ما آفاه الله من الكفار بخلاف ذلك ، وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم من خير لاهل السفينة الذين قدموا مع جعفر ولم يقسم لاحد غاب عنها غيرهم وقسم من غنائم بدر لطلحة والزبير ولعثمان وكان قد أقام بالمدينة وهؤلاء الذين كانوا يريدون القتال وكانوا مشغولين ببعض مصالح المسلمين الذين هم فيها في جهادهم وأيضاً أهل السفينة وطلحة والزبير وعثمان لم يكونوا كغيرهم والقتال لم يكن لأجل الغنيمة فليست الغنيمة كباح اشترك فيه ناس مثل الاحتشاش والاحتطاب والاصطياد فان ذلك الفعل مقصوده هو اكتساب المال بخلاف الغنيمة بل من قاتل فيها لأجل المال لم يكن مجاهداً في سبيل الله ولهذا لم تبح الغنائم لمن قبلنا وايحت لنا معونة على مصلحة الدين *

فالغنائم أويحت لمصلحة الدين وأهله فمن كان قد نفع المجاهدين بنفع استعانوا به على تمام جهادهم جعل منهم وإن لم يحضر، ولهذا قال النبي ﷺ المسلمون يد واحدة يسعى بذمتهم أدناهم ويرد متسريهم على قاعدتهم فان المتسرى انما تسرى بقوة القاعد فالمعاونون للمجاهدين من المجاهدين وبسط هذه الأمور موضع آخر والمقصود هنا ذكر متابعة النبي ﷺ وهو أنه يعتبر فيه متابعتة في قصده فاذا قصد مكاناً للعبادة فيه كان قصده لتلك العبادة سنة وأما اذا صلى فيه اتفاقاً من غير قصد لم يكن قصده للعبادة سنة ولهذا لم يكن جمهور الصحابة يقصدون مشابهته في ذلك وابن عمر رضي الله عنهما مع انه كان يحب مشابهته في ظاهر الفعل لم يكن يقصد الصلاة الا في الموضع الذي صلى فيه لاني كل موضع نزل به ولهذا رخص أحمد بن حنبل في ذلك اذا كان شيئاً يسيراً فافعله ابن عمر ونهى عنه رضي الله عنه اذا كثرت لانه يفضي الى

المفسدة وهى اتخاذ آثار الانبياء مساجد وهى التى تسمى المشاهد وما أحدث
فى الاسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهى من البدع المحدثه
فى الاسلام من فعل من لم يعرف شريعه الاسلام وما بعث الله به محمدا
ﷺ من نال التوحيد واخلص الدين لله وسد أبواب الشرك التى يفتحها
الشیطان لبني آدم، ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد واخلص الدين لله
ومعرفة دين الاسلام هم أكثر تعظيما لمواضع الشرك فالعارفون بسنة
رسول الله ﷺ وحديثه أولى بالتوحيد واخلص الدين لله وأهل الجهل
بذلك أقرب الى الشرك والبدع ولهذا يوجد ذلك فى الرافضة أكثر مما
يوجد فى غيرهم لأنهم أجهل من غيرهم وأكثر شركا وبدعا ولهذا يعظمون
المشاهد أعظم من غيرهم ويخربون المساجد أكثر من غيرهم فالمساجد
لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ولا يصلون فيها ان صلوا الا أفذاذا وأما
المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد حتى قد يرون ان زيارتها أولى من
حج بيت الله الحرام ويسمونها الحج الاكبر، وصنف ابن المفيد منهم كتابا
سماه مناسك حج المشاهد وذكر فيه من الاكاذيب والاقوال ما لا يوجد فى
سائر الطوائف وان كان فى غيرهم أيضا نوع من الشرك والكذب
والبدع لكن هو فيهم أكثر وكلما كان الرجل اتبع لمحمد ﷺ كان أعظم
توحيداً لله واخلصاله فى الدين واذا بعد عن متابعتة نقص من دينه بحسب
ذلك فاذا كثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو
أقرب منه الى اتباع الرسول والله انما أمر فى كتابه وسنة رسوله بالعبادة
فى المساجد والعبادة فيها أى عمارتها قال تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد
الله أن يذكر فيها اسمه) ولم يقل مشاهد الله وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط
وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) ولم يقل عند

كل مشهد فإن أهل المشاهد ليس فيهم اخلاص الدين لله بل فيهم نوع من الشرك ، وقال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقاموا الصلاة) والآيات وفي الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ثم قرأ هذه الآية فإن المراد بعماريتها عمارتها بالعبادة فيها كالصلاة والاعتكاف يقال مدينة عامرة إذا كانت مسكونة ومدينة خراب إذا لم يكن فيها ساكن ، ومنه قوله تعالى : (أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستترون عند الله) • وأما نفس بناء المساجد فيجوز أن يبينها البر والفاجر والمسلم والكافر وذلك يسمى بناء يقال النبي ﷺ « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة » فبين الله تعالى أن المشركين ما كان لهم عمارة مساجد الله مع شهادتهم على أنفسهم بالكفر وبين أنما يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله وهذه صفة أهل التوحيد واخلاص الدين لله الذين لا يخشون إلا الله ولا يرجون سواه ولا يستعينون إلا به ولا يدعون إلا إياه وعمار المشاهد يخافون غير الله ويرجون غيره ويدعون غيره وهو سبحانه لم يقل إنما يعمر مشاهد الله فإن المشاهد ليست بيوت الله إنما هي بيوت الشرك ولهذا ليس في القرآن آية فيها مدح المشاهد ولا عن النبي ﷺ في ذلك حديث وإنما ذكره الله عمن كان قبلنا أنهم بنوا مسجداً على قبر أهل الكهف وهؤلاء من الذين نهانا الله أن تشبه بهم حيث قال ﷺ : في الحديث الصحيح أن من كان قلبكم كانوا يتخذون القبور مساجد إلا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهارم عن ذلك •

ففي هذا الحديث ذم أهل المشاهد وكذلك سائر الاحاديث الصحيحة
كما قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر
ما فعلوا وقال أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا
وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» ثم أهل
المشاهد كثير من مشاهدهم أو أكثرها كذب فإن الشرك مقرون بالكذب
في كتاب الله كثيرا قال تعالى: (واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين
به) وقال النبي ﷺ: «عدلت شهادة الزور الاشراك بالله» قالها ثلاثا
وذلك كالمشهد الذي بنى بالقاهرة على رأس الحسين وهو كذب باتفاق
أهل العلم ورأس الحسين لم يحمل الى هناك أصلا وأصله في عسقلان، وقد
قيل أنه كان رأس راهب ورأس الحسين لم يكن بعسقلان وإنما أحدث
هذا في أواخر دولة الملاحدة بنى عبيد وكذلك مشهد على رضى الله عنه
انما حدث في دولة بنى بويه، وقال محمد بن عبد الله مطين الحافظ وغيره
انما هو قبر المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وعلى رضى الله عنه اما دفن في قصر
الامارة والدفن معاوية بقصر الامارة بدمشق ودفن عمرو بن العاص
بقصر الامارة بمصر خوفا عليهم اذا دفنوا في المقابر البارزة أن ينهبهم الخوارج
المارقون فان الخوارج كانوا تعاهدوا على قتل الثلاثة فقتل ابن ملجم عليا
وجرح صاحبه معاوية وعمرو كان استخلف رجلا اسمه خارجة فقتله الخارجى
وقال أردت عمرا واراد الله خارجة فسارت مثلا، فالقصد ان هذا المشهد
انما أحدث في دولة الملاحدة دولة بنى عبيد وكان فيهم من الجهل والضلال
ومعاودة الملاحدة وأهل البدع من المعتزلة والرافضة أمور كثيرة ولهذا
كان في زمنهم قد تضعع الاسلام تضععا كثيرا ودخلت النصارى الى
الشام فان بنى عبيد ملاحدة منافقون ليس لهم غرض لاني الله ولا في رسوله

ولأفي الجهاد في سبيل الله بل في الكفر والشرك ومعاداة الاسلام بحسب
الامكان وأتباعهم ظلم أهل بدع وضلال فاستولت النصرارى في دولتهم
على أكثر الشام ثم قبض الله من ملوك السنة مثل نور الدين وصلاح
الدين واخوته وأتباعهم ففتحوا بلاد الاسلام وجاهدوا الكفار والمنافقين
ونهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لان المشركين
يسجدون للشمس حينئذ والشیطان يقارنها وان كان المسلم المصلی لا يقصد
السجود لما لكن سد الذريعة لئلا يتشبه بالمشرکين في بعض الأمور التي
يختصون بها فيفرض الى ما هو شرك ولهذا نهى عن تحرى الصلاة في هذين
الوقتین، هذا لفظ ابن عمر الذي في الصحيحين فقصد الصلاة فيها ممنه عنه
وأما اذا حدث سبب تشرع الصلاة لاجله مثل تحية المسجد وصلاة الكسوف
وسجود التلاوة وركعتي الطواف واعادة الصلاة مع امام الحی ونحو
ذلك فهذه فيها نزاع مشهور بين العلماء والظاهر جواز ذلك واستحبابه
فانه خير لاشرفيه وهو يفوت اذا ترك وانما نهى عن قصد الصلاة وتحريها
في ذلك الوقت لما فيه من مشابهته الكفار بقصد السجود ذلك الوقت فما
لا سبب له قد قصد فعله في ذلك الوقت وان لم يقصد الوقت بخلاف ذي
السبب فانه فعل لأجل السبب فلا تأثير فيه للوقت بحال ونهى النبي ﷺ
عن الصلاة في المقبرة عموما فقال الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام
رواه أهل السنن وقد روى مسندا ومرسلا وقد صحح الحفاظ انه مسند
فان الحمام مأوى الشياطين والمقابر نهى عنها لما فيه من التشبه بالمتخذين
القبور مساجد وإن كان المصلی قد لا يقصد الصلاة لأجل فضيلة تلك البقعة
بل اتفق لكن فيه تشبه بمن يقصد ذلك فنهى عنه كما ينهى عن الصلاة
المطلقة وقت الطلوع والغروب وان لم يقصد فضيلة ذلك الوقت لما فيه من

التشبه بمن يقصد فضيلة ذلك الوقت وهم المشركون فذهب عن الصلاة في هذا الزمان كذهبه عن الصلاة في ذلك المكان فلما كان الشرك الذي أصل أكثر بني آدم أصله وأعظمه من عبادة البشر والتماثيل المصورة على صورهم فإن المشركين قد اعتادوا إلهة يلدون ويولدون ويرثون ويورثون ويكونون من شيء من الأشياء فسألوا النبي ﷺ عن الإله الذي يعبد من أي شيء هو أمن كذا أم من كذا ومن ورث الدنيا ولم يرثها؟ فقال تعالى: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وفي حديث أبي بن كعب لأنه ليس أحد يولد إلا يموت ولا أحد يرث إلا يورث يقول كل من عبد من دون الله وقد ولد مثل المسيح والعزير وغيرهما من الصالحين وتماثيلهم ومثل الفراعنة المدعين الآلية فهذا مولود يموت وهو وإن كان ورث من غيره ما هو فيه فإذا مات ورثه غيره والله سبحانه حتى لا يموت ولا يورث سبحانه وتعالى *

(تم)



تم بحسن توفيق مولانا جل وعز كتاب تفسير سورة الاخلاص للإمام العلامة علامة المعقول والمنقول فخر العلماء ومرجع الفضلاء من بسيرته سارت الركبان ورحلت إليه الرواحل من كل مكان الا وهو مجتهد عصره ونابغة دهره أبي العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

فهرست

كتاب تفسير سورة الاخلاص

صفحة	صفحة
النفي وذكر كلام اهل اللغة في ذلك	٢ خطبه الكتاب
١٩ بيان ان الولادة والمتولد وكل من كان من هذه المادة لا يكون الا من اصلين	٢ فصل في بيان ان للاسم الصمد اقوالا متعددة للسلف وليست مختلفة وذكرها مفصلة عن ائمة اللغة وتحقيق المقام فيها بما لا يتجدد في غير هذا الكتاب
٢٠ بيان تنازع الناس فيما يخلقه الله من الحيوان والنبات والمعدن والمطر والنار التي توري بالزناد وغير ذلك هل تحدث اعيان هذه الاجسام فتقلب هذا الجنس الى جنس آخر كما يقلب المتى علقه ثم مضغة ام لا	١٠ تفسير السيد واقوال ائمة اللغة فيه
٢١ بيان اقوال العلماء في الجواهر الفرد	١٣ تحقيق معنى الاشتقاق
٢٢ بيان ان ليس في كتب الرازي وامثاله في مسائل اصول	١٤ بيان معنى الصبر
	١٥ فصل في بيان ان اللام ادخلت على الصمد ولم تدخل على احد
	١٦ ذكر الاحاديث المتقدمة على الامام مسلم في صحيحه
	١٧ لفظ احد لم يوصف به شيء من الاعيان الا الله وحده وانما يستعمل في غير الله في

(ب) دليل كتاب تفسير سورة الاخلاص

صفحة	صفحة
انفصال جزء من الاصل	الدين الكبار القول الصحيح
٣٨ فصل في قول اليهود	الذي يوافق المنقول
والنصارى في الرب جل وعز	والمعقول الذي بعث به
٤٠ فصل في عقائد العرب في	الرسول بل فيها بحوث
الرب وتحقيق عقائد	المتفلسفة الملاحدة وبحوث
النصارى فيه جل وعز	المتكلمين المبتدعة
٤٢ الكلام على تفسير قوله تعالى:	٢٥ بيان ما جاء في بدء الخلق
(لقد كفر الذين قالوا ان	واعادته من الآيات القرآنية
الله ثالث ثلاثة) وقد اطال	٣٢ بيان ان اهل الجنة يدخلون
المصنف نفسه في هذا المقام	الجنة على صورة ابيهم آدم
بما يسر النفس ويشرح الصدر	طولا وعرضا لا يولون فيها
٤٧ بيان ان النصارى ادعوا في	ولا ينفو طون الخ
المسيح البنوة الحقيقية وان	٣٣ فصل في ان المقصود هنا ان
ما ذكر في كلام علمائهم هو	التولد لا بدله من اصلين
تأويل منهم للمذهب ليزيلوا	٣٤ بيان ان المسيح خلق من
به الشناعة التي لا يبلغها عاقل	اصلين
٤٨ بيان أن منشأ ضلال	٣٦ فصل في تحقيق ان كل
النصارى انه كان في لغة من	ما يستعمل فيه لفظ التولد من
قبلنا يعبر عن الرب بالاب	الاعيان القائمة فلا بد ان
وبالابن عن العبد المربي	يكون من الاصلين ومن

محتويات كتاب تفسير سورة الاخلاص (ج)

صفحة

صفحة

الجن وكذلك أكثر

أهل الكتاب

٥٦ دليل من احتج بان الله جسم

٥٨ دليل من قال بنفى صفات

البارى تعالى

٥٩ كلام الامام أحمد بن حنبل

في خطبته من حيث الرد على

الجهمية وغيرهم

٦٠ بيان طريقة هشام

وأتباعه في الرب تبارك

وتعالى

٦٢ لفظ الجوهر والجسم

والتحيز والجوهر قل من

تكلم فيها بنفى أو اثبات من

المتقدمين والسلف والائمة

كرهوا هذا الكلام المحدث

لاشتماله على باطل وكذب

٦٣ بيان أن أول من

أحدث الالفاظ التي يرايها

حق وباطل الجهمية والمعتزلة

فقال المسيح عليه السلام

عمدوا الناس باسم الاب

والابن وروح القدس جبريل

٤٩ كلام الزجاج في تفسير

قوله تعالى «وايدناه بروح

القدس) وما معنى التأييد هنا

٤٩ قول الفلاسفة بأن العالم

قديم صدر عن علة موجبة

وانه صدر عنه عقل ثم عقل

الى نهاية عشرة عقول وتسعة

أنفس أفسد من قول مشركى

العرب وأهل الكتاب

عقلا وشرعا ودلالة القرآن

على فساده أبلغ من وجوه

وبيانها مفصلة

٥٤ بيان ان الامم الذين ابتلى

بهم أو اخر المسلمين شر

من الامم الذين ابتلى بهم

أو ائمة المسلمين

٥٥ بيان أن العرب كانت تثبت

(د) فهرس كتاب تفسير سورة الاخلاص

صفحة	صفحة
الكلام	قصدهم بذلك انكار صفات
٧٤ علم بالاضرار ان الصحابة	الرب جل وعلا
والتابعين لم ينطقوا باثبات	٦٤ كل طائفة أنكر عليها
الجوهر الفرد ولا بما يدل	ما ابتدعت احتجت بما
على ثبوته عندهم بل ولا العرب	ابتدعته الاخرى
قبلهم ولا سائر الامم الباقين	٦٧ بيان أن حال الخوارج
على الفطرة ولا أتباع الرسل	وأمانهم يظلمون الآمة
٧٥ اول من احدث الكلام في	ويعتدون عليها اذا نازعهم
صفات الله الجعد بن درهم	في بعض مسائل الدين
وجهم بن صفوان في	وكذلك سائر أهل الاهواء
اواخر دولة بني امية	٦٨ مناظرة الامام احمد بن حنبل
٧٧ الكلام على التحيز والجهة	لخالفه في العقيدة
٧٨ الاعتراض على غرر الرازي	٦٩ بيان معنى الجسم في اللغة
في المطالب العالية	وعند أهل الكلام
٧٨ تفسير الهبولي	٧٠ كلام اهل الفلسفة والهشامية
٧٩ كلام ارسطو في علم ما بعد	والكلالية والضرارية
الطبيعة	وغيرهم في تركيب الاجسام
٨٠ بيان ان بعض النصارى بدل	٧٢ مسألة تماثل الاجسام
دين المسيح فوضع ديناً مركباً	وتركيها من الجواهر الفردة
من دين الموحدين ودين	قد اضطرب فيها جماهير اهل

دليل كتاب تفسير صورة الاخلاص (٥)

صفحة	صفحة
الفرق بين البدن والروح	٨٢ ضلال كثير من المتأخرين
وفيه كلام نفيس جداً	بسبب الالتباس وعدم المعرفة
٨٩ اختلاف الفلاسفة في المتحيز	بحقيقة ما جاء به الرسول ﷺ
هل هو مركب من الجواهر	٨٣ بيان ان الفلاسفة لما لم يكن
الفردة او من المادة والصورة	عندهم علم بجميع المخلوقات
او هو غير مركب	فاذا سمعوا اخبار الانبياء
٩٠ كلام الامام فخر الرازي	بالملائكة والعرش والكرسى
في آخر عمره وبيان عقيدته	والجنة والنار يتحيروا
في الصفات	ويؤولوا كلام الانبياء على
٩١ كلام المتفلسفة في النفس	ما عرفوه
الناطقة وبيان مذهب اليه	٨٤ كلام المتأخرين كابن سينا
ابن سينا وامثاله	وامثاله في الالهيات والكليات
٩٢ بيان أن تعلق الروح بالبدن	٨٥ بيان مبدأ حدوث القرامطة
لا يشبه شيئاً مما يمثل به	الملاحدة الباطنية
الفلاسفة	٨٥ كلام الفلاسفة في ان الملائكة
٩٣ لا يلزم أن يكون الرب جل	متحيزة ام لا
وعلا متصفاً بالزول	٨٦ اقوال العلماء في روح
والاستواء والدنوء والتكليم	الانسان التي تفارقه بالموت
أن تكون هذه الأفعال من	هل هي عرض أو جسم
جنس ما نشاهده من نزول	٨٨ جماهير العقلاء على اثبات

(و) محتويات كتاب تفسير سورة الاخلاص

صفحة	صفحة
ثم معرفة ما قال الناس في هذا	هذه الاعيان المشهودة حتى
الباب لينظر من وافق ومن	يقال ذلك يستلزم تفريغ
خالف	مكان وشغل آخر
٩٧ مذهب حذاق الفلاسفة في	ودليل ذلك
المراد بخطاب الرسول	٩٤ بيان أن المعتزلة والجهمية
٩٨ بيان ان كتاب الجوامع العوام	ومن وافقهم على نفى شئ
للامام الغزالي فيه ذم التأويل	من الصفات ويسمون بها
لان مصلحة الجمهور لا تقوم	توحيدا ويسمون عليهم علم
الابا بقاء الطواهر على ماهي	التوحيد
عليه	٩٥ بيان ان المسلمين يحتاجون
٩٨ الكلام على قوله تعالى: (وما	الى شيتين في امر التوحيد
يعلم تأويله الا الله)	٩٥ اول مادعي الرسول اليه
١٠٠ ذكر الائمة الذين اثبتوا العلو	الخلق هو التوحيد وهو اصل
وجعلوه من الصفات الخيرية	الدين واول ما يقاتل عليه
وبعضهم جعله من الصفات	فلا يصح ان تجعله الصحابة
العقلية	والتابعون لهم باحسان
١٠١ معنى التأويل عند الفلاسفة	٩٦ أصل العلم والايمان
والباطنية	والسعادة والنجاة معرفة
١٠١ بيان ان الغلط في الاثبات	ما جاء به الرسول وما أراده
يوجد عند اهل الحديث من	بالفاظ القرآن والحديث

فهرس كتاب تفسير سورة الاخلاص (ز)

صفحة	صفحة
١١٣ الاستواء من قبيل المتشابه	الحنابلة اكثر مما يوجد في
يلزمه في حق المخلوقين معاني	اهل الكلام ويوجد في اهل
ينزه الله عنها فنحن نعلم معناه	الكلام من الغلط في النفي أكثر
وانه العلو والاعتدال لكن	ما يوجد في اهل الحديث
لانعلم الكيفية التي اختص بها	١٠٣ تفسير قوله تعالى (لا يأتيكما
الرب التي يكون بها مستويا	طعام ترزقانه الانبياء كما
من غير افتقار منه الى العرش	بتاويله)
١١٤ كلام الامام احمد في المتشابه	١٠٥ الكلام على معنى التفسير
١١٧ كلام ابي بن كعب في القرآن	والتاويل واقوال العلماء في
١١٨ كلام عكرمة في المحكم والمتشابه	ذلك
١١٩ لا يجوز ان يكون الله انزل	١٠٧ بيان قول كثير من السلف
كلما لا معنى له ولا يجوز ان	في آيات: هذه ذهب تاويلها
يكون الرسول وجميع الامة	وهذه لم يات تاويلها
لا يعلمون معناه	١٠٩ تفسير قول الامام مالك
١٢٠ ذكر قول ابن عباس انه من	الاستواء معلوم والسكيف
الراسخين الذين يعلمون	مجهول والايمان به واجب الخ
تاويل القرآن وكذلك مجاهد	١٠٩ بيان ان مادة استوى تتغير
والربيع بن انس ومحمد بن	معانيه بحسب صلته
جعفر بن الزبير	١١١ بيان غلط من جعل للفظ
١٢٠ كلام المؤلفين في مدح ابن	الاستواء بضعة عشر معنى
قتيبة والتناء عليه	

(ح) دليل كتاب تفسير سورة الاخلاص

صفحة	صفحة
الغوى	١٢٢ كلام معاذ بن جبل فيمن
١٣٥ يسان أن الامام احمد بن	يتبع المتشابه من القرآن
حنبل احتج على خصومه	١٢٣ بيان أن السلف رضى الله
بالادلة السمعية والعقلية	عنهم فسروا جميع القرآن
وبين معاني الآيات التي	١٢٥ دعوى من قال أن سبب
سماعها هو متشابهة وفسرها	نزول آية (وما يعلم تأويله
آية آية	الا الله) سؤال اليهود عن
١٣٧ أهل البدع يدعون العلم	حروف المعجم في ألم بحساب
والعرفان والتحقيق وهم من	الجل باطلة من وجوه
أجهل الناس بالسمعيات	١٢٦ قول ابن عباس ان التفسير
والعقليات	على أربعة اوجه
١٣٨ كلام أئمة المذاهب في تفسير	١٢٨ الدليل على أن ابن عباس كان
المحكم والمتشابه	يتكلم في جميع معاني القرآن
١٤١ بعض العلماء فسر المتشابه	١٣٠ الثابت عن الصحابة أن
باختلاف اللفظ مع اتفاق	المتشابه يعلمه الراسخون
المعنى	١٣٢ بيان أن تفسير ابن أبي
١٤٢ اتفاق العلماء على أن جميع	نجيح عن مجاهد من أصح
القرآن مما يمكن العلماء	التفاسير
معرفة معانيه	١٣٤ أهل البدع يفسرون القرآن
١٤٤ بيان أن الشيء له وجود في	برأيهم العقلي وتأويلهم

محتويات كتاب تفسير سورة الاخلاص (ط)

صفحة	صفحة
١٥٥ فصل في أن أصول التوحيد والايمان وكل ما يحتاج الناس اليه في دينهم قد بينه الرسول عليه الصلاة والسلام	الاعيان ووجود في الازهان ووجود في اللسان ووجود في البيان
١٥٦ ذكر مقدمتين مهمتين	١٤٦ الامثال هي ما يمثل به من المتشابه وعقل معناها هو معرفة تأويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم دون غيرهم
١٥٧ اصول البدعة اربعة	١٤٧ بيان أن الرسول اذا لم يكن عالما بمعاني القرآن امتنع الرد اليه
١٥٨ نفاة الاسماء والصفات هم الملاحدة من الفلاسفة والقراطة	١٤٨ أهل البدع الذي ذمهم الله ورسوله نوعان
١٥٨ فصل المعنى الصحيح الذي في نفى المثل والشريك والند قد دل عليه آيات من كتاب ربنا	١٤٩ تفسير الاماني والامة
١٦٠ ذكر سبب نزول سورة (قل هو الله احد) الخ	١٥٢ ذم الله تعالى الذين لا يعرفون معاني القرآن ولا يتدبرونه ولا يعقلونه
١٦١ اذا نفى عن الرب جل وعز ان يكون مولودا من مادة الوالد فلان ينفي عنه ان يكون من سائر المواد اولى واحرى	١٥٣ يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية لكن معرفة معاني الجميع فرض على الكفاية

صفحة	صفحة
الاحاديث	١٦٢ بيان ان دودا وسواها ويفوت
١٦٨ تحريم بناء المساجد على القبور واتخاذ القبور مساجد	ويعوق ونسرا كانت اسماء قوم صالحين كانوا فيهم فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدهم وذلك اول ما عبدت الاصنام
١٦٩ بيان ان الصحابة وعلى رؤسهم عمر بن الخطاب لما قدموا الشام قبل الفتح وبعده لم يذهب احد منهم الى مغارة الخليل ولا غيرها من آثار الانبياء	١٦٣ بيان ما يحصل لكثير من اهل البدع والخرافات المنتسبين الى هذه الامة في استغاثتهم بشيخه الذي يعظمه وهو ميت او يستغيث به عند قبره ويسأله وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك النح
١٧٠ وجه تسمية الانس انسا والجن جنا	١٦٦ تقسيم الرؤيا الى ثلاثة اقسام
١٧١ تعريف المتابعة وبيان شدة متابعة عبد الله بن عمر علماء السلف من اهل المدينة لم يكونوا يستحبون قصد شي من المساجد والمزارات التي بالمدينة وما حو لها بعد مسجد النبي ﷺ	١٦٧ بيان ان عمرو بن لحي هو اول من غير دين ابراهيم عليه السلام
١٧٣ حكم نذر السفر الى غير المساجد الثلاث	١٦٧ النبي ﷺ سد هذا الباب كما سد باب الشرك بالكواكب وذكر ما ورد في ذلك من

صفحة	صفحة
١٧٤	ضلال وشرك من ظن أو اعتقد أن زيارة قبور الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم أو دعائهم والاقسام بهم على الله أفضل منه في المساجد والبيوت
١٧٥	التوافل المأثورة عن الرسول ﷺ
١٧٧	استلام الركنتين البانين عند ما حج الرسول ﷺ دون الشاميين وسبب ذلك
١٧٨	استحباب العلماء عدم القصد الى مسجد بمكة للصلاة غير مسجد الحرام وعدم قصد بقعة للزيارة غير المشاعر
١٧٩	اختلاف العلماء في أهل مكة ونحوهم هل يقصرون أو يجمعون
١٨٠	بيان أن النبي ﷺ
١٨٠	وخلقه لم يكونوا يصلون صلاة العيد الا في المقام لا في السفر
١٨٠	المقاصد كان معتبرة عند السلف في المتابعة
١٨١	بيان أن الرمل صار من سنة الحج
١٨٢	افضل الخلق على الاطلاق نبينا محمد ﷺ
١٨٢	تفسير النفس
١٨٣	الذبح للمعبود غايه التل والخضوع له
١٨٤	المتابعة للرسول لا بد فيها من اعتبار النية والقصد
١٨٤	بيان أن الحجة تنفع في بلاد دون بلاد
١٨٨	بيان من يسمى بالطلاق
١٨٩	كيف كان النبي ﷺ يتألف قلوب بعض الناس بالأموال

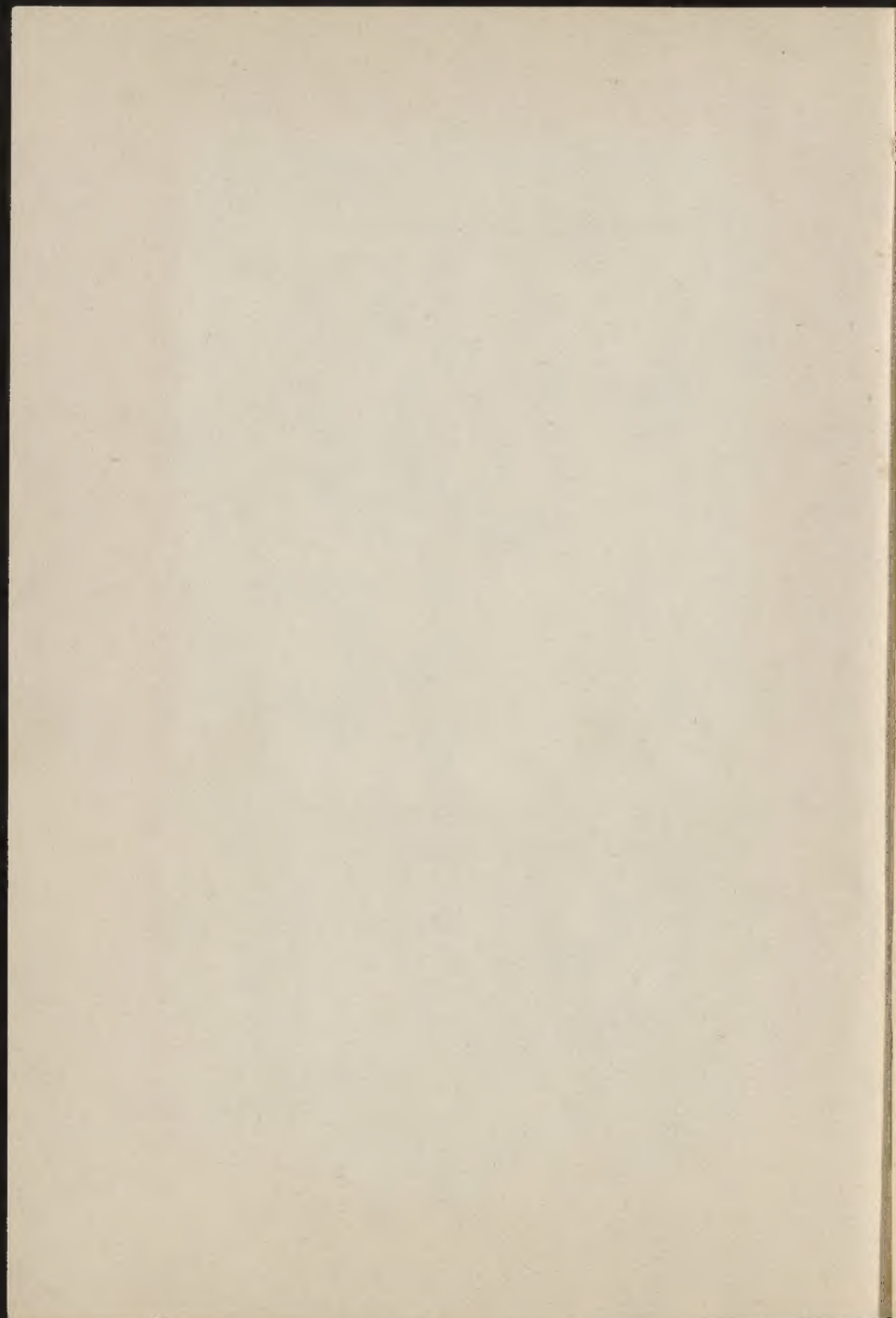
القبور والآثار هي من البدع
المحدثه في الاسلام من فعل
من لم يعرف شريعة الاسلام
وما بعث به محمد ﷺ من
لئال التوحيد واخلاص الدين
لله وسد ابواب الشرك التي
يفتحها الشيطان لبني آدم

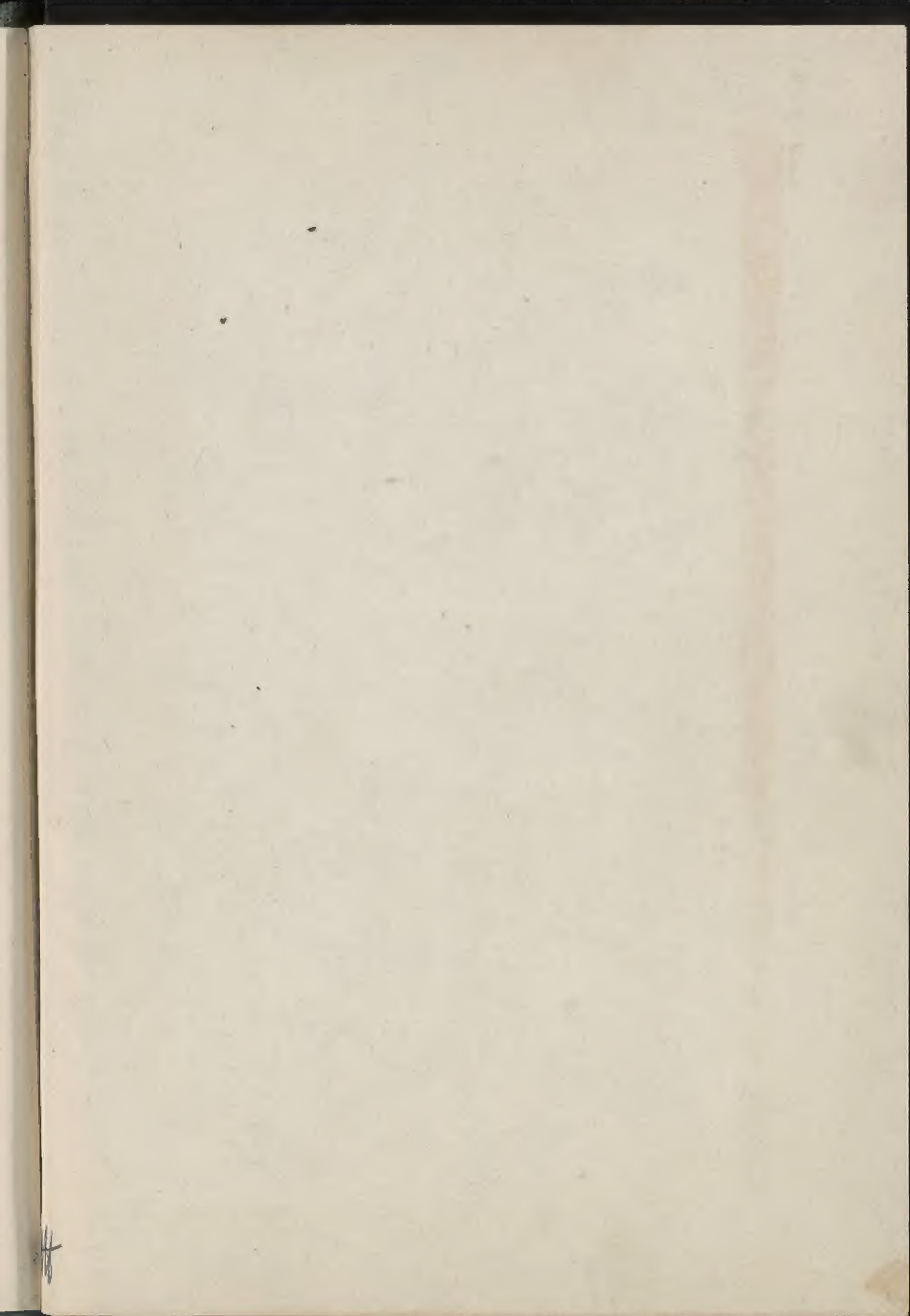
١٩٠ للامام ان يقسم الغنيمة
باجتهاده كما يقسم الفيء اذا
كان امام عدل
١٩١ ابيحت الغنائم لمصلحة الدين
وامله
١٩٢ يان ان ما احدث في الاسلام
من المساجد والمشاهد على

(تم الفهرست)



تم





893.7K84

DI8

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58886567

893.7K84 D18

Tafsir surat al-ikhhl